

البداية والنهاية

ابن كثير ج ٢

[٣]

البداية والنهاية للامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه
علي شيري الجزء الثالث دار إحياء التراث العربي

[٤]

الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م

[٥]

بسم الله الرحمن الرحيم باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صلى
الله عليه وآله، وذكر أول شئ أنزل عليه من القرآن العظيم كان ذلك
وله صلى الله عليه وآله من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير (١)
عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذلك ثلاثاً
وأربعين سنة. قال البخاري (٢): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث،
عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي
الله عنها، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله
من الوحي الرؤيا الصالحة (٣) في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت
مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث
فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود
لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في
غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني
فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا
بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني.
فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ
مني الجهد. ثم أرسلني فقال: (اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما
لم يعلم) [أول سورة العلق] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه
وآله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد. فقال: زملوني
زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر -
لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا.
إنك

(١) تاريخ لطبري ج ٢ / ٢٠٢. (٢) صحيح البخاري - باب كيف كان بدء الوحي - ج ٣
صفحة ١ / ٣. (٣) من البخاري - وفي الاصول: الصادقة. (٤) يتحنث: قال ابن حجر في
فتح الباري: هي بمعنى يتحنف أي يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم.

لتصل الرحم وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين علي نواب الحق (١)، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة. وكان أمراً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما أرى. فقال له ورقة: هذا الناموس (٢) الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا (٣)، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أو مخرجي هم ؟ " فقال: نعم. لم يأت رجل (٤) بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي (٥) فترة. حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه. فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً كمثلك. قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له: مثل ذلك. هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري. قال ابن شهاب (٦): وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه: " بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض. فرعبت منه. فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله: (يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرحز فاهجر) [سورة المدثر: ١] فحمي الوحي وتتابع " ثم قال البخاري تابعه عبد الله بن يوسف، وأبو صالح، يعني عن الليث، وتابعه هلال بن رداد (٧) عن الزهري. وقال يونس ومعمر: بواذره (٨). وهذا الحديث قد رواه الامام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع

(١) نواب: جمع نائبة وهي الحادثة خيراً أو شراً وإنما قال نواب الحق لانها تكون في الحق والباطل. (٢) الناموس: صاحب السر، وهو ما جزم به البخاري في أحاديث الانبياء، يقال: نمست السر: كتمته، والمراد هنا جبريل عليه السلام - لان الله خصه بالغيب والوحي. (٣) جذعا: قال ابن حجر في فتح الباري: الجذع: هو الصغير من البهائم: كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الاسلام شاباً ليكون أمكن لنصره. (٤) من صحيح البخاري، وفي الاصول أحد. (٥) هنا تنتهي رواية الصحيح. (٦) تنمة حديث البخاري المتقدم. (٧) من البخاري، وفي الاصول ونسخ البداية المطبوعة داود وهو تحريف. وهو هلال بن رداد الطائي، أو الكنانى الشامي الكاتب مقبول من السابعة. (تقريب التهذيب) ٢ / ١٣٠ / ٣٢٣. (٨) أي ترجف بواذره بدل رواية يرحف فؤاده. والبواذر جمع بادرة وهي ما بين العنق والمنكب.

منه، وتكلمنا عليه مطولا في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسناداً ومثلاً ولله الحمد والمنة. وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما (١)، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سياقها إلى قول ورقة: أنصرك نصراً مؤزراً. فقول أم المؤمنين عائشة. أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، يقوي ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط (٢) من ديباج فيه كتاب (٣). فقال: اقرأ، فقلت ما اقرأ ؟ ففتني (٤)، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني " وذكر نحو حديث عائشة سواء، فكان هذا كالتوطئة لما

يأتي بعده من البيضة، وقد جاء مصرحا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في البيضة. وقد قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني: في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الاجلح عن إبراهيم عن علقمة بن قيس. قال: إن أول ما يؤتى به الانبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد، وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده. عمره صلى الله عليه وسلم وقت بعثته وتاريخها قال الامام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنيوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنيوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرا بمكة وعشرا بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. فهذا إسناد

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، وفي التفسير وفي كتاب الايمان عن عبد الرزاق وأخرجه مسلم في (١) - كتاب الايمان (٧٢) باب بدء الوحي - والترمذي والنسائي في التفسير والامام أحمد في مسنده ٣٦ - ٢٢٢، ٢٢٣ وابن حبان في صحيحه، كتاب الوحي حديث ٣٤ / ١ / ١١٥. (٢) نمط: وعاء كالسقط. (٣) قال بعض المفسرين: في قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له: اقرأ (الروض الانف). (٤) كذا في الاصول والطبري، ومعنى غتني: حبس نفسي. قال ابن الاثير في النهاية: الغت والغط سواء، كأنه أراد عصرني عصرا شديدا، حتى وجدت منه المشقة، كما يجد من يغمس في الماء قهرا.

[٨]

صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الاربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل (١) وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا له وتمرينا إلى أن جاءه جبريل. فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحككت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل. وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشرا وبالمدينة عشرا. ومات وهو ابن ثلاث وستين، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب (٢) ثم روى أحمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثمانين سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين. قال أبو شامة: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لاعرفه الآن " (٣) انتهى كلامه. وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الاوثان والسجود للاصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إحياء الله إليه صلوات الله

(١) الخبر نقله السيوطي في الخصائص الكبرى ١ / ٢٢١ وابن سعد في الطبقات ١ / ١٩١ وقال ابن سعد بعد إيراده الخبر: " فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر - الواقدي - فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن اسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم.. لم يقرن به غير جبريل وقد حكى ابن التين القصة لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسرافيل. (٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٥ / ٩٩ الصواب أنه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الأربعين سنة هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء. وقال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد. بعثه الله - تعالى - على رأس أربعين وهي رأس الكمال، قيل ولها تبعث الرسل ١ / ٣٣. وقال السهيلي - معلقا - في الروض الأنف: إنه الصحيح عند أهل السير، والعلم بالآثر " ١ / ١٦١. وقال البلقيني: كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل في غار حراء أربعين سنة على المشهور. (٣) كتاب الفضائل حديث رقم ٢ ص ١٧٨٢. وأخرجه الترمذي في المناقب ٥ / ٥٩٢ والدارمي في المقدمة. =

[٩]

وسلامه عليه. وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن عبد الله (١) بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة (٢) - قال: وكان واعية (٣) - عن بعض أهل العلم قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه. وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته [وقضائه] [٤] لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة. وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة: وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل هكذا صوبه على رواية هذا في البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو العجاج المزني رحمهم الله، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه: وراق ليرقى في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم. وحراء يقصر ويمد ويصرف ويمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج: فلا ورب الامنات القطن * ورب ركن من حراء منحني وقوله في الحديث: والتحنث التعيد، تفسير بالمعنى، وإلا فحقيقة التحنث من حيث البنية (٥) فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتأنم وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر أوردتها أبو شامة. وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنث أي يتعبد. فقال: لا أعرف هذا إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: والعرب تقول التحنث والتحنف يبدلون الفاء من التاء، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة [بن العجاج]: (هامش ٩) = والامام أحمد في مسنده ٥ / ٨٩، (١) في سيرة ابن هشام: عبيدالله. (٢) في سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي: جارية وهو الصواب. (٣) واعية: التاء فيه للمبالغة: أي حافظا. من قولهم وعى العلم يعيه إذا حفظه. (٤) زيادة من دلائل البيهقي. وفي ابن هشام: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وأنصرف.. (٥) في الاصول ونسخ البداية المطبوعة: من حنث البنية وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

[١٠]

* لو كان أحجاري مع الاحذاف (١) * يريد الاجداث. قال [ابن هشام]: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول فم في موضع ثم. قلت: ومن

ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد ثومها. وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع فقبل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم. وهو الاشبه الاقوى. وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به، ولبسط هذه الاقوال ومنا سياتها مواضع أخر في أصول الفقه والله أعلم. وقوله حتى فجئته الحق وهو يغار حراء أي جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى: (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) [النمل: ٨٦] الآية. وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) (٢) وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير وكما سيأتي أيضا في يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال: " ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزل علي فيه " (٣) وقال ابن عباس: ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين (٤). وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء: إنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.

(١) في سيرة ابن هشام: الاجداف. وزعم ابن جني أن جدف بالفاء لا يجمع على اجداف (أنظر الروض الأنف). (٢) أول سورة العلق. قال صاحب الظلال: مطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن باتفاق، والروايات التي تذكر نزول غيرها ابتداء ليست وثيقة. هذه البداية حدث ضخم بحقيقته وضخم بدلالته. فدلالته: في أنه تعالى ذو الفضل الواسع بفيض من عطائه ورحمته بلا سبب ولا علة. ودلالته أن الله تعالى أكرم الانسان كرامة لا يكاد يتصورها. وأثاره في حياة البشرية قد بدأت منذ اللحظة الاولى، في تحويل خط التاريخ، فقد تحددت الجهة التي يتطلع إليها الانسان ويتلقى عنها تصورات وقيمه وموازينه. هذه الحقيقة القرآنية الاولى التي تلقاها قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحظة الاولى هي التي ظلت تصرف شعوره، ولسانه وعمله بعد ذلك طوال حياته بوصفها قاعدة الايمان الاولى. ٦١٨ / ٨ باختصار. (٣) صحيح مسلم في ١٢ كتاب الصيام (٣٦) باب حديث رقم ١٩٧ ومسند أحمد ٥ / ٢٩٧ - ٢٩٩ السنن الكبرى للبيهقي ٤ / ٢٩٢. (٤) مسند أحمد ج ١ / ٢٧٧ وهو في مجمع الزوائد ١ / ١٩٦ ونسبه لاحمد والطبراني في الكبير وقال: فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح".

[١١]

ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الاول، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام، وفي الثاني عشر من ربيع الاول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء، والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نص على ذلك عبيد بن عمير، ومحمد بن إسحاق وغيرهما. قال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس) [البقرة: ١٨٥] فقيل في عشره. وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه. قال الامام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران، أبو العوام، عن قتادة، عن أبي المليح، عن وائلة بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان " (١) وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعا نحوه، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين. وأما قول جبريل (اقرأ) فقال: " ما أنا بقارئ " فالصحيح أن قوله " ما أنا بقارئ " نفي أي لست ممن يحسن القراءة. وممن روجه النووي وقيل الشيخ أبو شامة. ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لان الباء لا

تزداد في الاثبات (٢). ويؤيد الاول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو خائف يرعد - " ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ " فأخذه جبريل فغته غتا شديدا. ثم تركه فقال له: اقرأ. فقال محمد صلى الله عليه وسلم: " ما أرى شيئا أقرأه، وما أقرأ، وما أكتب " يروى فغطني كما في الصحيحين وغطني ويروى قد غطني أي خنقني " حتى بلغ مني الجهد " يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به ذلك ثلاثا. قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرخصاء أي البهر والعرق. وقال غيره: إنما فعل ذلك لامور: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) [سورة المزمل: ٥] ولهذا

(١) مسند أحمد ج ٤ / ١٠٧، (٢) قال الطيبي أنه إنما يفيد التقوية والتأكيد، والتقدير لست بفارئ البتة فإن قيل لمكرر ذلك أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولا ما أنا بفارئ على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام ويؤيده قول أبي الاسود في مغازبه عن عروة أنه قال: كيف أقرأ وفي رواية ابن إسحاق ماذا أقرأ وفي دلائل البيهقي: كيف أقرأ. وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية. وحكى الاخفش جواز دخول الباء بداية - وهو شاذ -.

[١٢]

كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابل ويتفصد جبينه عرفا في اليوم الشديد البرد. وقوله فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يرجف فؤاده. وفي رواية: بوادره، جمع بادرة قال أبو عبيدة: وهي لحمه بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض الروايات ترجف بأدله واحدها بادل. وقيل بادل، وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدي. وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك. فقال: " زملوني زملوني " فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة: " مالي ؟ أي شئ عرض لي ؟ " وأخبرها ما كان من الامر. ثم قال: " لقد خشيت على نفسي " (١) وذلك لانه شاهد أمرا لم يهده قبل ذلك، ولا كان في خلد. ولهذا قالت خديجة: ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبدا. قيل من الخزي، وقيل من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفا بصفات الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث - وقد كان مشهورا بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق - وتحمل الكل. أي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما يريجه من ثقل مؤنة عياله - وتكسب المعدوم أي تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك. ويسمى الفقير معدوما لان حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم: ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الاحياء وقال أبو الحسن التهامي، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم: عد ذا الفقر ميتا وكساه * كفنا باليا وماواه قبرا وقال الخطابي: الصواب (وتكسب المعدم) أي تبذل إليه أو يكون تكسب المعدم بعطيته (٢)

(١) قال القاضي عياض: ليس معناه الشك في أن ما أتاه من الله لكنه كأنه خشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الامر. وقال الحافظ ابن حجر: اختلف العلماء في المراد بالخشية على اثني عشر قولاً: الجنون - وهو باطل - الهاجس - وهو باطل أيضا. الموت من شدة الرعب - المرض - دوام المرض - العجز عن حمل أعباء النبوة - العجز عن النظر إلى الملك من الرعب - عدم الصبر على أذى قومه - أن يقتلوه - مفارقة

الوطن - تكذيبهم إياه - تعبيرهم إياه. قال: وأولى الأقوال وأسلمها من الارتباب الثالث واللذان بعده. (٢) في الأصول: أو يكون تلبس العدم بعطية: وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه من سيرة ابن كثير.

[١٣]

مالا يعيش به (١). واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى، أي يعطى المال لمن هو عادمه. ومن قال إن المراد أنك تكسب بالتجارك المال المعدوم، أو النفيس القليل النظير، فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع وتكلف ما ليس له به علم، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم. وتقري الضيف - أي تكرمه في تقديم قراه، وإحسان ماواه. وتعين على نوائب الحق ويروى الخير، أي إذا وقعت نائبة لاحد في خير أعنت فيها، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش، وقوله: ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. وقد قدمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله. وأنه كان ممن تنصر في الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش فتنصروا كلهم، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتخبيطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً. فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً، وبشروه الاحبار والرهبان بوجود نبي قد أرف زمانه واقترب أوامه، فرجع يتطلب ذلك، واستمر على فطرته وتوحيده. لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية (٢). وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمنا بما كانت خديجة تتعته له وتصفه له، وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات، ولهذا لما وقع ما أخذت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به إليه فوفقت به عليه. وقالت: ابن عم اسمع من ابن أخيك، فلما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ما رأى قال ورقة: سيوح سيوح (٣)، هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى، لانه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام، ونسخت بعضها على الصحيح من قول العلماء. كما قال: (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) [آل عمران: ٥٠]. وقول ورقة هذا كما قالت الجن: (يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق إلى طريق مستقيم) [الاحقاف: ٣٠]. ثم قال ورقة: يا ليتني فيها جذعا. أي يا ليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الايمان والعلم النافع والعمل الصالح، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك يعني حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أو مخرجي هم؟ " قال السهيلي وإنما قال ذلك، لان فراق الوطن شديد على النفوس، فقال: نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي،

(١) قال التيمي في شرح الكرماني: لم يصب الخطابي إذ حكم على اللفظة الصحيحة بالخطأ فإن الصواب ما اشتهر بين أصحاب الحديث ورواه الرواة. ١ / ٣٧. (٢) تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل قد عادت عليه لخم فقتلوه وكان ذلك قبل المبعث. راجع سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٤ وما بعدها. (٣) في سيرة ابن هشام: قدوس قدوس، أي طاهر طاهر.

[١٤]

وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله: " ثم لم ينشب ورقة أن توفي " أي توفي بعد هذه القصة بقليل (١)

رحمه الله ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل. وقد قال الامام أحمد: حدثنا حسن، عن ابن لهيعة، حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة، أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل فقال: " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض ". وهذا إسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلًا فالله أعلم وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس عن إسماعيل عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال: " قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس ". وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: " يبعث يوم القيامة أمة وحده ". وسئل عن أبي طالب فقال: " أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحاح منها " وسئل عن خديجة لانها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال: " أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب " (٢) إسناد حسن ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين " (٣) وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا إسناد جيد. وروى مرسلًا وهو أشبه. وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة: " إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر ". قالت: معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الامانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس

(١) قال ابن اسحاق في السيرة عن هشام بن عروة عن أبيه: ١ / ٣٤٠ أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وهو يقول: أحد أحد.. وهذا يقتضي أن ورقة تأخر إلى زمن الدعوة وإلى أن دخل بعض الناس في الاسلام. وعلق ابن حجر قال: فإن تمسكتنا بالترجيح فما في الصحيح أصح. (٢) روى الاحاديث عن جابر الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٤١٦ وقال: رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهذا مما مدح من حديث مجالد وبقيته رجاله رجال الصحيح. وأخرج الحاكم جزءًا منه وصححه في المستدرک ٣ / ٤٣٩ - ٤٤٠. (٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٤١٦ وقال: رواه البزار متصلًا ومرسلًا. ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح. وروى عن أسماء بنت أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة فقال يبعث يوم القيامة أمة وحده. قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

[١٥]

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت له خديجة [حديثه له] فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده أبو بكر. فقال: انطلق بنا إلى ورقة قال: " ومن أخبرك ؟ " قال خديجة فانطلقا إليه فقضا عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد فانطلق هاربا في الارض ". فقال له لا تفعل. إذا أتاك فاثبت، حتى تسمع ما يقول لك ثم أئتنني فأخبرني. فلما خلا ناداه يا محمد قل: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ: " ولا الضالين) قل لا إله إلا الله. فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة: ابشر ثم ابشر. فإنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم، وأنك على مثل ؟ موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لجاهدن معك. فلما توفي [ورقة]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد رأيت النفس في الجنة عليه ثياب الحرير، لانه آمن بي وصدقني " يعني ورقة.

هذا لفظ البيهقي (١) وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الايمان وعقده عليه وتأكده عنده، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظله في هجير القبط. فقال ورقة في ذلك أشعارا قدمناها قبل هذا، منها قوله: لجت وكنت في الذكرى لجوجا * لامر طالما بعث النشيجا (٢) ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظاري يا خديجا بطن المكتنين على رجائي * حديثك أن أرى منه خروجا بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يعوجا بأن محمدا سيسود قوما * ويخصم من يكون له حجيجا ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تعوجا (٣) فيلقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمة فلوجا فيا ليتي إذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت أولهم ولوجا ولو كان الذي كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا (٤) أرجي بالذي كرهوا جميعا * إلى ذي العرش إذ سفلوا عروجا فإن يبقوا وأبق تكن أمور * يضح الكافرون لها ضجيجا (٥)

(١) الحديث في دلائل النبوة للبيهقي ج ١ / ١٥٨ - ١٥٩ وما بين معكوفين في الحديث من الدلائل. وعلق البيهقي في آخر الحديث قال: فهذا منقطع، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خيرا عن نزولها - أي سورة الفاتحة - بعدما نزلت عليه، اقرأ باسم ربك ويا أيها المدثر والله أعلم. (٢) في سيرة ابن هشام: لهم بدل لامر. (٣) في السيرة: إن تموجا بدل أن تعوجا. (٤) في السيرة: ولوجا في الذي كرهت قريش. (٥) في نسخ البداية المطبوعة يكن أمورا وهو تحريف والصواب اثبتناه من السيرة لابن هشام. (*)

[١٦]

وقال أيضا في قصيدته الأخرى: وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه إذا غاب ناصح (١) بأن ابن عبد الله أحمد مرسل * إلى كل من ضمت عليه الأباطح وطني به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هود وصالح وموسى وإبراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الحق واضح (٢) ويتبعه حيا لؤي بن غالب * شبابهم والاشبيون الجحاح (٣) فإن ابق حتى يدرك الناس دهره * فاني به مستبشر الود فارح وإلا فاني يا خديجة فاعلمي * عن أرضك في الأرض العريضة سائح وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ورقة: فإن بك حقا يا خديجة فاعلمي * حديثك إيانا فأحمد مرسل وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحي يشرح الصدر منزل يفوز به من فاز فيها بتوبة * ويشقى به العاني الغرير المضلل (٤) فريقان منهم فرقة في جنانه * وأخرى بأحواز الجحيم تغلل (٥) إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت * مقامع في هاماتهم ثم تشعل (٦) فسبحان من يهوي الرياح بأمره * ومن هو في الايام ما شاء يفعل ومن عرشه فوق السموات كلها * وأقضاؤه في خلقه لا تبدل

(١) القصيدة في دلائل النبوة للبيهقي ج ١ / ١٢٧ وذكرها السهيلي في الروض الانف ١ / ١٢٧ وقال إنهما: من رواية يونس عن ابن إسحاق وقيله بيتان: أتبكر أم أنت العشيبة رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن فادح لغرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح وبعده: بفتاك الذي وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاح إلى سوق بصرى والركاب التي غدت * وهن من الاحمال مقص دوالج يخبرنا عن كل حير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتيح (٢) في الدلائل: من الذكر واضح. (٣) في الدلائل: لؤي جماعة. (٤) في دلائل البيهقي: ويشقى به العاني الغوي المضلل. (٥) في دلائل البيهقي: وأخرى ياخوان الجحيم تغلل وما اثبتناه مناسب أكثر. (٦) في دلائل البيهقي: في هاماتها بدل هاماتهم. (*)

وقال ورقة أيضا: يا للرجال وصرف الدهر والقدر * وما لشيئ قضاه الله من غير حتى خديجة تدعوني لآخرها * أمرا أراه سيأتي الناس من آخر (١) وخيرتني بأمر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الدهر والعصر بأن أحمد يأتيه فيخبره * جبريل أنك مبعوث إلى البشر فقلت عل الذي ترجين ينجزه * لك الاله فرجي الخير وانتظري وأرسله إلينا كي نسائله * عن أمره ما يرى في النوم والسهر فقال حين أتانا منطلقا عجبا * يقف منه أعالي الجلد والشعر إني رأيت أمين الله واجهني * في صورة أكملت من أعظم الصور (٢) ثم استمر فكاد الخوف يذعرنني * مما يسلم من حولي من الشجر فقلت ظني وما أدري أصدقني * ان سوف يبعث بتلو منزل السور وسوف يبليك إن اعلنت دعوتهم * من الجهاد بلا من ولا كدر هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم (٣). وقال ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبيدالله (٤) بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان وإعية (٥) - عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وإبتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت (٦) ويفضي إلى شعاب مكة ويطون أوديتها، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله (٧). قال فيلتفت حوله عن

(١) في البيهقي: حتى خديجة تدعوني لآخرها * وما لها بخفي الغيب من خير جاءت لتسألني عنه لآخرها * أمرا أراه سيأتي الناس من آخر (٢) في الدلائل: أهيب بدل أعظم. (٣) قال البيهقي في إيراده الآيات: يزعمون أن ورقة قال، وفيه تشكيك لدى البيهقي في نسبتها لورقة. (٤) في نسخ البداية المطبوعة: عبد الله، وما أثبتنا - صوابا من سيرة ابن هشام. (٥) في نسخ البداية: داعية، والصواب اثبتناه في ابن هشام. (٦) في نسخة البداية المطبوعة: لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه، وهو تحريف واثبتنا الصواب من سيرة ابن هشام. (٧) قال السهيلي: الأظهر في هذا التسليم أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه انطاقا كما خلق الحنين في الجذع.. إلى أن قال - ولو قدرت صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أي ذلك كان: أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمنا، أو = (*)

يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث [رسول الله صلى الله عليه وسلم] كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في [شهر] رمضان قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد، كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة، حين جاءه جبريل قال: فقال عبيد وأنا حاضر - يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس -: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا بتحنث قال وكان ذلك مما يجب به قريش في الجاهلية. والتحنث التبرز. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به، إذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله [تعالى] به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر [شهر] رمضان، خرج [رسول الله صلى الله عليه وسلم] إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد به، جاءه جبريل بأمر الله تعالى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فجاءني [جبريل]

وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. فقال اقرأ ؟ قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، [قال]: قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت ما اقرأ ؟ قال فغتنني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني. فقال اقرأ قلت: ماذا اقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتدا منه أن يعود لي بمثل ما صنع (١) بي فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم). قال فقرأتها ثم انتهى وانصرف عني وهيبت من نومتي فكأنما كتب في قلبي كتابا (٢). قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. فوفقت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في أفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا [أعلى] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكانتي ذلك ثم انصرف عني. وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة

= كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة، وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة. (١) العبارة في الدلائل البيهقي: وما اقرأ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع، وفي نسخ البداية المطبوعة: اقتداء وهو تحريف. (٢) زاد البيهقي: ولم يكن في خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون فكنت لا أطيق أنظر إليهما.. راجع دلائل النبوة ج ٣ / ١٤٧ - ١٤٨.

[١٩]

فجلسيت إلى فخذها مضيغا (١) إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي. ثم حدثتها بالذي رأيته، فقالت أبشر يا ابن العم وأثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة، وقولي له: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيته وسمعت فأخبره، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى، ولتكذبه ولتؤذبه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله " (٢). وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم. وقال موسى بن عقيب: عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: وكان فيما بلغنا أول ما رأى - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام، فشق ذلك عليه فذكرها لامراته خديجة فعصمها الله عن التكذيب، وشرح صدرها للتصديق، فقالت: أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيرا، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر، ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم

معجب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أحلسني على بساط كهيئة الدرنوك (٣) فيه الياقوت واللؤلؤ فيبشره برسالة الله عزوجل حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل اقرأ فقال كيف اقرأ فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم). قال: ويزعم ناس أن " يا أيها المدثر " أول سورة نزلت عليه والله أعلم. قال فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه وأتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسرورا موقنا أنه قد رأى أمرا

(١) مضيئا: أي ملتصقا، يقال أضفت إلى الرجل: إذا ملت نحوه ولصقت به. (٢) الخبر بطوله رواه ابن إسحاق في السيرة ج ١ / ٢٥٠ وما بعدها. وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٤٦ وما بعدها. وابن سعد في الطبقات ١ / ١٥٧ والذهبي في تاريخ الاسلام ٢ / ٧١ والترمذي في المناقب ٥ / ٥٩٣ والدارمي في المقدمة، وأحمد في مسنده ٥ / ٨٩. (٣) الدرنوك: ستر له حمل وجمعه درناك (*).

[٢٠]

عظيما فلما دخل على خديجة قال أرأيتك التي (١) كنت حدثتك أني رأيت في المنام فإنه جبريل استعلن إلي، أرسله إلي ربي عزوجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه، فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا، وأقبل الذي جاءك من أمر الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقا. ثم انطلقت من مكانها فأنت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس، فقالت له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التي أهلها أهل الاوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام. فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقاه إليه جبريل. فقال لها ورقة: يا بنية أخي (٢) ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل، وأقسم بالله لان كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حي لا بليين الله في طاعه رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر. فمات ورقة رحمه الله. قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الحافظ البيهقي (٣) بعد إيراده ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه، يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه، يعني شق بطنه عند حليلة، ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي. قال: بلغنا أن الله تعالى بعث محمدا رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شئ اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه. فقال: اللهم احطط وزره، واشرح صدره، وطهر قلبه، يا محمد أبشر ! فإنك نبي هذه الامة. اقرأ فقال له نبي الله: وهو خائف يرعد - ما قرأت كتابا قط، ولا أحسنه وما أكتب وما اقرأ فأخذه جبريل فغته غتا شديدا ثم تركه، ثم قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الآيات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومي
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خائف فاتاه

(١) في دلائل البيهقي: الذي، وهو مناسب أكثر. (٢) الثابت أن خديجة ابنة عم ورقة،
فهي بنت خويلد بن أسد وورقة بن نوفل بن أسد. وما قوله: يا بنية أخي إلا دليلا على
مدى احترامها وتقديرها له، والمكانة التي له في نفسها. (٣) دلائل النبوة ج ٢ / ١٤٦.
(*)

[٢١]

جبريل من أمامه وهو في صعرته (١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرا عظيما ملا صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد: جبريل
رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله
فإنك رسول الله فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر على
شجر ولا حجر إلا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله.
فاطمانت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة
أبصرت ما بوجهه من تغير لونه فافزعها ذلك، فقامت إليه فلما دنت
منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع
قبل اليوم، فقال يا خديجة: رأيت الذي كنت أرى في المنام، والصوت
الذي كنت أسمع في اليقظة وأهال منه فإنه جبريل قد استعلن لي
وكلمني وقرأني كلاما فرغت منه ثم عاد إلي فأخبرني أنني نبي
هذه الامة، فأقبلت راجعا فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام
عليك يا رسول الله. فقالت خديجة: أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله
لن يفعل بك إلا خيرا وأشهد أنك نبي هذه الامة الذي تنتظره اليهود،
قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيري الراهب، وأمرني أن أتزوجك منذ
أكثر من عشرين سنة. فلم تزل برسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة
فلما دنت منه وعرفها. قال: مالك يا سيدة نساء قريش؟ فقالت:
أقبلت إليك لتخبرني عن جبريل؟ فقال: سبحان الله ربنا القدوس ما
بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الاوثان جبريل أمين
الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى، فعرفت
كرامة الله لمحمد ثم أتت عبدا لعنتية بن ربيعة يقال له عداس
فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد. قال: جبريل كان
مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه، وكان معه حين كلمه الله
على الطور، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به. ثم قامت
من عنده فانت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك
ثم سألتها ما الخير فأحلفته أن يكتب ما تقول له فحلف لها فقالت له
إن ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ما كذب، ولا كذب أنه
نزل عليه جبريل بحراء، وأنه أخبره أنه نبي هذه الامة، وأقرأه آيات
أرسل بها. قال: فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت
قدماه على الارض لقد نزل على خير أهل الارض، وما نزل إلا على
نبي وهو صاحب الانبياء والرسل، يرسله الله إليهم وقد صدقتك عنه،
فارسلي إلي ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه فأني أخاف
أن يكون غير جبريل فإن بعض الشياطين ينتشبه به ليضل به بعض
بنبي آدم ويفسداهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها
مجنونا. فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا
خيرا فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قال
ورقة فأنزل الله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك
بمجنون) الآيات. فقال لها: كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن
تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه فجاءه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور أو ظلمة؟ فأخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة جبريل وما رآه من عظمته
وما أوحاه إليه. فقال ورقة:

[٢٢]

أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشئ تبلغه قومك وإنه لأمر نبوة فإن أدرك زمانك أتبعك ثم قال أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به. قال: وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على الملا من قومه قال وفتى الوحي. فقالوا: لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله فأنزل الله والضحي وألم نشرح بكما لهما. وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس عن ابن إسحاق [قال]: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه (١) مما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. فقال نعم ! فقالت: إذا جاءك فأخبرني. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا خديجة ! هذا جبريل فقالت: أتراه الآن ؟ قال: نعم ! قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن، فتحول فجلس، فقالت أتراه الآن ؟ قال: نعم ! قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول [رسول الله صلى الله عليه وسلم] فجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن ؟ قال: نعم ! فتحسرت رأسها فشالت (٢) خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن ؟ قال: لا. قالت ما هذا بشيطان إن هذا لملك يا ابن عم فائت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق. قال ابن إسحاق: فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمة فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عندك ذلك جبريل عليه السلام. قال البيهقي: وهذا شئ كان من خديجة تصنعه (٣) تستثبت به الأمر احتياطا لدينها وتصديقا. فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان [قد] وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم (٤) تسليمًا. وقد قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إني

(١) في دلائل البيهقي: تثتته. (٢) في البيهقي: فألقت. (٣) في البيهقي: كانت خديجة - رضي الله عنها - تصنعه. (٤) زاد البيهقي: وما كان من إجابة الشجر لدعائه وذلك بعدما كذبه قومه وشكاهم إلى جبريل عليه السلام فأراد أن يطيب قلبه. الحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص ١٧٢ و ١٧٤. والبيهقي في دلائله ج ٢ / ١٥١ - ١٥٢ (*).

[٢٢]

لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لاعرفه الآن " (١). وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن بمكة لحجرا كان يسلم علي ليالي بعثت. إني لاعرفه إذا مررت عليه " (٢). وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن

السدي الكبير، عن عباد بن عبد الله، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (٣). وفي رواية لقد رأيتني أدخل معه [يعني النبي صلى الله عليه وسلم -] الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليكم يا رسول الله. وأنا أسمعه. فصل قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. وفي الصحيحين (٤) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: سمعت أبا سلمة عبد الرحمن، يحدث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال: فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء [والارض] فجنبت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجنبت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله: (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) [المدثر: ١ - ٥] قال ثم حمي الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة

(١) تقدم تخريجه فليراجع. (٢) رواه الترمذي في المناقب (٥ / ٥٩٣) والدارمي في المقدمة وأحمد في مسند ٨٩ / ٥ وابن سعد في الطبقات ١ / ١٥٧، وابن هشام في السيرة ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣. (٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ / ١٥٣ - ١٥٤ وأخرجه الترمذي في ٥٠ كتاب المناقب حديث ٣٦٢٦ وفيه: " عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب وقال: هذا حديث غريب. (٤) البخاري في ٦٥ كتاب التفسير (٤) باب فتح الباري ٨ / ٦٧٨ و (٥) باب. ومسلم في ١ كتاب الايمان (٧٣) باب بدء الوحي حديث ٣٥٣ وحديث ٢٥٥. صحيح مسلم ١ / ١٤٣. وأخرجه الترمذي في تفسير سورة المدثر. وأحمد في مسنده ٢ / ٣٢٥. - فترة الوحي: يعني احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول. فجنبت، هكذا بالاصول وفي الطبري: فجنبت وفي رواية: فجنبت. وفي البخاري فرغت، وفي مسلم فجنبت: أي فرغت وخفت كما في نهاية غريب الحديث. (*)

[٢٤]

الوحي لا مطلقا (١)، ذاك قوله: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجئ الملك الذي عرفه ثانيا بما عرفه به أولا إليه. ثم قوله: يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الأيحاء والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والاوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال: (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل فقال (يا أيها المدثر) فقلت (واقرأ باسم ربك) فقال [أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنني جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارتي نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئا ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني رعدة - أو قال وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدنوثني فأنزل الله: (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) (٢) - وقال في رواية - فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجنبت منه " وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم. ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة: (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) إلى

آخرها. قاله محمد بن إسحاق. وقال بعض القراء: ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولها فرحا وهو قول بعيد يرد ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحي: (يا أيها المدثر قم فأندر) ولكن نزلت سورة والضحي بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة كما ثبت في الصحيحين (٣) وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا فقالت امرأة ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل الله: (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة. وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصفا، والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره، ولا ينفي هذا تقدم إحياء جبريل إليه أولا: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ثم اقترن به جبريل بعد نزول: (يا أيها المدثر قم فأندر

(١) أي أن أول ما نزل مطلقا هو اقرأ. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١ كتاب الايمان حديث ٢٥٧ / ١ / ١٤٤. وفيه: أخذتني رجة شديدة: قال القاضي: ورواه، السمرقندي وجفة، والمعنى الاضطراب. وأخرجه البخاري في ٦٥ كتاب التفسير (٧٤) باب حديث ٤٩٢٢ وأعادته في تفسير سورة العلق عن سعيد بن مروان في قصة فتور الوحي. وفي كتاب بدء الخلق. ورواه الطبري في تاريخه ٢ / ٢٠ / ٨ دار القاموس الحديث. (٢) أخرجه البخاري في أبواب التهجد الحديث ١١٢٥ فتح الباري ٣ / ٨ وفي ٦٥ كتاب التفسير الحديث ٤٩٥٠ فتح الباري ٨ / ٧١٠ وأخرجه مسلم في الصحيح ١ / ١٤٢ (*).

[٢٥]

وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) وثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع - أي تدارك شيئا بعد شئ - وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد، والاحرار والعبيد، فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم (١). وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضي الله عنه. فصل في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفا واحدا فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجهم عن السماء كما قال الله تعالى إخبارا عنهم في قوله: (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) [الجن: ٨ - ١٠]. وقال تعالى: (وما ننزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) [الشعراء: ٢١٠ - ٢١١]. قال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مریم، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس. قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فتكون باطلا، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس هذا لأمركم قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين فاتوه فأخبروه فقال: هذا الأمر الذي قد حدث في

(١) قال الطبري: اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمن به وصدقه. بعد زوجته خديجة، فقال بعضهم كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام. ٢ / ٢١٠ ونقل عن الواقدي قال: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر في أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة أيهم أسلم أول. ٢ / ٢١٥. وقال ابن إسحاق: أسلم علي وكنتم إسلامه ولم يظهره قريبا من شهر وقال القرظي أول من أظهر الإسلام أبو بكر وكان علي يكتنم إسلامه.. (أنظر الطبري ٢ / ٢١٠ وما بعدها ودلائل سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٢ - البيهقي ٢ / ١٦٠ وما بعدها). (*)

[٣٦]

الارض (١). وقال أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: [ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الجن وما رأيهم] (٢) انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين، وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما ذلك إلا من شئ حدث (٣) فاضربوا مشارق الارض ومغاريها، فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشده فأمننا به ولن نشرك بربنا أحدا) [الجن: ٢] فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم: (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) [أول سورة الجن] الآية. أخرجاه في الصحيحين (٤) وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديد ألقيتها على الصفا (٥)، قال: فإذا سمعت الملائكة خروا سجدا فلم يرفعوا رؤسهم حتى ينزل، فإذا نزل قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا الحق وهو العلي الكبير، وإن كان مما يكون في الارض من أمر الغيب أو موت أو شئ مما يكون في الارض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم فلما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة، وذا الابل فينحر كل يوم بعيرا فأسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا فإن كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فإنه لامر حدث فنظروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي لم يزل منها شئ فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا: انصتوا وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه. فقال: هذا حدث حدث في الارض فأتوني من كل أرض بترية فأتوه بترية تهامة (٦) فقال ههنا الحدث. ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن (هامش ٢٦) (١) أخرجه أحمد في مسنده. (٢) من صحيح مسلم. ولم ترد العبارة في البخاري. (٣) العبارة في دلائل البيهقي: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شئ حدث. (٤) صحيح البخاري: ٦٥ كتاب التفسير تفسير سورة الجن فتح الباري ٨ / ٦٦٩. صحيح مسلم في ٤ كتاب الصلاة ٣٣ باب ح ١٤٩ ص: ١ / ٣٣٣١. وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الجن وقال: حسن صحيح. وأخرجه النسائي في سننه في كتاب التفسير. (٥) في البيهقي: صوت كإمرار السلسلة على الصفوان. (٦) في البيهقي: بترية مكة رواه البيهقي بتغيير في التعابير والالفاظ في الدلائل ج ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١. (*)

سلمة عن عطاء بن السائب. وقال الواقدي: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم، عن عمر بن عبدان العيسوي، عن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فرأت قريش أمرا لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرفاءهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف. قال: ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا: فإن تكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لامر قد حدث فنظروا فإذا هي لا تعرف فأخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي. فما مكتوا إلا يسيرا حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان: ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل، فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها. وقال سعيد بن منصور عن خالد عن (١) حصين عن عامر الشعبي. قال: كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث [الله] (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم [فرمى بها] (٣) صلى الله عليه وسلم فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم. فقال عبد ياليل: أنظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهي (٣) عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لامر قد حدث فنظروا فإذا هي لا تعرف. قال: فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاءهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي (٤) عن ابن عباس قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه. فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس [في نفر من أصحابه] (٥) إذ رمى بنجم فاستنار فقال: " ما كنتم تقولون (٦) إذا رمى بهذا؟ " قال كنا نقول مات عظيم، وولد عظيم فقال: " لا ولكن ". فذكر الحديث كما تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد (٧). وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر

(١) في نسخ البداية المطبوعة " بن " وهو تحريف وما أثبتناه من دلائل النبوة للبيهقي حيث نقل الخبر. (ج ٢ / ٢٤١). (٢) من دلائل النبوة. (٣) في نسخ البداية المطبوعة: " فهو " وهو تحريف، وأثبتنا ما في الدلائل. (٤) في دلائل البيهقي ٢ / ٢٤١: قال أخبرنا محمد بن سعد بن محمد العوفي، قال حدثني أبي، قال: حدثني عمر الحسين بن الحسن بن عطية قال: حدثني أبي عن أبيه عطية بن سعد عن ابن عباس. (٥) ما بين معكوفين استدركت من الدلائل. (٦) أي ما كنتم تقولون في الجاهلية؟ (٧) راجع الحديث في سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٢٠. وتفسير قوله (لا ولكن). (*)

في النجوم: إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية (١) فالله أعلم. وقال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا رجموا ليلة من الليالي، ففرغ لذلك أهل الطائف. فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرفاءهم، ويسيبون مواشيهم. فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن

أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من ابن أبي كبشة، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء فنظروا فراوها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام (٢) يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكسا فأتت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكسا، قال هذا نبي قد بعث فالتمسوه في قرى الأرياف فالتمسوه فقالوا: لم نجده، فقال: أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودي عليك بجنبة الباب - يعني مكة - فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال: إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم؟ قالوا: نزين الشهوات في عين أصحابه ونحبها إليهم قال: فلا أسى إذا. وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عمرو قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجأوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال: أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج نبي إسرائيل، قال: فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد فقال إبليس أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرًا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال: قد بعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم؟ قالوا: الدنيا نحبها إلى الناس قال فذاك إذا. قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء بن عباس. قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فأرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي خلف المقام. فقال: اذهب فاكسر عنقه. فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هاربا. ثم

(١) نقل الخبر ابن سعد في الطبقات ١ / ١٦٣ عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس، وفيه عمرو بن أمية، (٢) في دلائل البيهقي من رواية عطية بن سعد عن ابن عباس: بطن نخلة. والخبر في سبل الهدى والرشاد ٢ / ٢٦٧. (*)

رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رياح بن أبي معروف، عن قيس بن سعد، عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن. فصل في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة، وثاني مرة أيضا وقال مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة (١) الجرس - وهو أشده علي - - فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي ما يقول ". قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البارد، فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به (٢) ؟ ورواه الامام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه. وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة، وقد رواه أيوب السخيتاني عن

هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف يأتيك الوحي؟ فذكره، ولم يذكر عائشة. وفي حديث الافك قالت عائشة: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه. فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرني يونس بن سليم، قال: أُملي علي يونس بن يزيد، عن ابن شهاب عن عروة عن (٣) عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل،

(١) في نسخة البداية المطبوعة صلصلة وهو تحريف، وما أثبتنا من صحيح البخاري، (٢) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي ٢ باب حديث ٢ فتح الباري ١ / ١٤. ومسلم في ٤٣ كتاب الفضائل ٣٣ باب ح ٨٧ ص ١٨١٧. ومالك في الموطأ في ١٥ كتاب القرآن ٤ باب. - صلصلة الجرس: في الاصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض. وقال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل هو صوت حفيف أجنحة الملك. - فيفصم عني، وعند مسلم: ثم يفصم عني. قال الخطابي: " قال العلماء: الفصم هو القطع من غير إبانة. وأما الفصم فهو القطع مع الابانة والانفصال. ومعنى الحديث: ان الملك يفارقة على أن يعود، ولا يفارقه مفارقة قاطع لا يعود ". (٣) في نسخ البداية المطبوعة: عروة بن عبد الرحمن وهو تحريف، وفي دلائل البيهقي: عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن. (*)

[٢٠]

وذكر تمام الحديث (١) في نزول: (قد أفلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق، ثم قال النسائي: منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم، ولا نعرفه (٢). وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتريد وجهه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه (٣). وفي الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت: (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت: (غير أولى الضرر) (٤). قال وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذته ترض فخذي. وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى، عن عطاء، عن يعلى بن أمية. قال: قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة، فإذا هو محمر الوجه. وهو يغط كما يغط البكر. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: " إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكين ". فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عباد بن منصور، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم. وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت: يا

(١) تمام الحديث في مسند أحمد ج ١ / ٣٤. (٢) عبارة النسائي: لا أعرفه، والمعنى هنا يقتضي إدخال الترمذي فيه، والحديث رواه الترمذي في جامعه ٤ / ١٥١ - ١٥٢ وقال: من سمع عبد الرزاق قديماً فإنهم يذكرون فيه عن يونس بن يزيد وبعضهم لا يذكر فيه عن يزيد بن يونس ومن ذكر فيه يونس بن يزيد فهو أصح". ويونس "الصنعاني" ذكره ابن حبان في الثقات، قال في التهذيب عن النسائي: ثقة. وصح الحديث الحاكم ووافقه الذهبي وهذا دليل على توثيق يونس بن سليم الذي روى عن يونس بن يزيد. (٣) صحيح مسلم في ٤٢ كتاب الفضائل ٢٣ باب ح ٨٨ ص ٤ / ١٨١٧، وأعادته مسلم في ٢٩ كتاب الحدود ٣ باب ح ١٣ ص ٣ / ١٣١٦. وأخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٣١٧ - ٣١٨ - ٣٣١ - ٣٣٧. - تزيد وجهه: يعني تغير وعلمته غيراً وإنما حصل ذلك لعظم موقع الوحي وشدته. (٤) رواه الهيثمي عن زيد بن أرقم في مجمع الزوائد ٧ / ٩ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات. ورواه أيضاً عن ابن عباس وفيه: أنها في قوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغزون معه لاسقام وأمراض وأوجاع وآخرون أصحاء.. فكان المرضى في عذر من الأصحاء وقال: رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات.

[٢١]

رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: " نعم إسمع صلاصلا ثم أثبت عند ذلك، وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تغيظ منه ". وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا إبراهيم بن الحجاج، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم بن كليب، حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة، وفرغ سمعه وقلبه، لما يأتيه من الله عزوجل (١). وروى أبو نعيم من حديث قتبية، حدثنا علي بن غراب، عن الاحوص بن حكيم، عن أبي عوانة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جداً. وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية سنان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد. قالت: إنني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة (٢). وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الامام أحمد أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها (٣). وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الاحول: حدثني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم (٤). وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه صلى الله عليه وسلم في أول شرح البخاري وما ذكره الحلبي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم. فصل قال الله تعالى: " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) [القيامة: ١٦ - ١٩] وقال تعالى: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه، وقل رب زدني علماً) [طه: ١١٤] وكان هذا في الابتداء، كان عليه السلام من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عزوجل ليساوقه في التلاوة، فأمره الله

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٩ عن العليان بن عاصم. وقال رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه والطبراني بنحوه، ورجال أبي يعلى ثقات. (٢) رواه؟ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٣ وقال: وفي رواية رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق. (٣) رواه الهيثمي وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة والأكثر على ضعفه وقد يحسن حديثه، وبقيته رجاله ثقات. (٤) أخرج الحديث البخاري في صحيحه في ٦٥

[٢٢]

تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن يبسر عليه تلاوته وتبليغه، وأن يبينه له، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه. ولهذا قال: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما) وقال: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرأه) أي وأن تقرأه (فإذا قرأناه) أي تلاه عليك الملك (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وتدبره (ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله (وقل رب زدني علما). وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفثيه، فأنزل الله (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزوجل (١). فصل قال ابن إسحاق: ثم تتابع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو [مؤمن بالله] مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله - على رضا العباد وسخطهم - وللنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها ولا يستصلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل، يعون الله وتوفيقه لما يلغون من الناس، وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله عزوجل فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر الله، على ما يلقي من قومه من الخلاف والاذى. قال ابن إسحاق: وأمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاءه منه، فخفف الله بذلك عن رسوله [صلى الله عليه وسلم]، لا يسمع شيئا [مما] يكرهه من رد عليه، وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبتته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها. قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر [بن أبي طالب رضي الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب ". وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام (٢). قال ابن

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ١ / ٤ وفي كتاب التوحيد ٩ / ١٨٧ من طريق قتبية بن سعيد. وأخرجه مسلم في ٤ كتاب الصلاة ٢٢ باب ح ١٤٨ ص ١ / ٣٣٠. والترمذي مختصرا في كتاب التفسير ٥ / ٤٣٠ وقال حسن صحيح. والنسائي في الافتتاح ٢ / ١٤٩. وابن حبان في صحيحه في (٢) كتاب الوحي ح (٢٩). - (ثم إن علينا بيانه): أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة. كما جاء في تفسير القرطبي ١٩ / ١٠٦. (٢) الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٥٧. وما بين معكوفتين في الخبر زيادة من السيرة. والحديث هنا مرسل، وقد = (*)

[٢٢]

هشام: القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف. قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله. وقال موسى بن عقيب عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة. قلت: يعني الصلوات الخمس ليلة الاسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه. وقال ابن إسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله،

وصدق بما جاء به. ثم أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو بأعلى مكة] (١) حين افتضت عليه الصلاة فهمز له يعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت له عين من ماء زمزم (٢)، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى (٣) ركعتين وسجد أربع سجعات، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يجب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات، ثم كان هو وخديجة يصليان سرا (٤). قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضها ليلة الاسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

(١) = أخرجه عن هشام عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربه أن يبشرها بيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب. أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب المناقب ٢٠ باب حديث ٢٨١٧ وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٧١، ٧٢، ٧٣. والامام أحمد في مسنده ٥٨ / ٦ / ٢٠٢، (٢٧٩). (١) ما بين معكوفين سقطت من نسخ البداية المطبوعة ومن دلائل البيهقي واستدركت من سيرة ابن هشام. ج ١ / ٢٦٢ من طريق يونس بن بكير. (٢) في دلائل البيهقي: مزن. (٣) في دلائل البيهقي: صليا. وسجدا. (٤) الخبر في سيرة ابن هشام بالفاظ وتعابير مختلفة، حافظت على سياق معنى ما أثبتناه. وقال السهيلي: هذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الاحكام الشرعية، ولكنه قد روي مسندا إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أن هذا الحديث المسند يدور على ابن لهيعة، وقد ضعفه ولم يخرج عنه (البخاري ومسلم). وقال السهيلي: " وذكر المزني أن الصلاة قبل الاسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا القول قوله سبحانه (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس. (*)

[٢٤]

فصل أول من أسلم من متقدمي الاسلام والصحابة وغيرهم قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال علي يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته. وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فليست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم. فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الاسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد ؟ فقال. له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الانداد " ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم علي إسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة - يعني زيدا - فمكثا قريبا من شهر يختلف علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام (١). قال ابن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد (٢). قال: وكان مما أنعم الله به على علي [ومما صنع الله له، وأراد به من الخير] أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة العباس - وكان من أيسر بني هاشم - " يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة (٣)، فانطلق [بنا إليه] حتى نخفف عنه من عياله "... فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيا، فاتبعه علي وأمن به وصدقه (٤). وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني

(١) نقل الخبر عن ابن اسحاق البيهقي في دلائله ٢ / ١٦١ وقال محققه في هامشه " في سيرة ابن هشام " ولم أجده في ابن هشام بنصه. (٢) وهو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادة الأربعة. مولده سنة ٢١ هـ ووفاته سنة ١٠٤ هـ. وورد في دلائل البيهقي: مجاهد بن مجاهد بن جبر. وهو خطأ. وفي الطبري: مجاهد بن جبر أبي الحجاج (تهذيب التهذيب - كاشف الذهب ج ٣). (٣) الازمة: الشدة. هنا سنة الفحط. (٤) الخبر في الطبري ٢ / ٢١٣ دار القاموس - وسيرة ابن هشام ١ / ٢٦٤. وما بين معكوفين زيادة استدركت من الطبري وابن هشام. (*)

[٢٥]

يحيى بن أبي الاشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني إسماعيل بن أبي إياس (١) بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لامه - أنه قال: كنت امرأة تاجرا فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجرا، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال فيينا نحن [عنده] إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت [معه] تصلي، وخرج غلام فقام يصلي معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله [به]، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتنى كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا (٢). وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وقال: في الحديث: إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي. ثم ذكر قيام خديجة وراءه. وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبيدة البجلي عن يحيى بن عفيف [عن عفيف] قال: جئت زمن الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى بصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلا فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه، فقلت يا عباس أمر عظيم! فقال أمر عظيم. فقال أتدري من هذا؟ فقلت لا، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من الغلام؟ قلت لا. قال هذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت لا، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه، وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. وقال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا عيسى بن سوادة بن أبي الجعد (٣) حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي. قالوا: علي أول من أسلم. قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين. وحدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق. قال: أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّى معه وصدقته علي بن

(١) في الطبري والبيهقي بن إياس. (٢) في الطبري ودلائل البيهقي: ثالثا. وهو مناسب أكثر، وفي رواية أخرى في الطبري: رابعا. والخبر نقله الطبري في تاريخه ٢ / ٢١٢ والبيهقي في دلائله ٢ / ١٦٣ وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير عن علي بن المديني، والحاكم في المستدرک وقال: " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخبراه " ووافقه الذهبي. ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والطبراني بأسانيده ورجال أحمد ثقات ٩ / ١٠٣. وما بين معكوفتين في الحديث زيادة من الطبري. (٣) في الطبري: بن الجعد، بدل ابن أبي الجعد، وكلاهما صواب كما في تقريب التهذيب ١ / ٣٣٩. (*)

أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام (١). قال الواقدي أخبرنا إبراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين قال الواقدي: وأجمع أصحابنا على أن عليا أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة (٢). وقال محمد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي، وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان علي يكتُم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه قال أسلمت؟ قال: نعم! قال وازر ابن عمك وانصره. قال: وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الاسلام (٣). وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس. قال: أول من صلى علي. وحدثنا عبد الحميد بن يحيى (٤) حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر. قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الانصار - سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب قال فذكرته للنخعي فأنكره. وقال: أبو بكر أول من أسلم. ثم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء بن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت عليا يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن إسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي - وهو شيعي من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي - وثقوه، ولكن قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة - وقال علي بن المديني روى أحاديث منكري والمنهال بن عمرو ثقة. وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الاسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث، وقال البخاري فيه نظر. وذكره ابن حبان في الثقات، وهذا الحديث منكر بكل حال، ولا يقوله علي رضي الله عنه، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم. وقال آخرون: أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق، والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السباقيات - وقيل الرجال أيضا - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش

(١) الخبير في الطبري ١ / ٢١٣ وسيرة ابن هشام ١ / ٢٦٢. (٢) الطبري ٢ / ٢١٤. (٣) نقل الخبر البيهقي في الدلائل ٢ / ١٦٣. (٤) في الطبري: ابن بحر. أبو بلج: بفتح أوله وسكون اللام بعدها جيم، الفزاري، الكوفي ثم الواسطي الكبير اسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم أو ابن أبي الاسود، صدوق. تقريب التهذيب ٢ / ٤٠١. (*)

مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الاسلام. وكان محبباً متألفاً (١) يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله. قال يونس عن ابن إسحاق ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلها، وتسفبهك عقولنا، وتكفرك آياتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلى إني رسول الله ونبيه، بعثني لابلغ رسالته وأدعوك

إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاتة على طاعته " وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر. فأسلم وكفر بالانصام، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق. قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما دعوت أحدا إلى الاسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه (٢) حين ذكرته، ولا تردد فيه " (٣) عكم - أي تلبث - وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر، منكر فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه، ما يمنعه من الكذب على الخلق. فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاحاديث، وما روي عنه من الآثار والاحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي " مرتين. فما أؤذي بعدها، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الست أحق الناس بها، الست أول من أسلم، الست صاحب كذا (٤)؟ وروى ابن عساکر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو إسحاق السبيعي عن الجارث سمعت عليا يقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، وأول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال علي بن أبي طالب. وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق. رواه أحمد والترمذي والنسائي

(١) في ابن هشام: مألفا، والمألّف الذي يألفه الانسان. (٢) في دلائل البيهقي: عتم منه. (٣) الخبير في دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٦٣ - ١٦٤ عن ابن اسحق، ولم أجد نص الحديث في سيرة ابن هشام، إنما الجزء الاخير منه، قال: وكان رسول الله يقول فيما بلغني. (٤) في جامع الترمذي ٥٠ كتاب المناقب ١٦ باب ح ٣٦٦٧. (*)

من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب. قال عمرو بن مرة فذكرته لإبراهيم النخعي فأنكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وروى الواقدى بأسانيده عن أبي أروى الدوسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصديق، أما سمعت قول حسان: إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة* فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا خير البرية أوفاه وأعدلها* بعد النبي وأولاهما بما حملا والتالي الثاني محمود مشهده* وأول الناس منهم صدق الرسلا عاش حميدا لامر الله متبعا* بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس - أو - سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاما؟ قال: أما

سمعت قول حسان بن ثابت فذكره وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره (١). وقال أبو القاسم البغوي حدثني سريح بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلاما أبو بكر الصديق رضي الله عنه. قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن إبراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة. وروى ابن عساکر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالوا: لم يكن أولهم إسلاما، ولكن كان أفضلهم إسلاما. قال سعد: وقد آمن قبله خمسة. وثبت في صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعيد، وامرأتان، وأبو بكر (٢). وروى الامام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود (٣) قال: أول من أظهر الاسلام سبعة

(١) نقل الخبر الطبري في تاريخه ٢ / ٢١٤، وذكر الابيات ما عدا البيت الرابع ورواه الهيثمي في زوائده ٩ / ٤٣ وقال: رواه الطبراني وفيه الهيثم بن عدي وهو متروك (٢) رواه البخاري في كتاب المناقب باب في فضل أبي بكر، وفي باب إسلام أبي بكر. ورواه البيهقي في الدلائل من طريقين عن عمار ٣ / ١٦٧. (٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک من وجه فيه زيادة وينفس الاسناد ٣ / ٢٨٤ وقال: صحيح الاسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (١١) باب في فضائل أصحاب (*)

[٢٩]

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروههم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واثاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد. وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا. فأما ما رواه ابن جرير قائلا: أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حيلة (١) عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص. قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاما قال: لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاما. فإنه حديث منكر إسنادا وممتنا. قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد بن حارثة، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب، سألت الزهري من أول من أسلم من النساء؟ قال خديجة، قلت فمن الرجال؟ قال زيد بن حارثة. وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة. وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. قال محمد بن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزوجل، وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محببا (٢) سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر. فعرض

عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا (٣)، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا [الناس] (٤) في الاسلام صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله. وقال محمد بن عمر الواقدى حدثني الضحاك بن عثمان، عن مخزومة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة (٥)، قال: قال طلحة بن

= رسول الله صلى الله عليه وسلم ح ١٥٠. وأحمد في مسنده ١ / ٤٤٠. وذكره الهيثمي في زوائده وقال: " إسناده ثقات ". (١) في الطبري: ابن جيلة. والخبر في تاريخه ٢ / ٢١٥. (٢) من سيرة ابن هشام والطبري، وفي نسخ البداية المطبوعة والاصول: محبا. (٣) العبارة في الطبري وسيرة ابن هشام: فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا. (٤) سقطت من الاصل والطبري، واستدركت من سيرة ابن هشام. (٥) في دلائل البيهقي وابن سعد: ابن طلحة. (*)

[٤٠]

عبيدالله: حضرت سوقى بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل [هذا] الموسم أفهم رجل من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال هل ظهر أحمد بعد؟ قلت ومن أحمد؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث (١)؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الامين قد تنبأ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة. قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر، فقلت اتبعت هذا الرجل؟ قال نعم فانطلق إليه فدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب فسر [رسول الله صلى الله عليه وسلم] بذلك. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القريين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم اكفنا شر ابن العدوية " رواه البيهقي (٢) وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي حدثنا عبيدالله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيدالله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله [بن محمد] بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقا في الجاهلية، فلقيه فقال يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لأبائها وأمهاثها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني رسول الله ادعوك إلى الله " فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الاخشبين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الاسد والارقم بن أبي الارقم فأسلموا رضي الله عنهم. قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي، محمد بن عمران، عن القاسم بن محمد عن عائشة، قالت: لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال: " يا أبا بكر إنا قليل " فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في

عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوصتين ويحرفهما

(١) في البيهقي وابن سعد: حدث. وهو مناسب أكثر. (٢) الخبر في ابن سعد ج ٣ / ٢١٥ - ٢١٦ ودلائل البيهقي ج ٢ / ١٦٦ - ١٦٧. (*)

[٤١]

لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبو بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فمسوا منه بالسنتهم وعدلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير (١) أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت والله مالي علم بصاحبك. فقال إذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفا (٢)، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوماً نالوا هذا منك لاهل فسق وكفر، وإنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت هذه أمك تسمع، قال فلا شيء عليك منها، قالت سالم صالح. قال أين هو؟ قالت في دار ابن الأرقم، قال فإن لله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فامهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّة شديدة. فقال أبو بكر بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً (٣)، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر (٤)، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب - أو لابي جهل بن هشام - فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس (٥)، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أم الخير: أم أبي بكر، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة. (٢) رواه ابن عساکر في تهذيبه عن عائشة. وروى ابن هشام في السيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص يذكر الأذى الذي لحق النبي صلى الله عليه وسلم من قومه إلى أن قال: وحدثني بعض إلى أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما حبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر. ١ / ٣١٠. (٣) ذكر أسماءهم ابن إسحاق في السيرة ١ / ٣٦٩ - ٣٨٠ وكانوا ٥٤ ما بين ذكر وأنثى. (٤) قال ابن سعد في الطبقات: نال أبو جهل وعدي بن الحمراء وابن الأصداء من النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك حمزة، فدخل المسجد ف ضرب رأس

أبي جهل بالقوس وأسلم حمزة فعز به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وذلك بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أرقم في السنة السادسة من النبوة. (٥) في طبقات ابن سعد: كانت الدعوة ليلة الاثنين، فجاء عمر من الغد بكرة فأسلم في دار الأرقم. ٢ / ٢٤٢ وعن سعيد بن المسيب قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشتر نسوة. وقال ابن إسحاق: والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلا وأحدى عشرة امرأة. (*)

[٤٢]

وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مكة، وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر - وهو يقول: اللهم اغفر ليني عبيد الأرقم فإنه كفر، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: " يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا " فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم. قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم. والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله. وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها، وبسطنا القول هنالك والله الحمد. وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي (١) رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخف، فقلت ما أنت؟ قال أنا نبي، فقلت وما النبي؟ قال رسول الله، قلت الله أرسلك؟ قال: نعم قلت بما أرسلك؟ قال بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام، وتوصل الأرحام. قال: قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك على هذا؟ قال حر وعبد يعني أبا بكر وبلالا - قال: فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام. قال فأسلمت، قلت: فأتبعك يا رسول الله؟ قال لا ولكن إلهي يقومك، فإذا أخبرت أنني قد خرجت فاتبعني " (٢)، ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربيع الإسلام بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذا ذلك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قرابتهم دع الأجنبي دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم. وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم (هامش ٤٢) (١) عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة الامام الامير أبو نجيح السلمي البجلي، أحد السابقين كان يقال هو ربيع الإسلام وكان من امراء الجيش يوم اليرموك ترجمته في الاصابة، طبقات ابن سعد ٤ / ٢١٤ تهذيب التهذيب ٨ / ٦٩. (٢) أخرجه مسلم في ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٢) باب. ح ٢٩٤ ص ٥٦٩. (*)

عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الاسلام" (١). أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل، ويروي إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالاسلام. وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله، كما قد حكى الاجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد، منهم ابن الاثير. ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم. وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الاسلام فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم (٢). وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: كنت غلاماً يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة. فأتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد فرا من المشركين - فقال - أو فقالا - عندك يا غلام لبن تسقيننا ؟ قلت إنني مؤتمن، ولست بساقيكما فقال هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فأعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع ودعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متفجرة، فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني، ثم قال للضرع أفلص فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني من هذا القول (٣) الطيب - يعني القرآن - فقال: " إنك غلام معلم " فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد. وهكذا رواه الامام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به. ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجودبه (٤). وقال

(١) أخرجه البخاري في ٦٢ كتاب فضائل الصحابة (١٥) باب فتح الباري ٧ / ٧٣. (٢) قال الصالح في السيرة الشامية ٢ / ٤١١: قال الحافظ: قال ذلك سعد بحسب إطلاعه والسبب فيه أنه من كان أسلم في ابتداء الامر كان يخفي اسلامه ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر أو النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً فلعله خص الرجال. ويحتمل قول سعد على الاحرار البالغين ليخرج الاعيد المذكورون (في حديث عمار) وعلي رضي الله عنه أو لم يكن اطلع على أولئك. ويدل على هذا الاخير أنه وقع عند الاسماعيلي من رواية يحيى بن سعيد الاموي عن هاشم بلفظ: ما أسلم أحد قبلي. وهذا مقتضى رواية الاصيلي وهي مشككة لانه قد أسلم قبله جماعة لكن يحتمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ. وفي المعرفة لابن منده: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، وهذا لا إشكال فيه إذ لا مانع أن يشاركه أحد في الاسلام يوم أسلم. ورواه الخطيب مثل رواية ابن منده فأثبت فيه (إلا كبقية الروايات فتعين الحمل على ما قلته. راجع فتح الباري ج ٧ / ٦٧ - ٦٨ دار إحياء التراث العربي بيروت. (٣) في دلائل البيهقي: المقول. (٤) نقل الخبر من طريقه البيهقي في دلائل النبوة ج ٢ / ١٧١ - ١٧٢ وأحمد في مسنده ج ١ / ٢٧٩ والفوسوي في المعرفة والتاريخ ج ٢ / ٥٢٧.*

البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الاصبهاني، حدثنا الحسن بن الجهم [قال]: حدثنا الحسين بن الفرغ [قال] حدثنا محمد بن عمر [قال] حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن أت (١) أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذاً بحقوقه لا يقع، ففزع من نومه، فقال أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق، فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال [أبو بكر] أريد بك خيراً هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فإنك ستتبعه

وتدخل معه في الاسلام، والاسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها. فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأجباد، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: " أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يبصر، ولا يبصر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لا يعبد". قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأتى به. فأنيه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرهما على رأسه. وقال: والله لامنحك القوت: فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه (٢). إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني رجل (٣) ممن أسلم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه [والتضعيف لامره]، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شججه منها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعرا (٥).

(١) في الدلائل: أباه. (٢) الخبر في دلائل النبوة ج ٢ / ١٧٢ و ١٧٣ وما بين معكوفين من الدلائل. (٣) من سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي، وفي نسخ البداية المطبوعة: ممن وهو تحريف. (٤) في سيرة ابن هشام: مر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي البيهقي فكالصل. (٥) لم يذكره ابن هشام ولا ابن سعد، وذكر السهيلي في الروض الأنف قطعة له منها: (*)

[٤٥]

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل حمزة على نفسه وقال: ما صنعت اللهم إن كان رشدا فأجعل تصديقه في قلبي، وإلا فأجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلا لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا ابن أخي إنني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وأقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد؟ فحدثني حديثا فقد اشتبهت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه، وخوفه وبشره، فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلت السماء، وأني على ديني الاول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين. وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصبغ عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به (١). ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ [قال]: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، [قال]: حدثنا الحسين بن محمد بن زياد [قال]: حدثنا عبد الله بن الرومي، حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد، عن مالك (٢) بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر. قال: كنت ربيع الاسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع،

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (٣)، فرأيت الاستبشار في وجه الله صلى الله عليه وسلم. هذا سياق مختصر (٤). وقال البخاري

= حمدت الله حين هدى فؤادي * إلى الاسلام والدين الحنيف لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف إذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف رسائل جاء أحمد من هداها * بأيات مبينة الحروف وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغسوه بالقول الضعيف فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيف (١) قصة اسلام حمزة في سيرة ابن هشام ١ / ٣١١ - ٣١٢ بعض تغيير، ودلائل البيهقي ج ٢ / ٢١٢ وطبقات ابن سعد ج ٣ / ٩. (٢) في دلائل البيهقي: ملك، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه، وهو مالك بن مرثد ذكره العجلي في الثقات. (كاشف الذهب ٣ / ١٠٢). (٣) في دلائل البيهقي: عبده ورسوله، بدلا من رسول الله. (٤) الخبر في دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٢١٢. وما بين معكوفين من الدلائل. وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٣ / ٢٤١ والهيتمي في مجمع الزوائد ٩ / ٣٢٧. (*)

[٤٦]

إسلام أبي ذر: حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثني عن أبي حمزة عن ابن عباس. قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لآخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء. فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيت يامر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر. فقال ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فراه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح، ثم احتمل قريته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما أن للرجل يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي مثل ذلك فأقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك؟ قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني فعلت. ففعل فأخبره. قال فإنه حق وإنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كاني أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري " فقال والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعه، فأتى العباس فأكب عليه فقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام. فانقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه هذا لفظ البخاري. وقد جاء إسلامه مبسوطا في صحيح مسلم وغيره فقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت [قال]: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار - وكان يحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأما فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس. فجاء خالنا فنثى ما قيل له (١) فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد. قال: ففررنا صرمتنا (٢) فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي، قال:

فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال: فنافر أنيس من صرمتنا وعن مثلها (٣)، فاتيا الكاهن فخير أنيسا. فأتانا بصرمتنا

(١) في دلائل البيهقي: فثنا علينا ما قيل له: معناه - كما في النهاية - أظهره إلينا وحدثنا به. (٢) الصرمة هي القطعة من الأبل وتطلق أيضا على القطعة من الغنم. (٣) نافر: من المنافرة وهي المفارقة والمحاكمة، فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكما إلى رجل ليحكم أيهما خير وأعز نفرا - وفي الشعر - أيهما أشعر. هنا تراهن هو وآخر أيهما أفضل، وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك فالأفضل أخذ الصرمتين. وكان الحكم: (*)

[٤٧]

ومثلها [معها، قال]: وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، قال: قلت: لمن؟ قال الله، قلت: فأين توجه؟ قال حيث وجهني الله. قال وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأني خفاء (١) حتى تغلوني الشمس قال فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فألقني حتى آتيك قال فانطلق فراث (٢) علي، ثم أتاني فقلت ما حبسك؟ قال: لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك، قال فقلت ما يقول الناس له؟ قال يقولون (٣) إنه شاعر وساحر، وكان أنيس شاعرا. قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: فقلت له هل أنت كافي حتى انطلق؟ قال نعم! وكن من أهل مكة على حذر فانهم قد شنعوا له وتجهموا له. قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت (٤) رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إلى [الصابئ] (٥) فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عني الدم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يابن أخي ثلاثين من يوم وليلة، مالي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني (٦) وما وجدت على كبدي سخفة (٧) جوع قال فبينما أهل مكة في ليلة قمرء أضحيان وضرب الله على أشحمة (٨) أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتنا علي وهما يدعوان إساف ونائلة. فقلت: انكحوا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك، فقلت وهن مثل الخشبية (٩) غير أنني لم أركن (١٠). قال: فانطلقنا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال مالكما؟ فقالتا الصابئ بين الكعبة وأستارها قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملا الفم، قال وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، ثم صلى. قال فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام. فقال: " عليك السلام ورحمة الله من أنت؟ " قال قلت من غفار، قال: فأهوى بيده

= كاهنا فحكم لانيس بأنه الافضل - وهو معنى قوله - فخير أنيسا، أي جعله الخيار والافضل. (١) الخفاء هو الكساء وجمع أخفية ككساء وأكسية، وفي رواية المقرئ في البيهقي: يعني الثوب. (٢) راث: أي أبطأ علي. (٢) في نسخة البداية المطبوعة: يقولوا وهو تحريف. (٤) أي نظرت إلى أضعفهم فسألته. (٥) من دلائل البيهقي، والمعنى هنا: أي انظروا وخذوا هذا الصابئ. (٦) عكن: جمع عكنة، وهو الطي في البطن من السمن، والمعنى: اثنتان وانطوت طاقات لحم بطنه. (٧) سخفة: يفتح السين وضمها. وهي رقة الجوع وضعفه وهزاله. (٨) في الدلائل: أصمخة وهي هنا الأذان، أي ناموا. (٩) المراد هنا سب وإهانة إساف ونائلة، الصنمان، وإغاظة الكفار. (١٠) في مسلم: لا أكني. (*)

فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي كره أن أنتميت إلى غفار، قال: فاردت أن آخذ بيده ففقدني صاحبه وكان أعلم به مني، قال متى كنت ههنا؟ قال: قلت كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم. قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها مباركة، إنها طعام طعم" قال: فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، قال: ففعل قال فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا، فجعل يقبض لنا من زبيب. الطائف، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها. فلبثت ما لبثت (١)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد وجهت إلي أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك؟ لعل الله ينفعهم بك وبأجرك فيهم؟". قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا، قال فقال لي ما صنعت؟ قال قلت صنعت أني أسلمت وصدقت، قال فما بي رغبة عن دينك. فاني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمتنا ما بي رغبة عن دينكما. فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفاري (٢) وكان سيدهم يومئذ. وقال: بقيتهم إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا، قال فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بقيتهم قال: وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله". ورواه مسلم عن هدية (٣) بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه. وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم. وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام. ذكر إسلام ضماد روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح (٤)، فسمع سفهاء من سفه مكة (٥) يقولون: إن محمدا مجنون. فقال: أين هذا الرجل

(١) العبارة في البيهقي ومسلم: فغيرت ما غيرت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) في مسلم: وكان يؤمهم: إيما بن رخصة الغفاري، وفي البيهقي فكالاصل: خفاف. (٣) في مسلم: هدا بن خالد الأزدي. والحديث أخرجه في ٤٤ كتاب الفضائل (٢٨) ح ١٣٢ ص ١٩١٩ - ١٩٢٠ والامام أحمد في مسنده ج ٥ / ١٧٤. (٤) في مسلم: الريح، والمراد بها: الجنون، ومس الجن. (٥) في البيهقي: سفهاء من سفهاء الناس يقولون: (*)

لعل الله أن يشفيه علي يدي؟ [قال]: فلقيت محمدا، فقلت: إني أرقى من هذه الرياح، وأن الله يشفي على يدي من شاء فهل (١). فقال محمد: "إن الحمد لله نحمده وتستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات". فقال والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة. وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهل يدك أباعك على الاسلام. فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له وعلى قومك؟ فقال: وعلى قومي فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة. فقال ردها عليهم فانهم قوم ضماد. وفي رواية فقال له ضماد: أعد علي كلماتك

هؤلاء فلقد بلغن قاموس (٢) البحر (٣). وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الاعيان فضلا طويلا، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه. وقد سرد ابن إسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضي الله عنهم. قال: ثم أسلم أبو عبيدة [بن الجراح]، وأبو سلمة [عبد الله بن عبد الاسد]، والارقم بن أبي الارقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامراته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، وخباب بن الارت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القارى، وسليط بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة (٤)، وامراته أسماء بنت سلمة (٥) بن مخزومة التيمي، وخنيس بن حذاقة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامراته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامراته فكيهة ابنة يسار (٦)، [وحطاب بن الحارث وامراته فكيهة بنت يسار] (٧) ومعمربن الحارث بن معمر الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهري بن عبد مناف (٨). وامراته رملة بنت أبي عوف بن صبيبة بن سعيد بن سهم (٩)، والنحام واسمه

(١) في مسلم: فهل لك، أي فهل لك رغبة. (٢) في البيهقي ناعوس: أي وسطه وليته وقعره الأقصى. (٣) الخبر في دلائل البيهقي ج ٢ / ٢٢٤ ومسلم في صحيحه: في ٧ كتاب الجمعة ١٣ باب ح ٤٦. (٤) في نسخة من سيرة ابن هشام زاد: وأخوه حاطب بن عمرو. (٥) في ابن هشام والبيهقي: سلامة بن مخزومة التيمية. (٦) في السيرة لابن هشام فاطمة بنت المجلل، وفي البيهقي: أسماء. (٧) ما بين معقوفتين في النص، سقطت من الاصول واستدركت من السيرة والدلائل. (٨) في السيرة والدلائل: بن عبد عوف. (٩) بن سعيد بن سعد بن سهم: وسعيد بن سعد هذا هو ابن سعد أخو سعيد، وهو جد المطلب بن أبي وداعة. قاله السهيلي. (*)

[٥٠]

نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وخالد بن سعيد، وأمينة ابنة خلف بن سعد (١) بن عامر بن بياضة بن (٢) خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ووافد بن عبد الله [بن عبد مناف] بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعافل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني (٢) سعد بن ليث، وكان اسم عافل غافلا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا، وهما خلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان. ثم دخل الناس [في الاسلام] أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به. قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع (٤) بما أمر، وأن يصير على أذى المشركين. قال وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي (٥) جمل فشججه، فكان أول دم أهرق في الاسلام. وروى الاموي في مغازيه من طريق الواقصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله. باب الامر بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال، والاعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسول الاعظم إليهم، وذكر ما لقي من الاذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم. قال الله تعالى: " وأنذر عشيرتك الاقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز

الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم [الشعراء: ٦٦ - ٦٧].

(١) في السيرة والدلائل: أسعد. (٢) في السيرة والدلائل: من. (٣) في الاستيعاب: غيره بن سعد. (٤) قال السهيلي: قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إما أن يكون معناه بالذي تؤمر به من التبليغ، وأما أن يكون معناه أصدع بالامر الذي تؤمره. (٥) اللحي: العظيم الذي على الفخذ، وهو في الانسان: الذي تثبت عليه اللحية. (*)

[٥١]

وقال تعالى: (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) [الزخرف: ٤٤].
وقال تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [القصص: ٨٨]. أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد، فيسألك عن ذلك. كما قال تعالى: (فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جدا. وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء: (وأندر عشيرتك الاقربين). وأوردنا أحاديث جملة في ذلك، فمن ذلك: قال الامام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الاعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما أنزل الله: (وأندر عشيرتك الاقربين) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى " يا صباحاه " فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ " قالوا نعم! قال: " فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب - لعنه الله - تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عزوجل: (تبت يدا أبي لهب وتب) [المسد: ١] وأخرجه من حديث الاعمش به نحوه (١). وقال أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة. قال: لما نزلت هذه الآية: (وأندر عشيرتك الاقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص. فقال: " يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإنني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سابلها ببلاتها " (٢) ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق آخر عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره. وقال أحمد أيضا حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه

(١) أخرجه مسلم في ١ كتاب الايمان ٨٩ باب حديث ٣٥٥. والبخاري في ٦٥ كتاب التفسير (١١١) باب فتح الباري ٨ / ٧٣٦. وأحمد في مسنده ١ / ٢٨١ و ٣٠٧. يا صباحاه: كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة لانهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح. فكان القائل: يا صباحاه قد غشينا العدو. وقيل إن المتقاتلين كانوا إذا جاؤوا الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه. فكانه يريد بقوله يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال. (٢) مسلم: المصدر السابق حديث ٢٤٨ و ٢٥١ و ٢٥٢. والبخاري في كتاب الوصايا حديث ٢٧٥٢ و ٦٢ كتاب المناقب ح ٣٥٢٧ وأحمد في مسنده ١ / ٢٠٦ والنسائي في الوصايا - والدارمي في الرقاق كلهم بأسانيد وطرائق متعددة. - سابلها ببلاتها: وفي البيهقي ببلاتها: معناه سابلها. شبيهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة. ومنه بلوا أرحامكم: أي صلوها.

عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما نزل: (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ). قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم " (١) ورواه مسلم أيضاً. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: أخبرنا محمد بن عبد [الله] الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت. فجاءني جبريل عليه السلام فقال [لي]: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار ". قال [علي] فدعاني فقال: " يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين [فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد: إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك] فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عس لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب " ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب، وحمة والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث. فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: " كلوا بسم الله " فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اسقهم يا علي " فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بده أبو لهب لعنه الله فقال لهد ما سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. [فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عدلنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم " ففعلت ثم جمعتهم إلى ما سمعت قبل أن أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقهم يا علي، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم، بده أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال: لهد ما سحركم صاحبكم؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٢). فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا علي عدلنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم " ففعلت ثم جمعتهم له. فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مسند أحمد ج ١ / ٣٠٧. (٢) ما بين معقوفتين سقطت من دلائل البيهقي، وهي على حال تكرار لا طائل من ورائه ولعل التكرار سهواً من الناسخ (*).

كما صنع بالامس فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا، وإيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها. ثم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم به. إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة " (١). هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبيهم اسمه (٢) عن عبد الله بن الحارث به. وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله. وزاد بعد قوله: " وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي " وكذا وكذا. قال فاحجم القوم عنها جميعاً، وقلت ولاني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأخمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ بريقي فقال: " إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا ". قال فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع! تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الباقون. ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه، عن الحسن بن عيسى بن ميسرة الحارثي، عن عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث. قال: قال علي: لما نزلت هذه الآية: (وأندر عشيرتك الأقربين). قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، وإنا لبنا، وأدع لي بني هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لاربعون غير رجل، أو أربعون ورجل فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال: وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام. فقال: " أياكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ " قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله، قال وسكت أنا لسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال أنت؟ قال وإني يومئذ لاسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن، خممش الساقين. وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم. وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله

(١) رواه ابن سعد في الطبقات مختصراً ١ / ١٨٧ والوفا لابن الجوزي ١ / ١٨٤ وتكملة الخير: ثم قال من يؤازرنني على ما أنا عليه؟ قال علي: أنا يا رسول الله وإني أحدثهم سناً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه، فلن يألوا بآب من عمه خيراً. وما ورد في الخبر بين معكوفتين سقط من الأصل ونسخ البداية المطبوعة واستدرك لمقتضى السياق من دلائل البيهقي. ٢ / ١٧٩ - ١٨٠. (٢) في دلائل البيهقي ٢ / ١٨٠: قال أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث. قال ابن إسحاق: وكان ما أخفى النبي صلى الله عليه وسلم أمره واستسره به إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه. (*)

[٥٤]

الاسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم - أو كالشاهد له - والله أعلم. ومعنى قوله في هذا الحديث؟: من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشى إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله، ويقضي عنه، وقد أمنه الله من ذلك في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [المائدة: ٦٧] الآية والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردده عن ذلك راد، ولا يصدده عنه ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج. يدعو

من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء. وتسلبت عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفاءهم الأشداء الأقباء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب - واسمه عبد العزى بن عبد المطلب - وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب خلق الله إليه طبعاً وكان يحنو عليه ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حياً طبعياً لا شرعياً، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولاحتروا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وريك يخلق ما يشاء ويختار (١). وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً، فهذان العمان كافرين أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون في القيامة في ضحاح من نار، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ في المواعظ والخطب. تتضمن أنه يصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب. قال الامام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه. قال: أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز [يمشي بين ظهرانتي الناس] (٢) وهو يقول: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه (٣). وقال البيهقي أيضاً حدثنا أبو طاهر (٤) الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن (٥)

(١) يفهم من كلام ابن كثير أن أبا طالب، قضى كافراً، وأن الله تعالى قضى بذلك لحكمة عنده حماية لرسوله وذوداً للإسلام.. أقول هذا لتعليق غير سائغ وغير مقبول. (٢) ما بين معقوفتين زيادة من دلائل البيهقي. (٣) مسند أحمد ج ٣ (٤٩٢) ودلائل البيهقي ج ٣ / ١٨٦. (*)

القطان، حدثنا أبو الأزهر: حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري، حدثنا محمد بن عمر (١) عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدبلي. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذئ المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت من هذا؟ قيل هذا أبو لهب. ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم وإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى (٢). كذا قال أبو جهل، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى. وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه، وسجاياه، واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم. قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى بن (٣) عبد الله عن موسى بن طلحة، أخبرني عقيل بن أبي طالب. قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانه عنا. فقال: يا عقيل انطلق

فأتني بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس (٤) - أو قال
خنس - يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما
أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم
ومسجدهم، فانته عن أذاهم فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببصره إلى السماء. فقال: " ترون هذه الشمس؟ " قالوا نعم! قال:
" فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعل (٥) منه بشعلة ".
فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا. رواه البخاري في
التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير. ورواه البيهقي عن
الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه (٦) -
. ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن إسحاق حدثني يعقوب
بن

(٤) وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمش الفقيه. (٥) في الدلائل: الحسين. (١) في
الدلائل: عمرو. (٢) الخبران في الدلائل ج ٢ / ١٨٥ - ١٨٦ وفي مسند أحمد ج ٢ /
٤٩٢. (٣) في الاصل ونسخ البداية المطبوعة: عن عبد الله بن موسى، وإلصواب ما
أثبتناه من دلائل البيهقي: بن عبد الله، عن موسى. (٤) في الدلائل: كس أو قال من
حفش، والكيس: الكن يأوي إليه الانسان. (٥) في البخاري: تشعلوا وفي الدلائل:
تستشعلوا. (٦) رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٨٦ - ١٨٧ والبخاري في التاريخ الكبير
(٤ / ١ / ٥١). (*)

[٥٦]

عتبة (١) بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث. أن فريشا حين قالت
لابي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا، فأبق علي
وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق أنا ولا أنت. فاكف
عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله صلى الله عليه
وسلم: أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام
معه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عم لو وضعت
الشمس في يميني والقمر في يساري (٢) ما تركت هذا الامر حتى
يظهره الله أو أهلك في طلبه " ثم استعير رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيكى، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الامر برسول الله
صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي فأقبل عليه، فقال أمض على
أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا. قال ابن إسحاق
ثم قال أبو طالب في ذلك: والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى
أوسد في التراب دفينا فأمضي لامرك ما عليك غصاصة * أبشر وقر
بذاك منك عيونا (٣) ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * فلقد صدقت
وكنت قدم أمينا (٤) وعرضت دينا قد عرفت بأنه * من خير أديان
البرية دينا لولا الملامة أو حذاري سية * لوحدثني سمحا بذاك مبينا
ثم قال البيهقي: وذكر ابن إسحاق لابي طالب في ذلك أشعارا،
وفي [كل] ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه
في دينه، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب
لحكمه (٥). وقال يونس بن بكير: حدثني محمد بن إسحاق [قال]:
حدثني رجل من أهل مصر قديما منذ بضع (٦) وأربعين سنة عن
عكرمة، عن ابن عباس، في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله قال أبو
جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من
عيب ديننا، وشتم آباءنا وتسفيه أعلامنا، وسب آلهتنا وإني أعاهد
الله لأجلس له غدا بحجر، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه
فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فلما أصبح أبو جهل - لعنه
الله - أخذ حجرا ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره،
وغدا

(١) في الدلائل: عقبة، وفي السيرة فكالاصل. وهو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس الثقفي، ثقة من السادسة مات سنة ثمان وعشرين (تقريب التهذيب) ٢ / ٢٨٥ / ٣٧٦. (٣) قال السهيلي: خص الشمس باليمين لانها الآية المبصرة، وخص القمر بالشمال لانها الآية الممحوه.. وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لان نورهما محسوس والنور الذي جاء به من عند الله. (٢) فامضي: كذا بالاصول باثبات الباء للوزن. (٤) في سبل الهدى: ١ / ٤٣٧: وكنت ثم أمينا. (٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥ دون ذكر الاشعار. وفي دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٨٧ - ١٨٨. (٦) في الاصل: بضعا وهو تحريف. (*)

[٥٧]

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو، وكان قبلته الشام (١). فكان إذا صلى صلى بين الركنين الاسود واليماني (٢)، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وقد غدت قريش فيجلسوا في أنديةهم ينتظرون، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتلم أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش. فقالوا له: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال قمت إليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل، والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن ياكنني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ذلك جبريل، ولو دنا منه لآخذه " (٣). وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النصر (٤) [محمد بن محمد بن يوسف] الفقيه، حدثنا عثمان [بن سعيد] الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح [قال] حدثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب. قال: كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال: إن لله علي إن رأيت محمدا ساجدا أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضبانا حتى جاء المسجد ففعل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط. فقلت هذا يوم شر، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ (اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) فلما بلغ شأن أبي جهل (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فقال إنسان لا يبي جهل: يا أبا الحكم هذا محمد؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى؟ والله لقد سد أفق السماء علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة سجد (٤). وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن عبد الكريم، عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " لو فعل لاخذته الملائكة عيانا ". ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق

(١) في سيرة ابن هشام: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام. (٢) كذا في الاصول والبيهقي، وفي السيرة: بين الركنين اليماني والحجر الاسود. قال ابن بطوطة في رحلته، عندما كلامه على الأركان: ومن عند الحجر الاسود مبتدأ الطوف، وهو أول الأركان التي يلقيها الطائف، فإذا استلمته تقهقر؟ عنه قليلا، وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه، ثم يلقي بعده الركن العراقي، وهو إلى جهة الشمال، ثم يلقي الركن الشمالي وهو إلى جهة الغرب، ثم يلقي الركن اليماني وهو إلى جهة المغرب، ثم يعود إلى الحجر الاسود وهو إلى جهة الشرق. (رحلة ابن بطوطة - الجزء الاول -). (٣) الخبر في سيرة ابن هشام من حديث طويل ج ١ / ٣١٨ - ٣١٩ ودلائل البيهقي ج ٢ / ١٩٠ - ١٩١ ورواه النسوي بإسناده إلى أبي هريرة وفيه: فقالوا: مالك: فقال إن بيني وبينه لخذقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا لاخطفته الملائكة عضوا عضوا (راجع السهيلي - الروض الأنف - ودلائل البيهقي ج ٢ / ١٨٩). (٤) دلائل النبوة ج ٢ / ١٩١. (*)

به (١). قال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. قال، مر أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي. فقال: ألم أنك أن تصلي يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني، فانتهزه النبي صلى الله عليه وسلم. فقال جبريل: (فليدع ناديه سندع الزبانية) والله لو دعا ناديه لآخذته زبانية العذاب. وراه (ورواه) أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق داود به (٢). وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا عند الكعبة يصلي لآتينه حتى أطأ عنقه، قال فقال: " لو فعل لآخذته الزبانية عيانا ". وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس. قال قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لآقتله، فأنزل الله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ من الآية: (لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية). فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقبل ما يمنعك ؟ قال: قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب. قال ابن عباس: والله لو تحرك لآخذته الملائكة والناس ينظرون إليه. وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال: فقال واللوات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولاعفرن وجهه بالتراب. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته. قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص (٣) على عقبيه، ويتقي يديه، قال فقيل له مالك ؟ قال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو دنا مني لآختطفته الملائكة عضاوا عضاوا ". قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى) إلى آخر السورة (٤). وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به. وقال الامام أحمد: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله [بن مسعود]. قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس، وسلا جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط: أنا،

(١) مسند أحمد ج ١ / ٢٤٨، والبخاري في ٦٥ كتاب التفسير - تفسير سورة العلق (٤) باب فتح الباري ٨ / ٧٢٤ وأخرجه الترمذي في تفسير سورة العلق. (٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ / ٢٥٦ وأخرجه الترمذي في تفسير سورة العلق ج ٢٣٤٩ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. (٣) أي رجع يمشي إلى ورائه. (٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٠) كتاب المناقبين ٦ باب ج ٢٨ ص ٢١٥٤، والامام أحمد في مسنده ٢ / ٣٧ والبيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٨٩. (*)

فأخذه فألقاه على ظهره. فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم عليك بهذا الملا من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - " شعبة الشاك قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا، ثم سحبا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فإنه كان رجلا ضخما فتقطع. وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن

أبي (١) إسحاق به. والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه - والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة. وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا (٢) حتى جعل بعضهم يميل على بعض، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله. وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبّتهم، وأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملا منهم جملة وعين في دعائه سبعة. وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم: وهم عتبة، وأخوه شيبه أبنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأمّية بن خلف. قال أبو (٣) إسحاق: ونسيت السابع. قلت: وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري (٤) قصة الاراشي قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي. قال: قدم رجل من إراش (٥) بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها. فأقبل

(١) في نسخ البداية المطبوعة ابن. والحديث في البخاري في ٥٨ كتاب الجزية ٢١ باب حديث ٣١٨٥ وفي ٤ كتاب الوضوء ٦٩ باب الحديث ٢٤٠. وعند مسلم في صحيحه ٢٢ كتاب الجهاد ٢٩ باب حديث ١٠٨. (٢) استضحكوا: أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جدا فجعلوا يضحكون يميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك. (٣) في الاصل ونسخ البداية المطبوعة: " ابن " وما أتينا من البخاري ومسلم. (٤) في كتاب الصلاة من رواية اسراويل عن أبي إسحاق. قال ابن حجر: واستشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لانه لم يقتل بدر بل ذكر أصحاب المغازي أنه مات بأرض الحبشة.. والجواب: أن كلام ابن مسعود في أنه رأيهم صرعى في القليب محمول على الاكثر، ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب بل قتل صبورا بعد أن رحلوا عن بدر مدة. (٥) إراش: اسم موضع (معجم البلدان). (*)

[٦٠]

الاراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد. فقال: يا معشر قريش من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام، فإنني غريب وابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك - يهزون به (١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، إذ ذهب إليه فهو يعديك عليه. فأقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقام معه. فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه ف ضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال محمد فأخرج! فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم (٢)، وقد انتقع لونه. فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشي إحق ليشانك. فأقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خير، فقد أخذت (٣) الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت؟ قال عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: أعط هذا الرجل حقه. فقال: نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه [إياه]. ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بأبي وسمعت صوته فملئت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الابل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فوالله لو أبيت لاكلني (٤). فصل وقال البخاري: حدثنا عباس (٥) بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الازاعي، عن يحيى بن أبي كثير عن

محمد بن إبراهيم [بن الحارث] التيمي، حدثني عروة بن الزبير. سألت ابن [عمرو بن] العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ؟ قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) [المؤمنین: ٢٨] الآية. تابعه ابن إسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو. وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمر بن العاص. وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص. قال

(١) في دلائل البيهقي: يهون، أي يشيرون. (٢) في البيهقي: وما في وجهه باجعة. (٣) في البيهقي: أخذ. (٤) الخبر رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٩٣ - ١٩٤. (٥) في الاصل ونسخ البداية المطبوعة: " عياش " وهو تحريف وأثبتنا ما في البخاري. (*)

[٦١]

البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة. انفرد به البخاري. وقد رواه في أماكن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة (١). وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم (٢) عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة. قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهره من عداوته (٣) ؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط. سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه (٤) على أمر عظيم - أو كما قال - قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال (٥): " أنسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ". فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكان على رأسه طائر وقع (٦) حتى أن أشدهم فيه وصاة قيل ذلك ليرفؤه [أحسن ما يجد من القول] حتى إنه ليقول انصرف أبا القاسم راشدا فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرت ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم أنا الذي أقول ذلك " ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع رداثة، وقام أبو بكر يبكي (٧) دونه ويقول: ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط.

(١) الحديث في سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٩. والبخاري في صحيحه في ٦٣ كتاب فضائل الصحابة (٥) باب حديث ٣٦٧٨، وفي ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٢٩ باب حديث ٢٨٥٦ وفي ٦٥ كتاب التفسير (٤٠) باب تفسير سورة المؤمن حديث ٤٨١٥. (٢)

الحاكم: محمد بن عبد الله الحافظ، والاصم: أبو العباس محمد بن يعقوب. (٢) العبارة في سيرة ابن هشام: أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ (٤) في دلائل البيهقي: وصيرنا منه، وفي سيرة ابن هشام: لقد صيرنا منه. (٥) في السيرة والدلائل: فوقف ثم قال: (٦) في السيرة والدلائل: واقع. (٧) في الاصل ونسخ البداية المطبوعة: " ينكى " وهو تحريف. (*)

[٦٢]

فصل في تأليب الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته قال الامام أحمد: حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أوديت في الله وما يؤذي أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال " (١). وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح. وقال محمد بن إسحاق: وحذب (٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا لدينه (٣) لا يرده عنه شئ، فلما رأته قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شئ أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حذب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البخترى - واسمه العاص بن هشام (٤) بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، ونبيه ومنبه، إبن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد (٥) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم. قال ابن إسحاق أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا وسفاه أعلامنا، وضلل آباءنا،

(١) مسند أحمد ج: ٢ / ١٢٠. (٢) حذب: أصل الحذب: انحناء الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له، وقد يكون الحذب أيضا مستعملا في معنى المخالفة إذا قرن بالقعس، كقول الشاعر: وإن حذبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحذب (٣) في السيرة: لأمره. (٤) قال السهيلي: الذي قاله ابن إسحاق: العاص بن هشام هو قول الكلبي، والذي قاله ابن هشام: " أبو البخترى: العاص بن هاشم " هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مصعب، وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر سفيان بن العاص. (٥) في السيرة: ابن سعد. (*)

[٦٣]

فأما أن تكفه عنا، وأما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب: قولوا رفيقا، وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شرى (١) الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. وأكثر قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتدامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه، ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى. فقالوا [له]: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهنك من ابن أخيك فلم

تنهه عنا، وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا [له] - ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه. قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني، فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له، فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بدو (٢) وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته " قال: ثم استعير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكي ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب. فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمت لك لشيء أبدا. قال ابن إسحاق ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له - فيما بلغني -: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذ فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامنا فنقتله وإنما هو رجل برجل! قال: والله لبئس ما تسوموني؟ أعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فنقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؟ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدالك - أو كما قال - فحقب (٣) الأمر، وحميت

(١) من السيرة، وفي الأصول سري، وشري الأمر: كثر واشتد. (٢) في السيرة: بداء، والبداء الاسم من بدا والمراد: ظهر له رأي. (٣) حقب الأمر: زاد واشتد، وهو من قولك. حقب البعير: إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب وإذا عسر عليه البول أيضا لشدة الحقب على ذلك الموضوع. (*)

[٦٤]

الحرب، وتنايذ القوم، ونادى بعضهم بعضها. فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي، ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم: ألا قل لعمرى والوليد ومطعم * ألا ليت حظي من حياتكم بكر من الخور حجاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر (١) تخلف خلف الورد ليس بلاحق * إذ ما علا الفياء قيل له وبر (٢) أرى أخوينا من أبينا وأمنا * إذا سنلا قالا إلى غيرنا الأمر بل لهما أمر ولكن ترحما * كما حرجمت من رأس ذي علق الصخر (٣) أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما نبذ الجمر هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صفر (٤) هما أشركا في المجد من لا أباله * من الناس إلا أن يرس له ذكر وتيم ومخزوم وزهرة منهم * وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر فوالله لا تنفك منا عداوة * ولا منكم ما دام من نسلنا شفر (٥) قال ابن هشام: وتركنا منها بيتين أذع فيهما. فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من

في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة علي من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب. وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون، في بني هاشم وبني عبد المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله

(١) الخور: الضعاف، والحجاب: القصير، ويروي خيخاب هو الضعيف، (٢) وبر: دوية على شكل الهرة، ويحتمل أن يكون أراد أنه يصفر في العين لعلو المكان أو بعده. (٣) تخرجما، وجرحمت في السيرة. ذو علق: جبل في ديار بني أسد. (٤) أغمزا: أغمز فلان في فلان، أو من فلان: إذا صغر شأنه وعابه واستضعفه. (٥) في السيرة: ولا منهم ما كان من نسلنا شفر. وشفر: أي أحد. (*)

[٦٥]

الملعون]. فقال (١) في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر* فعبد مناف سرها وصميمها وإن حصلت اشراف عبد منافها* ففي هاشم اشرافها وقديمها وإن فخرت يوما فان محمدا* هو المصطفى من سرها وكريمها تداعت قريش غثها وسمينها* علينا فلم تظفر وطاشت حلومها (٢) وكنا قديما لا نقر ظلامه* إذ ما ثنوا صعر الرقاب نقيمها (٣) ونحمي حماها كل يوم كريمة* ونضرب عن أحجارها من يرومها (٤) بنا انتعش العود الذواء وإنما* باكتافنا تندی وتسمى أرومها (٥) فصل فيما اعترض به المشركون علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما تعنتوا له في أسلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم يتردون. قال الله تعالى: (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) [الانعام: ١٠٩ - ١١١] وقال تعالى: (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

(١) فقال: أي أبو طالب. (٢) الغث: هنا من ليس له نسب، والغث في الاصل: اللحم الضعيف. (٣) في ابن هشام: الخدود بدل الرقاب. (٤) في ابن هشام: اجحارها، والاجحار جمع حجر يريد بيوتها ومسكنها. والاجحار: المراد بها الحصون والمعقل. (٥) في نسخ البداية المطبوعة: " الزواء " وهو تحريف. والذواء: الذي جفت رطوبته. والأروم: الاصول جمع أرومة. (*)

[٦٦]

[يونس: ٩٦ - ٩٧]. وقال تعالى: (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [الاسراء: ٥٩]. وقال تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك

حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفيجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد. وقد روى يونس وزياد (١) عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم - وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد - عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس. قال: اجتمع عليّ من أشرف قريش - وعدد أسماءهم (٢) - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، [فأتهم] فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء (٣)، وكان [عليهم] حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك (٤)، وأنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الاحلام، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد حنته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوذناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك ربنا تراه قد غلب عليك - وكان يسمون التابع من الجن الرئي - فريما كان ذلك، بذلنا [لك] أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال [لهم] رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بي ما تقولون، ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق

(١) يونس بن بكير وزياد البكائي وهما راويا السيرة عن ابن إسحاق. (٢) ذكر أسماءهم ابن إسحاق في السيرة: وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث بن كلفة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمّية بن خلف. ١ / ٣١٥. (٣) في السيرة: بدء. (٤) في السيرة: لنكلمك. (*)

[٦٧]

بلادنا، ولا أقل ماء (١)، ولا أشد عيشا منا. فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول: أحق هو أو باطل ؟ فإن فعلت ما سألتناك وصدفوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بهذا بعثت [إليكم] إنما جئتمكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتمكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزا

وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الاسواق وتلتمس المعاييش كما نلتمسه، حتى تعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم: " ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعث إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فإن تقبلوا ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة. وإن تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ". قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال: " ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك " فقالوا: يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسالك عما سألتك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وأنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرتنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعيد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب - فقال [له]: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله. ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله [ويصدقوك ويتبعوك] فلم تفعل، [ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله، فلم تفعل] ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب. فوالله لا أو من لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة ومنشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنني لا أصدقك (٢). ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاته بما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مبادئهم إياه (٣). وهذا

(١) في الاصل " مالا " وهو تحريف، وأثبتناه من السيرة. (٢) في السيرة: " أني أصدقك "، وقد أسلم أبو أمية هذا قبل فتح مكة. (٣) الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ / ٣١٥ وما بعدها. وما بين معقوفتين في الخبر زيادة استدركت من السيرة. (*)

المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملا مجلس ظلم وعدوان وعناد، ولهذا افتضت الحكمة الالهية، والرحمة الربانية، ألا يجابوا إلى ما سألوهم لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب * كما قال الامام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير، عن الاعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال: سألت أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا، فقبل له إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوهم فإن كفروا هلكوا كما هلك من قبلهم الامم. قال: " لا بل أستأني بهم " فأنزل الله تعالى: (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون، وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) [الاسراء: ٥٩] الآية. وهكذا رواه النسائي من حديث جرير (١). وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن عمران بن حكيم، عن ابن عباس. قال: قالت فريش للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال وتفعلوا ؟ قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، قال: " بل التوبة والرحمة ". وهذان إسنادان جيدان، وقد جاء مرسلا عن جماعة من التابعين منهم

سعيد بن جبير وقتادة وابن جريح وغير واحد. وروى الامام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن (٢) أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عرض علي ربي عزوجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت لا يا رب أشيع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شيعت حمدتك وشكرتك " لفظ أحمد. وقال الترمذي هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث. وقال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر (٣) - قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة - عن عكرمة عن ابن عباس. قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحيار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهما عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الاول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء. فخرجنا حتى قدما المدينة فسألنا أحيار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال فقالت له أحيار يهود: سلوه عن ثلاث تأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث

(١) أخرجه النسائي في التفسير، في السنن الكبرى تحفة الاشراف ٤ / ٤٠٢. (٢) في الاصل ابن أبي أمامة وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه وهو القاسم بن عبد الرحمن لم يرو إلا عن أبي أمامة من الصحابة. (٣) في السيرة: حدثني بعض أهل العلم. وفي دلائل البيهقي: حدثني رجل من أهل مكة (*)

[٦٩]

عجيب (١)، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان [نبؤه] (٢)، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحيار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا. فسأله عما أمرهم به. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أخبركم غدا بما سألتكم عنه " ولم يستثن. فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة (٣) لا يحدث له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل حتى أرحف (٤) أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألتناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عزوجل بسورة [أصحاب] (٥) الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] (٥) ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقال الله تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) [الاسراء: ٨٥]. وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا فمن أراد فاعلمه بكشفه من هناك. ونزل قوله: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا في قوله: (ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت) ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر، ثم ذي القرنين ثم قال: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) ثم شرح أمره وحكى خبره. وقال في سورة سبحان: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أي خلق عجيب من خلقه، وأمر من أمره، قال لها كوني فكانت. وليس لكم الاطلاع على

كل ما خلقه، وتصوير حقيقته في نفس الامر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته، ولهذا قال: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقد ثبت في الصحيحين (٦) أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية - فإما أنها نزلت مرة ثانية أو

(١) في السيرة: عجب، (٢) سقطت من الاصل واستدركت من السيرة والدلائل. (٣) قال السهيلي عن موسى بن عقبة إن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ثم جاءه جبريل بسورة الكهف. (٤) أرحف أهل مكة: خاضوا في الاخبار السيئة التي من شأنها إيقاع الناس في البلبلة والاضطراب لابعادهم عن النبي صلى الله عليه وسلم. (٥) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدركت من السيرة ودلائل البيهقي. (٦) أخرجه البخاري في ٩٦ كتاب الاعتصام بالسنة (٣) باب ح ٧٢٩٧. ومسلم في صحيحه في ٥٠ كتاب صفات المنافقين ٤ باب ح ٢٢ ص ٢١٥٢ عن ابن مسعود قال البيهقي: وحديث ابن مسعود، يدل على أن سؤال اليهود عن الروح، ونزول الآية فيه كان بالمدينة. (*)

[٧٠]

ذكرها جوابا - وإن كان نزولها متقدما ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر، والله أعلم. قال ابن إسحاق: ولما خشى أبو طالب دهم (١) العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشرف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تاركه لنشئ أبدا حتى يهلك دونه. فقال: ولما رأيت القوم لا ود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل وقد صارحونا بالعداوة والاذى * وقد طأوعوا أمر العدو المزابل وقد حالفوا قوما علينا أظنة * بعضون غيظا خلفنا بالانامل صبرت لهم نفسي بسمرأ سمحة * وأبيض غضب من تراث المقاول (٢) وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي * وأمسكت من أنوابه بالوسائل قياما معا مستقبليين رتاجه * لدى حيث يقضي حلفه كل ناقل (٣) وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمفضى السيول من إساف ونائل موسمة الاعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبارل (٤) ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعناكل (٥) أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح باطل ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله إن الله ليس بغافل وبالجر المسود إذ يمسحونه * إذا اكتنفوه بالضحي والاصائل وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما من صورة وتمائل (٦) ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راجل

(١) في ابن هشام: دهماء. (٢) غضب: قاطع. المقاول: الملوك. يحتمل أن يكون هذا السيف من هبات أو هدايا الملوك لابي عبد المطلب (٣) الناقل: المتبرئ. (٤) موسمة: معلمة، والقصرات جمع قصرة: وهي أصل العنق. والمخيسة: المذلبة. والسديس من الابل: الذي دخل في السنة الثامنة. والبارل: الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة. (٥) العناكل: جمع عنكول وأصلها عناكل حذفت الياء للضرورة: وهي الاغصان التي ينبت عليها التمر. (٦) تماثل: أصلها تماثل حذفت الياء للضرورة، وهي الصور. (*)

[٧١]

وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له * الال إلى مفضي الشراج القوابل
(١) وتوقفهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل وجمع
إذا ما المقربات أجزنه * سراعاً كما يخرجن من وقع وأبل وبالجمرة
الكبرى إذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل وكندة إذ هم
بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن وائل حليفان شدا عقد ما
احتلفا له * وردا عليه عاطفات الوسائل وحطمهم سمر الرماح
وسرحه * وشبرقه وخذ النعام الجوافل (٢) فهل بعد هذا من معاذ
لعائد * وهل من معيذ يتقي الله عادل يطاع بنا أمر العدا ود أننا *
يسد بنا أبواب ترك وكابل (٣) كذبتهم وبيت الله نترك مكة * ونظعن الا
أمركم في بلابل كذبتهم وبيت الله نبذي محمدا * ولما نطاعن دونه
وناضل (٤) ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٥)
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده * من الطعن فعل الانكب المتحامل
(٦) وإنا لعمر الله إن جد ما أرى * لتلتبس أسيافنا بالامائل بكفي
فتى مثل الشهاب سميذع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل (٧)

(١) المشعر الأقصى: عرفة. إلال: جبل عرفة قال النابغة: يزرن إلا سيرهن التدافع
وسمي كذلك لان الحجيج إذا رأوه الوا في السير واجتهدوا فيه ليدركوا الموقف.
والشراج: جمع شرج: وهو سيل الماء. (٢) السمير: شجر الطلع. والصفاح: وهو عرض
الجبل. والسرح: شجر عظام. والشبرق: نبات يقال لياسه الحلى، ولرطبه الشبرق.
الوخذ: السير السريع. والجوافل: المسرعة. (٣) في السيرة والاكنتاء: يطاع بنا العدى
وودوا لو أننا. وترك وكابل: جبلان. (٤) في سيرة ابن هشام: نبزى بدل نبذي. نبزى:
نغلب عليه، والمراد هنا: لا نبزى محمدا فحذف لا من جواب القسم. (٥) الروايا: الأبل
التي تحمل الماء واحدها رواية. والصلاصل: المزدادات لها صلصلة بالماء. (٦) يركب
رده: أي يخر صريعا لوجهه. (٧) السميذع: السيد. (*)

[٧٢]

شهورا وأياما وحولا محرما * علينا وتأتي حجة بعد قابل (١) وما ترك
قوم - لا أبالك - سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٢) وأبيض
يستسقى الغمام بوجهه * نمال (تمال) اليتامى عصمة للارامل يلوذ
به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل لعمرى لقد
أجرى أسيد وتكره * إلى بغضنا وجزانا لآكل (٣) وعثمان لم يربع
علينا وبقنذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل (٤) أطاعا أبا وابن عبد
بغوئهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل (٥) كما قد لقينا من سبيبع
ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل (٦) فان بلغيا أو يمكن الله منهما
* نكل لهما صاعا بصاع المكاييل وذاك أبو عمرو أبي غير بغضنا *
ليظعننا في أهل شاء وجامل يناحي بنا في كل ممسى ومصبح *
فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل ويؤلي لنا بالله ما أن يغشنا * بلى قد تراه
جهرة غير خائل (٧) أضاف عليه بغضنا كل تلة * من الارض بين
أخشب فمجادل وسائل، أبا الوليد ماذا حيوتنا * بسعيك فينا معرضا
كالمخاتل وكنت امرءا ممن يعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتية لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبعض ذي دغاو (٨)
ومر أبو سفيان عنى معرضا * كما مر قيل من عظام المقاول يفر إلى
نجد وبرد مياحه * ويزعم أنني لست عنكم بغافل ويخبرنا فعل
المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل أمطعم لم أخذ لك
في يوم نجدة * ولا معظم عند الامور الجلائل

(١) في السيرة: مجرما بدل محرما، والحوال المجرم: الكامل يقال: تجرم العام
والشئاء، وتصرم الصيف. (٢) الذرب: الفاحش النطق. والمواكل: العاجز الذي يكل أموره
كلها إلى غيره. (٣) أسيد وبكره: وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد
شمس بن عبد مناف. (٤) عثمان هو بن عبيدالله أخو طلحة. وقنذ: بن عمير جدعان
بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. (٥) أبي: الاخنس بن شريف حليف بني

زهرة بن كلاب وسمي الاخنسي - وهو علاج - لانه خنس بالقوم يوم بدر (سيرة ابن هشام). (٦) سبيع ابن خالد، أخو بلجرت بن فهر، ونوفل: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن العدوية. وكان من شياطين قريش وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة بن عبيدالله في حبل حين أسلما. (٧) في ابن هشام: غير حائل. (٨) الدغاول: الغوائل، وقيل: الامور الفاسدة. (*)

[٧٣]

ولا يوم خصم إذ أتوك ألدة * أولى جدك من الخصوم المساجل (١)
أمطعم إن القوم ساموك خطة * وإني متى أوكل فليست بوائل جزى
الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير أجل يميران قسط
لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل (٢) لقد سفهت
أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل (٣) ونحن الصميم
من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل وسهم ومخزوم
تمالوا واليوا * علينا العدى من كل طمل وخامل (٤) فعبد مناف أنتم
خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل لعمرى لقد وهنتم
وعجزتم * وحتتم بأمر مخطئ للمفاصل وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم
* الآن أحطاب أقدر ومراجل (٥) ليهن بني عبد مناف عقوقنا *
وخذلنا وتركنا في المعافل فإن نك قوما ننتر ما صنعتم * ونحتلبوها
لقحة غير باهل (٦) فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا
بالتخاذل (٧) ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * إذا ما لجأنا دونهم في
المداخل ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكننا أسى عند النساء
المطافل فكل صديق وابن أخت نعهده * لعمرى وجدنا غبة غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء إلينا من معقة خاذل ونعم ابن
أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل (٨) أشم من
الشم البهليل ينتمي * إلى حسب في حومة المجد فاضل

(١) المساجل: أصله من المساجلة، وجمعه مسجل بكسر الميم وهو الخصم المدافع وتروى المساجل بالحاء المهملة البلغاء والخطباء. (٢) في ابن هشام: لا يخس: لا ينقص. ويخيس: من قولهم خاس بالعهد: نقضه. (٣) الغياطل: بنو سهم. (٤) الطمل: الرجل الفاحش، وقيل: اللص. (٥) في السيرة: حطاب بدل أحطاب. وحطاب جمع حاطب والمراد: كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدور واحدة، فانتم الآن بخلاف ذلك (٦) لقحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة التي لا صرار لها على أخلافها فهي مباحة الحلب. (٧) قبله بيتان سقطا من الاصل، وهما في سيرة ابن هشام: وسائط كانت في لؤي بن غالب * نفاهم إلينا كل صقر حلالل ورهط نغيل شر من وطئ الحصى * وألام حاف من معد وناعل (٨) قبله أبيات وردت في ابن هشام ج ١ / ٢٩٨. (*)

[٧٤]

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وإخوته دأب المحب المواصل فمن
مثله في الناس أي مؤمل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل حليم
رشيد عادل غير طائش * يوالي إلها ليس عنه بغافل كريم
المساعي ماجد وابن ماجد * له إرث مجد ثابت غير ناصل وأيده رب
العباد بنصره * وأظهر ديننا حقه غير زائل (١) فوالله لولا أن أجيئ بسببة
* تجر على أشياخنا في المحافل لكننا تبعناه على كل حالة * من
الدهر جدا غير قول التهازل لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا
يعنى بقول الا باطل فاصبح فينا أحمد في أرومة * يقصر عنها سورة
المتناول (٢) حديث بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى
والكلاكل قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض
أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا
لا يستطيع قولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من التعليقات
السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعا، وقد أوردتها الاموي في
مغازيه مطولة بزيادات آخر والله أعلم. فصل قال ابن إسحاق: ثم إنهم
عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من

أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم (٣) ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح، مولدا من مولديهم، وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الاسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حميت الظهيرة، [فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة] (٤) ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، تعبد اللات والعزى فيقول: - وهو في ذلك - أحد أحد. قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك، وهو يقول أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني

(١) هذا البيت والذي قبله سقطا من السيرة. (٢) السورة: بفتح السين: الشدة والبطش، وبضمها: المنزلة. (٣) في ابن هشام: يصيبه. (٤) ما بين معقوفتين سقط من الاصل واستدركت من ابن هشام. ج ١ / ٣٣٩. (*)

[٧٥]

جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حانا (١). قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر) فكيف يمر ورقة ببلال، هو يعذب وفيه نظر (٢). ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عميس (٣) التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر: حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال فيكم هما ؟ قالت بكذا وكذا. قال قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال: [أو] ذلك إن شئتما. واشترى جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - كان عمر يضربها على الاسلام. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله. قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك (يمنعونك) ويقومون دونك ؟ قال فقال أبو بكر: يا أبة إني إنما أريد ما أريد. قال: فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة (٤). وقد تقدم ما رواه الامام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. قال أول من أظهر الاسلام سبعة، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمار، وأمهم سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه [أبي طالب]، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصرههم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا (٥).

(١) أي لاجعلن قبره موضع حنان فاتمسخ به متبركا. (٢) وقد تقدم التعليق حول وفاة ورقة بعد فترة الوحي، كما جاء في البخاري، وأن ورقة لم يبق إلى إسلام بلال، فليراجع في مكانه من هذا الجزء. (٣) كذا في الاصول: وفي ابن هشام: أم عبيس، وأن النبي أصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر هي زينة - كما عند ابن هشام - فقالت قريش عند ذلك: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت: كذبوا وبيت الله، فرد الله بصرها. (راجع ترجمتها في الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الاصابة ٤: ٣٢٢ والاصابة ج ٤ / ٢١١). (٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١ / ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١. (٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٨٤ وقال: صحيح الاسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في حلية الاولياء ١ / ١٤٩ وابن عبد البر في الاستيعاب. (*)

[٧٦]

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول - فيما بلغني -: " صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " (١) وقد روى البيهقي عن الحاكم عن إبراهيم بن عصمة العدل، حدثنا السري بن خزيمة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام بن أبي عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: " أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة " (٢) فأما أمه فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام. وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد. قال: أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها (٣). وهذا مرسل. قال محمد بن إسحاق: وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيهن (٤) رأيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه. قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي [نزل] به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له، اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم. قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم) [النحل: ١٠٦] الآية فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الاهانة والعذاب البليغ، أجازنا الله من ذلك بحوله وقوته. وقال الامام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن خباب بن الارت. قال: كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٤٢. (٢) الخبر في دلائل البيهقي ٢ / ٢٨٢ وفيه: أو آل ياسر. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٢٨٨ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٣٩٣ عن عثمان وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٣) قال البيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها (ج ٢ / ٢٨٢ - راجع الاستيعاب ٤ / ٣٣٠ على هامش الاصابة، والاصابة ٤ / ٣٢٥). (٤) في نسخة البداية المطبوعة: ولنفيهن رأيك، وهو تحريف. ونفيهن رأيك: أي نقبحنه ونخطئنه (*).

ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك؟ فأنزله الله تعالى: (أفأرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) إلى قوله: (وبأيتنا فردا) [مريم: ٧٧ - ٨٠] أخرجه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الاعمش به (١). وفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فذكر الحديث. وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل (٢). قالوا: سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت [يا رسول الله] ألا تدعو الله [لنا] ؟ فقعد وهو محمر وجهه. فقال: " قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عزوجل " زاد بيان " والذئب على غنمه " وفي رواية " ولكنكم تستعجلون " انفرد به البخاري دون مسلم (٣). وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان وابن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب عن خباب. قال شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم شدة الرمضاء فما أشكنا - يعني في الصلاة - وقال ابن جعفر: فلم يشكنا. وقال أيضا: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت سعيد بن وهب يقول: سمعت خبابا يقول: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يشكنا، قال شعبة يعني في الظهيرة. ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب. قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء - زاد البيهقي في وجوهنا وأكفنا - فلم يشكنا. وفي رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا. وروا ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الاعمش عن أبي إسحاق عن جارية بن مضرب العبدي عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا. والذي يقع لي - والله أعلم - أن هذا

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٥ / ١١٠ - ١١١. وأخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة مريم. وأخرجه مسلم في (٥٠) كتاب المنافقين ح (٣٦). والبخاري في ٣٤ كتاب البيوع ٢٩ باب ح ٢٠٩١ وفي ١٥ كتاب الاجارة (١٥) باب ح ٢٢٧٥ وفي ٤٤ كتاب الخصومات (١٠) باب ح ٢٤٢٥. وفي كتاب التفسير - تفسير سورة مريم ٣ باب ح ٤٧٢٢ (فتح الباري). (٢) من البخاري والبيهقي. وفي نسخ البداية المطبوعة: بنان وهو تحريف، وبيان بن بشر وإسماعيل بن أبي خالد. (٣) أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٢٩ باب ح ٢٨٥٢ عن الحميدي. وقال البيهقي: وأخرجه من أوجه آخر عن إسماعيل، والخبر ليس في مسلم إنما أخرجه البخاري أيضا في الاكراه عن مسدد فتح الباري ١٢ / ٢١٥ وفي علامات النبوة في الاسلام عن إسماعيل فتح الباري ٦ / ٦١٩. وأخرجه أبو داود: في الجهاد عن إسماعيل. وأحمد في مسنده ٥ / ١٠٩. (*)

الحديث مختصر من الاول وهو أنهم شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره في الاقاليم والافات حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. ولهذا قال

شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرضاء في وجوهنا
واكفنا فلم يشكنا، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة، فمن استدل
بهذا الحديث على عدم الأبراد أو على وجوب مباشرة المصلى بالكف
كما هو أحد قولي الشافعي ففيه نظر والله أعلم. باب مجادلة
المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامة الحجّة الدامغة
عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عنادا
وحسدا وبغيا وحجودا قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق، عن
معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس. أن الوليد
بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه
القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك
يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال لم؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمدا
لتعرض ما قبله، قال قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال فقل
فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له [أو أنك كاره له]. قال وماذا أقول؟
فوالله مامنكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده
مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا،
ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه
مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته. قال لا
يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال قف عني حتى أفكر فيه، فلما
فكر. قال: إن هذا إلا سحر يؤثر بأثره عن غيره فنزلت: (ذرنى ومن
خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبينين شهودا) [المدثر: ١١ -
١٣] الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد [
بن علي] الصنعاني بمكة عن إسحاق به. وقد رواه حماد بن زيد عن
أيوب عن عكرمة مرسلًا (١). فيه أنه قرأ عليه: (إن الله يأمر بالعدل

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ١٩٨، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٥٠٦
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. (*)

[٧٩]

والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
يعظكم لعلكم تذكرون) [النحل: ٩٠] وقال البيهقي عن الحاكم، عن
الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن
إسحاق، [قال]: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير -
أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من
قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم (١) فقال: إن وفود
العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه
رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قول بعضكم بعضا.
ف قيل: يا أبا عبد شمس، فقل، واقم لنا رأيا نقوم به (٢)، فقال: بل
أنتم فقولوا وأنا أسمع. فقالوا نقول كاهن؟ فقال ما هو بكاهن رأيت
الكهان. فما هو بزممة الكهان. فقالوا نقول مجنون؟ فقال ما هو
بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بحنقه ولا تخالجه ولا
وسوسته. فقالوا (٣) نقول شاعر؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا
الشعر: برجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه، ومبسوطه فما هو بالشعر.
قالوا فنقول هو ساحر؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرتهم
فما هو بنفته ولا بعقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله
إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني فما أنتم بقائلين
من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لان تقولوا هذا
ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه،
وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا
عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم
أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد: (ذرنى ومن
خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبينين شهودا) [المدثر: ١١ -
١٣] الآيات وفي أولئك نفر (الذين جعلوا القرآن عضين، فو ربك
لنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (٤) [الحجر: ٩١ - ٩٣]. قلت:

وفي ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم: (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليبتنا بأية كما أرسل الاولون) [الانبياء: ٥] فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شئ يقولونه باطل، لان من خرج عن الحق مهما قاله خطأ. قال الله تعالى: (أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) [الاسراء: ٤٨]. وقال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثني أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح - وهو ابن عبد الله الكندي - عن الذيال بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبد الله. قال: اجتمع قريش يوما فقالوا أنظروا

= وقال البيهقي: وكذلك رواه معمر بن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلًا، ورواه أيضا معتمر بن سليمان عن أبيه فذكره أتم من ذلك مرسلًا. (١) من البيهقي، وفي نسخة البداية المطبوعة: المواسم وهو تحريف. (٢) في ابن هشام: تقول به بدل تقوم به. (٣) من البيهقي، وفي نسخ البداية المطبوعة: فقال وهو تحريف. (٤) عضي: أي أصنافا. والخبر رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٩٨ وما بعدها (*).

[٨٠]

أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأناه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة (١) قط أشام على قومه منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى تتفانى: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباه فأختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فرغت ؟ " قال نعم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) إلى أن بلغ: " فإن عرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) [فصلت: ٢ - ٣]. فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا، فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذي نصبها نبية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: وبلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال: لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة. وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به، وفيه كلام، وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسا ما بقيت وعنده أنه لما قال: (فإن عرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أمسك عتبة (٢) على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا. وقال: لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالا، ولكنني أتيت - وقص عليهم القصة - فأجابني بشئ والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل

من الرحمن الرحيم) حتى بلغ: (فان اعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن

(١) السخلة: تطلق على الذكر والانثى من أولاد الضأن. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: عقبة وهو تحريف. (*)

[٨١]

ينزل عليكم العذاب (١). ثم قال البيهقي: عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق [قال:] حدثني يزيد بن زياد (٢) مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة (٣)، وكان سيديا حليما. قال - ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد -: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والملك وغير ذلك. وقال ابن إسحاق (٤) فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثر. فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة (٥) في العشيرة والمكان في النسب، وأنت قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت [به] جماعتهم، وسففت به أحلامهم، وعبت به ألهمهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا الوليد اسمع ". قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة. قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أفرغت يا أبا الوليد؟ " قال نعم! قال اسمع مني، قال افعل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حم تنزل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال: " سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت. قال: " فأنت وذاك " ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلّف بالله

(١) دلائل البيهقي ٣ / ٢٠٣. (٢) من السيرة ودلائل البيهقي، وفي نسخ البداية المطبوعة: بن أبي زياد وهو تحريف. (٣) عتبة بن ربيعة (٢٠٠٠ هـ = ٦٢٤٠٠٠ م) بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفا بالرأى والحلم والفضل، نافذ القول. نشأ يتيما في حجر حرب ابن أمية، أول ما عرف منه توسطه للصلح في حرب الفجار. أدرك الإسلام وطغى فشهد بدرًا مع المشركين. أحاط به علي وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه. (٤) في نسخ البداية المطبوعة: زياد بن إسحاق وهو تصحيف. (٥) في نسخ البداية المطبوعة: الشطر وهو تحريف، وما أثبتناه من سيرة ابن هشام والسطة: الشرف. (*)

لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ [عظيم]، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم (١). ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة. وقال البيهقي (٢): أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمي بمكة، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي، حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر. قال: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم، وأعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناً كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه. وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه. ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق حدثني الزهري. قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لوقعتم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذه عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها [وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها] (٣) فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا

(١) الخبير في سيرة ابن هشام ج ١ / ٣١٤ ودلائل البيهقي ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥ وما بين معقوفتين في الحديث من السيرة والدلائل. (٢) دلائل البيهقي ٢ / ٢٠٦. (٣) ما بين معقوفتين سقط من الاصل والدلائل واستدرك لمقتضى السياق من الاكتفاء للكلاعي. (*)

نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، واعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع (١) به أبداً ولا نصدق. فقام عنه الأخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا أحمد حدثنا يونس

عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل: " يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله ". فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهمنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أنني أعلم أن ما تقول حق لا تبعثك (٢). فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأقبل علي فقال: والله إنني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن [يمنعتني] شئ. إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم. ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم. ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل (٣). وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصب، حدثنا محمد بن خالد، حدثنا أحمد بن خلف، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق. قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع. فأتاهما فقال: " أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل. وأما أنت يا أبا الحكم، فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيرا " فقال: بنسما تعذني يا ابن أخي من نبوتك. هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة. وقول أبي جهل - لعنه الله - كما قال الله تعالى مخبرا عنه وعن أضرابه: (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا، أهذا الذي بعث الله رسولا؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) [الفرقان: ٤١ - ٤٢]. وقال الامام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) [الاسراء: ١١٠] قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا

(١) في الدلائل: لا يؤمن به. (٢) في الدلائل: ما اتبعك، وهو مناسب أكثر. (٣) دلائل النبوة ٣ / ٢٠٧. (*)

القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا رواه صاحبنا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به (١). وقال محمد بن إسحاق (٢): حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن - وهو يصلي - تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو، وهو يصلي، استترق السمع، دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا، فأنزل الله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يستترق ذلك، لعله يروعني إلى بعض ما يسمع، فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا). باب هجرة أصحاب رسول الله، من مكة إلى أرض الحبشة قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد. واللاهانة

البالغة. وكان الله عزوجل قد حجرهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنعه بعمة أبي طالب، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمنة. وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة (٣)، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة. وهم عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن عتبة، وامرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سيرة بن أبي رهم، وحاطب بن عمرو (٤)، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم

(١) مسند أحمد ج ١ / ٢٣، ٢١٥. (٢) سيرة ابن هشام ج ١ / ٣٣٥. (٣) نقل البيهقي في الدلائل قال: وأما الهجرة الثانية وهي فيما زعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي ٢ / ٢٩٧. ووافق الطبري الواقدي في أن مخرجهم في الهجرة الأولى كان في رجب في السنة الخامسة من حين نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٢ / ٢٢١ دار القاموس الحديث. ويرى البيهقي أن الهجرة الأولى اقتضت على عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم راجع الدلائل ج ٢ / ٢٩٧. (٤) كذا في الطبري، وفي ابن هشام: يقال: أبو حاطب بن عمرو. (*)

[٨٥]

أجمعين. قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً، سوى نسائهم وأبنائهم، وعمار بن ياسر، نذك. فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وقال محمد بن إسحاق: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله عزوجل، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: " لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه " فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الاسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى عن الحسن بن زياد البرجمي، حدثنا قتادة. قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه وسمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته. قال: " على أي حال رأيتهما ؟ " قالت رأيتهم قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة (٢)، وهو يسوقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صحبهما الله، أن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام " (٣). قال ابن إسحاق: وأبو حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة - والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب، وهو من بني عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سيرة بن أبي رهم العامري، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيما قيل - وسهيل بن بيضاء - فهؤلاء العشرة أول من

خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني. قال ابن هشام. وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر بعض أهل العلم. قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له بها عبد الله بن جعفر. وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٤٤. (٢) في البيهقي: الدبابة. (٣) دلائل البيهقي ٢ / ٣٩٧ وذكر الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٨٠ - ٨١ وقال: رواه الطبراني وفيه عثمان ابن خالد العثماني وهو متروك. (*)

[٨٦]

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن خالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب، وفي هذا نظر والله أعلم. وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها. وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون - فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة. وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه. قال موسى بن عقبة: وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً. وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم. لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهما عند النجاشي وغيره. كما سنورده مبسوطاً. ثم إن ابن إسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم. وهم عمرو بن سعيد بن العاص، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرت [بن حمل] بن شق الكناني. وأخوه خالد، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي. وولدت له بها سعيداً، وأمة التي تزوجها بعد ذلك الزبير، فولدت له عمراً وخالداً. قال وعبد الله بن جحش بن رثاب، وأخوه عبيد الله، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان، ومعيقب بن أبي فاطمة، وهو من موالى سعيد بن العاص قال ابن هشام: وهو من دوس. قال وأبو موسى [الأشعري] (١) عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة. وسنتكلم معه في هذا. وعتبة بن غزوان، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير (٢) بن عبد [بن قصي] (٣)، وسويط بن سعد بن حرملة (٤)، وجهم بن قيس العبدوي (٥)، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة (٦)، وولده عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف الزهري، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة. وولدت لها عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن الأسود، والحارث بن خالد بن صخر التيمي، وامرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة (٧)، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن

(١) من سيرة ابن هشام. (٢) من سيرة ابن هشام، وفي نسخ البداية المطبوعة والاستيعاب: كثير. (٣) زيادة من شرح السيرة لأبي ذر. (٤) من السيرة وفي نسخ البداية المطبوعة حرملة وهو تحريف. (٥) العبدوي نسبة إلى عبد الدار، وهو بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. (٦) من السيرة وفي نسخ البداية المطبوعة: خزيمة. (٧) في السيرة: جبلة. (*)

عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي - قال (١) وإنما سمي شماسا لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهيار بن سفيان بن عبد الاسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو (٢) بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بني مخزوم. قال: وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر، ومعه امرأته فاطمة بنت المجمل، وإبناه منها محمد والحارث، وأخوه خطاب، وامرأته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر بن حبيب، وامرأته حسنة، وإبناه منها جابر وجنادة، وإبناه من غيره، وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث بن مزاحم بن تميم، وهو الذي يقال له شرحبيل بن حسنة (٣)، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد (٤) بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد (٤)، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث، وسعيد بن قيس بن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التميمي، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد (٤) بن سهم، وحليف لبني سهم: وهو محمية بن جزء الزبيدي، ومعمر بن عبد الله العدوي، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة بن عبد العزى، وإبناه النعمان، وعبد الله بن مخزومة العامري، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمرو، وأخوه السكران، ومعه زوجته سؤدة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة، وامرأته عمرة بنت السعدى، وأبو حاطب بن عمرو العامري، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وسهيل بن بيضاء - وهي أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة، وعثمان بن عبد غنم بن زهير أخوات، وسعيد (٥) بن عبد قيس بن لقيط، وأخوه الحارث الفهريون. قال ابن إسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم

(١) القائل: ابن هشام. كما في السيرة. (٢) في السيرة: عمر. (٣) قاله ابن هشام. (٤) " سعد " في السيرة وقد تقدم التعليق حوله فليراجع. (٥) في السيرة: سعد. (*)

الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه. قلت: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً. وقد قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخت زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى (١) فأتوا النجاشي. وبعثت قريش

عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد (٢) بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قال له: إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال فأين هم؟ قالوا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عزوجل قال وما ذاك؟ قال إن الله بعث إلينا رسولا ثم أمرنا أن لا نسجد لاحد إلا لله عزوجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسهما بشر، ولم يفرضها ولد. قال فرفع عودا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنه الذي نجد في الانجيل. وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، أنزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا. وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته. وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن. وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة،

(١) سقط اسم أبي موسى من روايتي البيهقي وعيون الاثر. وسقط اسم عبد الله بن عرفطة من رواية البيهقي. (راجع عيون الاثر ١ / ١١٨ دلالات البيهقي ٢ / ٢٩٨). (٢) في رواية ابن اسحاق: لم يذكر مع عمرو إلا عبد الله بن أبي ربيعة في رواية زياد، وفي رواية ابن بكير لعمارة بن الوليد ذكر. وقيل عمرو بن العاص ذهب إلى الحبشة مرتين مرة قبل بدر مع عمارة ومرة بعد بدر ومعه عبد الله بن أبي ربيعة. ولعمرو وعمارة خلال وجودهما في الحبشة قصة طويلة رواها كثيرون منهم أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى. وعبد الله بن أبي ربيعة كان اسمه بحيرى فسماه رسول الله حين أسلم عبد الله وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر مات في خلافة عثمان.

[٨٩]

إن لم يكن ذكره مدرجا من بعض الرواة والله أعلم. وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر. فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل. وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا إسرائيل. وحدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا عبيد الله (١) بن موسى، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي (٢)، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فاتياه بالهدية، فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص: إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. قال لهم النجاشي في أرضي؟ قالوا نعم! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد. أنا خطيبكم اليوم، فاتتهينا إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره. والقسيسون جلوس سباطين. وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا بدرنا (٣) من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عزوجل. فلما انتهينا إلى النجاشي قال ما منعك أن تسجد؟ قال لا نسجد إلا لله. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال إن الله بعث فينا رسولا - وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا

نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرج من العذراء البتول التي لم يقر بها بشر ولم يفرضها ولد؛ فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى. ولولا ما أنا فيه من الملك لآتيته حتى أقبل نعليه، أمكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. وقال ردوا على هذين هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلًا في البحر، فشربا ومع عمرو امرأته، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلي. فقال له عمرو: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر، فجعل عمرو: يناشد عمارة

(١) في دلائل النبوة لابي نعيم ص ٢٠٥: عبد الله. (٢) في دلائل أبي نعيم ودلائل البيهقي أرض الحبشة. (٣) في دلائل البيهقي: فزيرنا. (*)

[٩٠]

حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك، فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش. وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيدالله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله: فأمر لنا بطعام وكسوة قال وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى: أنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بعض وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمره جعفر بالاقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر. قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطلق والله أعلم (١). وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة. حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا بريد (٢) بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا (٣) النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لکم أتم أهل السفينة هجرتان " وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به، وروياه في مواضع آخر مطولاً والله أعلم. وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه، ومن رواية عمرو بن العاص. وعلى يديهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً. رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي عن أبي الحسين بن النقوم عن أبي طاهر المخلص عن أبي القاسم البغوي. قال حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا أسد بن عمرو البجلي عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن

جعفر، عن أبيه. قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له - ونحن عنده -: قد صار إليك ناس من سفلتنا (٤) وسفهائنا، فادفعهم إلينا، قال: لا حتى أسمع كلامهم. قال فبعث إلينا

(١) دلائل النبوة ج ١ / ٣٩٩ - ٣٠٠. (٢) في نسخ البداية المطبوعة: يزيد وهو تحريف، وما أثبتناه من البخاري. (٣) في البخاري: فوافقنا. (٤) قال الأستاذ حسن في تاريخ الاسلام السياسي ١ / ٨٧: " لم يفكر الرسول في هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية، لأنها كانت ترفض دعوته في مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكا بدينها الوثني، وكذلك لم يفكر في (*)"

[٩١]

فقال: ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان، وإن الله بعث إلينا رسولا فأمانا به وصدقناه. فقال لهم النجاشي أعبيد هم لكم ؟ قالوا: لا. فقال: فلکم عليهم دين ؟ قالوا لا. قال فخلوا سبيلهم. قال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الاولى، قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا يقول: هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال فأرسل فقال ادعوا لي فلان القس، وفلان الراهب، فأناه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقالوا أنت أعلمنا، فما تقول ؟ قال النجاشي - وأخذ شيئا من الارض - قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال أيؤذیکم أحدا ؟ قالوا: نعم ! فنادی مناد من أذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال أيکفیکم ؟ قلنا لا، فأضعفها. قال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فردنا. قال نعم ! فحملنا وزودنا. ثم قال أخير صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله. وقل له يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقني، ثم قال: " ما أدري أنا بفتح خبير أفرح أم بقدم جعفر ؟ " ووافق ذلك فتح خبير، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبا ؟ فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. وقال لي قل له يستغفر لي. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات " اللهم اغفر للنجاشي " فقال المسلمون آمين. ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال ابن عساکر حسن غريب. وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، عن أم سلمة رضي الله عنها. أنها قالت: لما ضاقت مكة [علينا] وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم،

= الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، لان كلا من الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تنازع الاخرى وتناقسها في النفوذ الادبي ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافسا ثالثا خصوصا إذا كان من العرب الذين كانوا يحتقرونهم، أما اليمن وكانت مستعمرة للفرس ولم يدينوا بدين سماوي فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها، وكذلك كان شأن الحيرة التي كانت - في ذلك الوقت - بعيدة عن مكة أما الشام فهي بعيدة كذلك. فضلا عما كان يسودهما - الشام والحيرة - من الاضطراب، إلى جانب أن لقريش صلات وثيقة ومصالح متبادلة وزيارات متبادلة. لذلك اتجه الرسول إلى بلاد الحبيشة لما كان يعرف في ملكها من العدل والتسامح وقال

بروكلمان ص ٤٠: إن النبي كان لا يعتبر أن دينه - في ذلك الوقت - يختلف اختلافا كبيرا عن النصرانية فالنجاشي أقرب ممثل سياسي للنصرانية يمكن أن يختمى به.
(*)

[٩٢]

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شئ مما يكره ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه " فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلما. فلما رأيت قريش أنا قد أصبنا دارا وأمنا، غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده، وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقتة، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هبتوا له هدية على حدة، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم أدفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدمنا عليه فلم يبق بطريق من بطارقتة إلا قدموا إليه هديته، فكلموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا (١)، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل. ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرسا وجبة ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له: أيها الملك: إن فتيمة منا سفهاء (٢) فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرتهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عينا (٣)، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك. فغضب ثم قال: لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جوارى على جوار غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل (٤) بينهم وبينهم، ولم أنعم عينا - [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم إليهم. فقال: لا والله ! حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شئ هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحذثوني مالكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟ فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم ؟ أنصاري أنتم ؟ قالوا: لا. قال أفيهود أنتم ؟ قالوا: لا. قال فعلى دين قومكم ؟ قالوا: لا. قال فما دينكم ؟ قالوا: الاسلام. قال وما الاسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئا. قال: من جاءكم بهذا ؟ قالوا جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد

(١) في الدلائل للبيهقي: في سفهاء من سفهائنا. (٢) في نسخة من الدلائل: من سفهائنا. (٣) في الدلائل: فهم أعلاهم عينا. أي أبصر بهم. أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم. (٤) في الدلائل: ولم أخل. والعبارة في ابن هشام: وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني. (*)

[٩٣]

الاثوان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الاوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة (١) التي خرج منها أمر موسى. قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضا. وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عودا وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا، وما أطاع الله الناس في حين رد على ملكي فأطع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك. وقال يونس عن ابن إسحاق [(٢) فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شئ أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم. فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول، نقول والله ما نعرف. وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية، ولا نصرانية. فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوما على الشرك نعبد الاوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمي الجوار ونصلي لله عزوجل، ونصوم له، ولا نعبد غيره. وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والاثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال (٣) - فعدد عليه أمور الاسلام - فصدقناه وأمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما

(١) المشكاة: قال صاحب لسان العرب: " وفي حديث النجاشي: إنما يخرج من مشكاة واحدة، المشكاة: الكوة غير النافذة، وقيل هي الحديد التي يعلق عليها القنديل " أراد أن القرآن والانجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شئ واحد. (٢) ما بين معقوفين لم يرد في ابن هشام ولا في الدلائل. (٣) في ابن هشام: قالت، أي أم سلمة، عدوا: في الاصل وأثبتنا ما في ابن هشام. (*)

قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترتناك على من سواك، ورجعنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال [له] النجاشي: هل معك شئ مما جاء به [عن الله] ؟ [وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله] (١). فقال له جعفر ! نعم: قال هلم فأتل علي مما جاء به، فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم [حين سمعوا ما تلا عليهم]. ثم قال [لهم]: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا أردتهم عليكم ولا أنعمكم عينا (٢). فخرجنا من عنده وكان أتقى (٣) الرجلين فينا عبد الله بن [أبي

[ربيعة. فقال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا بما استأصل به خضراءهم (٤)، ولاخبرته أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحما ولهم حقا. فقال: والله لافعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عنه. فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم (٥) عنه ؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارفته فقال ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عودا (٦) بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد. فتناخرت بطارفته. فقال: وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم سيوم في الأرض - السيوم الآمنون في الأرض، ومن سيكم غرم، من سيكم غرم، من سيكم غرم، ثلاثا ما أحب أن لي دبرا وإنني أذيت رجلا منكم - والدبر بلسانهم الذهب. وقال زياد عن ابن إسحاق ما أحب أن لي دبرا من ذهب. قال ابن هشام: ويقال زبرا (٧) وهو الجبل بلغتهم. ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه. ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها. وأخرجنا من بلادي فخرجنا مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به. قالت: فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في

(١) سقطت من ابن هشام واستدركت من دلائل النبوة للبيهقي. (٢) العبارة في ابن هشام: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون. (٣) من ابن هشام، وفي الأصول ونسخ البداية المطبوعة: أبقى وهو تحريف. وفي الدلائل: أبقى. (٤) خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا. (٥) في السيرة والدلائل: سألكم. (٦) في الدلائل: عويدا. (٧) في السيرة: ويقال: دبرا من ذهب، والدبر: الجبل. (*)

[٩٥]

ملكه، فوالله ما علمنا حزنا حزنا قط هو أشد منه، فرقا من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائرا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير - وكان من أحدثهم سنا - أنا، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه. فجاءنا الزبير فجعل يليح (١) لنا بردائه ويقول ألا فابشروا، فقد أظهر الله النجاشي. قلت: فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشئ قط فرحنا بظهور النجاشي (٢) ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة، وأقام من أقام. قال الزهري: فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة. فقال عروة: أندري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة. فقال عروة: فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشي ولد غير النجاشي فأدارت الحبشة رأيا بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك، لبقيت الحبشة عليهم دهرا طويلا لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه. فدخل النجاشي بعمة حتي غلب عليه فلا يدبر أمره غيره، وكان لبيا حازما من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه

قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أننا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتلته، فكلّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلناك مكانه وأنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فأما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا. قال: ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم. بل أخرجته من بلادكم. فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون (٣) ليس في أحد منهم خير فمرج (٤) على الحبشة

(١) في ابن هشام: يلمع. (٢) العبارة في ابن هشام: ومكن له في بلاده، واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة. والخبر بطوله في السيرة ج ١ / ٣٥٧ - ٣٦١ بتغيير طفيف في الالفاظ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤. (٣) محمقون: المحمق الذي يلد المحمق. (٤) مرج: قلق واضطراب أمرهم. وفي هذا دليل على طول المدة في مغيب النجاشي عنهم، راجع الروض الأنف. (*)

[٩٦]

أمرهم. فقال بعضهم لبعض تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب، فخرجوا في طلبه فأدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه واجلسوه على سريره وملكوه، فقال التاجر: ردوا علي مالي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نعطيك. فقال: إذا والله لأكلمنه، فمشى إليه فكلّمه فقال أيها الملك إني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي ففزعوه من يدي ولم يردوا علي مالي، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله، أو لتجعلن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء. فقالوا: بل نعطيه ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد علي ملكي، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه (١). وقال موسى بن عقبة: كان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار (٢)، فمات عمه من ليلته وقضى، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً، وسياق ابن إسحاق أحسن وأبسط فآله أعلم. والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عقبة والاموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمار بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تضحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة. وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمر ومعه وعمار كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمار طمع في امرأة عمرو بن العاص، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسيح حتى رجع إليها. فقال له عمار: لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي، وكان عمار قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش. - وقد ذكر الاموي - قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أماره عمر بن الخطاب، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني وإلا مت فلما لم يرسله مات من ساعته فآله أعلم. وقد

قبل أن قريشا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو، وعبد الله بن أبي ربيعة. نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم. وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٤ ودلائل البيهقي ١ / ٣٠١. (٢) الخبر في دلائل البيهقي من طريق اسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة ٢ / ٢٩٥ وفيه: فقال التاجر: دعه حتى إذا أردت الخروج فأذني فأدفعه إليك فأذنه التاجر بخروجه فأرسل بالنجاشي حتى أوقفه عند السفينة ولا يدري النجاشي ما يراد به، فأخذ الله عزوجل عمه الذي باعه ضعفا فمات. (*)

[٩٧]

الزهري، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلي شئ مما سألوا فالله أعلم. وقد ذكر زياد (١) عن ابن إسحاق: أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتا يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه: ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر * وعمرو وأعداء العدو الاقارب وما نالت أفعال النجاشي جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب (٢) ونعلم، آبيت اللعن، أنك ماجد * كريم فلا يشقى إليك المجانب (٣) ونعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب (٤) وقال يونس (٥) عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قال: إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمشهور أن جعفرا هو المترجم رضي الله عنهم. وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. وقال زياد عن محمد بن إسحاق: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه. قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهياً لهم سفنا. وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألغاه إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصفوا له. فقال: يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى ! قال: كيف أنتم بسيرتني فيكم؟ قالوا خير سيرة. قال: فما بكم؟ قالوا فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله. قال؟ فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا:

(١) هو زياد البكائي راوي السيرة عن ابن هشام. (٢) في ابن هشام: وهل نالت، بدل وما نالت، وفي نسخة لابن هشام: فهل نال أفعال. (٣) في ابن هشام: لديك بدلا من إليك. آبيت اللعن: تحية كانوا يحيون بها الملوك في الجاهلية. (٤) بعده في ابن هشام: وأنك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الاعادي نفعها والاقارب (٥) يونس: هو يونس بن بكير راوي السيرة عن ابن هشام. (*)

[٩٨]

يقول هو ابن الله. فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه -: وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني

على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات (١). وقال البخاري: موت النجاشي: حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريح عن عطاء عن جابر. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين مات النجاشي - مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة. (٢). وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر (٣) وكان عبدا صالحا لبيبا زكيا وكان عادلا عالما رضي الله عنه وأرضاه. وقال يونس عن ابن إسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي أصحمة وهو بالعربية عطية قال وإنما النجاشي اسم الملك: كقولك كسرى، هرقل. قلت: كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفرس، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر، والنجاشي لمن ملك الحبشة ويطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك. وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لانه كان يكتنم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلماذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم. قالوا: فالغائب إن كان قد صلي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فالله أعلم. قلت: وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " والله ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر بن أبي طالب " وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر

(١) أخرجه البخاري في ٢٣ كتاب الجنائز (٤) باب ومسلم في ١١ كتاب الجنائز ٢٢ باب ح ٦٢ ومالك في الموطأ في ٢٣ كتاب الجنائز. (٢) المصدر السابق: وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ونعاه رسول الله، وصلى عليه بالقيع. (٣) في الاصل أصحمة بن أبحر، وأثبتنا ما في القاموس. (*)

وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذونخترأ أو ذو مخمرأ أرسله لِيخدم النبي صلى الله عليه وسلم عوضا عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما. وقال السهيلي: توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم. وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي، العلاء بن مدرك، حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة. قال قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: " إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافئهم ". ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني: أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي، حدثنا طلحة بن زيد، عن الاوزاعي،

عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة. قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: " إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم ". تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي. وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا أبو عمرو بن السماك، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو. قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو: إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي. قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرأى ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة حتى غاظوا (١) قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر [بن الخطاب] فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه (٢). قلت: وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب (٣). وقال زياد البكائي: حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم. قال: قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

(١) في السيرة: عازوا: أي غلبوا قريشا. (٢) سيرة ابن هشام: ١ / ٣٦٦. (٣) في ٦٢ كتاب فضائل الصحابة (٦) باب وفي ٦٢ كتاب مناقب الانصار ٢٥ باب والبيهقي في الدلائل عنه ج ٢ / ٢١٥ (*)

[١٠٠]

الحبشة. [قال ابن إسحاق] حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله (١) بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عمر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر فوقف علي وهو على شركه، فقالت: وكنا نلقي منه أذى لنا وشدة علينا، قالت: فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله، قلت نعم ! والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذا أدبتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا (٢). قالت فقال صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا. قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه قالت قلت: نعم ! قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت: يأسا منه لما كان يرى من غلظته وفسوته على الإسلام (٣). قلت: هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه، وسياقها فإنه قال: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام، رجل من بني عدى قد أسلم أيضا مستخفيا بإسلامه [فرقا] من قومهم، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورهما من أصحابه قد ذكروا (٤) له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقية نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال: وأي أهل بيتي، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه، فعليك بهما فرجع عمر

(١) واسمها: ليلى بنت أبي حنمة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وكانت من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة. (٢) وفي نسخة من السيرة: فرجا. (٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٧ ودلائل البيهقي ٤ / ٣٢١. (٤) من ابن هشام وفي الاصل فذكروا. (*)

[١٠١]

عائدا إلى أخته فاطمة، وعندها خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع (١) لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها: فلما دخل قال ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال (٢) له ما سمعت شيئا. قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضررها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وأمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى، وقال لاخته أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمدا؟ وكان عمر كاتبها فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي، وحلف لها بالهتة ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخي إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا. قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب بن الارت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فالله الله يا عمر. فقال [له] عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى أتيه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ف ضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشح بالسيف، فقال حمزة، فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذنائه وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إيدن له " فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجر فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبه جذبة شديدة فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لاومن بالله

ورسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتصفون بهما من عدوهم قال ابن إسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد وعم

(١) مخدع: بضم الميم وفتحها، البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير (النهاية لابن الاثير). (٢) قالا له: أي فاطمة أخته وزوجها سعيد بن زيد. (*)

[١٠٢]

روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباحدا وكنيت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة (١) فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحدا فقلت لو أني جئت فلانا الخمار لعلي أجد عنده خمرأ فأشرب منها، فخرجت فجننته فلم أجدته قال: فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين، قال فجننت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني، قال فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه لاستمع منه لاروعنه. فجننت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي، وبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلواته ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزره أدركته، فلما سمع حسبي عرفني فظن أني إنما اتبعته لاؤديه، فنهمني (٢) ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قال قلت جئت لاومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " قد هداك الله يا عمر " ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته. قال ابن إسحاق فالله أعلم أي ذلك كان. قلت: وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتها على حدة والله الحمد والمنة. قال ابن إسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه، قال عبد الله [بن عمر] وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كما رأيت - حتى جاءه فقال له: اعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديةهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا. قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلح (٣) ففقد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد

(١) الحزورة: يفتح الحاء وسكون الزاي وفتح الواو: سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. (٢) نهمني، من النهم: الزجر. (٣) طلع: أعياء. (*)

[١٠٣]

كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبأ عمر، قال فمه ؟ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل. قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. قال فقلت لابي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي (١)، وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم (٢). وقال البيهقي: حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق. قال ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس، فكلموه وسألوه ورجل من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عزوجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وأمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما تعلم ركبا أحقق منكم - أو كما قال - قالوا لهم: لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيرا. فيقال إن نفر من نصارى نجران، والله أعلم أي ذلك كان، ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات: (الذين أتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا أئنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤. (٢) في اسلام عمر تعددت الروايات والاحاديث فعن أسلم قال: أسلم في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة وعن ابن المسيب قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشر نسوة وقال البيهقي عن ابن اسحق: قال أسلم والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلا وحدى عشرة امرأة. وقال ابن الاثير في الكامل: أسلم بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وكان اسلامه بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. وقيل في إسلامه غير هذا. قال بروكلمان: وكان من آثار ذلك أن قرر المكيون التعويض عن هذه الخسارة - إسلام عمر - اللجوء إلى تدابير جديدة اقصى، فقاطعوا محمدا وجميع أتباعه وحاصروهم في الحبي الذي يسكنونه في شعب أبي طالب. (انظر ابن الاثير الكامل - بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية). (*)

[١٠٤]

أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانتبغي الجاهلين). فصل قال البيهقي في الدلائل: باب ما جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، ثم روى عن الحاكم عن الأصم، عن أحمد بن

عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق. قال: هذا كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي (١) الاصحح عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم. أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك. هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذه الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عزوجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي. قال الزهري: كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إليهم واحدة، يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة. فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الاصحح لعل الاصحح مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم. وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضا عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - بمرور - حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق. قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الاصحح ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى [بن مريم] روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى فخلقته من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله

(١) في دلائل البيهقي ج ٢ / ٣٠٨ وفي الحاكم ج ٢ / ٦٢٣: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي الاصحح. وفي الحاكم: النجاشي الاصحح عظيم الجيش. (*)

[١٠٥]

عزوجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى. فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحح بن أبحر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الاسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله باريح بن الاصحح بن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن أتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق (١). فصل في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق. قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبيهم، وأمرهم أن يمنعوهم ممن أرادوا قتله. فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا (٢) على ذلك، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا (٣) في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ولا يأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل. فليث بنو هاشم في شعبيهم ثلاث سنين (٤)، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاما

(١) دلائل البيهقي ج ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠. (٢) في دلائل البيهقي: واجتمعوا، وما أثبتناه مناسب أكثر. (٣) كتبها: منصور بن عكرمة العبدري كما في طبقات ابن سعد. راجع في تعاقب قريش على بني هاشم، وبني المطلب وكتابتهم صحيفة هذا العقد: ابن هشام ١ / ٣٧١ ابن سعد ١ / ١٣٩ الطبري ٢ / ٢٢٥ النويري ١٦ / ٢٥٨ السيرة الخلية ١ / ٤٤٩ الدرر في اختصار المغازي والسير، وسيل الهدى والرشاد. (٤) كان هذا العقد والحصار لبني هاشم وبني عبد المطلب في ليلة هلال المحرم سنة سبع من البيعة وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة، وقيل بل إلى السنة التاسعة. (*)

[١٠٦]

يقدم مكة ولا بيعا إلا بادرهم إليه فاشتره يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرًا واغتبالًا له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الارضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله فيه إلا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عزوجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لابني طالب. فقال أبو طالب: لا والثواقب (١) ما كذبني فانطلق يمشي بعصابتة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم، أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعله (٢) أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قيل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوعا إليهم فوضعوها بينهم. وقالوا: قد أن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم. فقالوا أبو طالب: إنما أنيتكم لاعتبيكم أمرا لكم فيه نصف (٣)، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله

برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هوله فيها، وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتكم. قالوا: قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر خيرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعلى المسلمين] (٤) والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإننا

(١) النواقب: النجوم جمع ثاقب وهو النجم المضى. (٢) في ابن سعد: فلعله. (٣) نصف: النصف هي المرأة بين الحدثة والمسنة، والمراد هنا: الأمر الوسط بيننا وبينكم لا حيف فيه علينا، ولا عليكم. (٤) من دلائل البيهقي. (*)

[١٠٧]

نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعةنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس [الله] ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنجن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو (١)، وكانت الصحيفة عنده (٢) وهو من بني عامر بن لؤي - في رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. فقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضى بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي (٣). قال البيهقي: وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير - يعني كسبياق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك فوالله أعلم. قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضا فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن إسحاق. قال: لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلفه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما فارقه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني (٤) عبد المطلب أن لا يناكحهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرض فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك

(١) زاد ابن سعد: عدي بن قيس، ولم يأت على ذكر هشام بن عمرو. (٢) قال ابن سعد في الطبقات: علقوا الصحيفة في جوف الكعبة وفي رواية أخرى: كانت عند أم الجلاس بنت مخربة الحنظلية خالة أبي جهل. (٣) الايات في سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٢ من قصيدة مطلعها: ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب (٤) في الدلائل وسيرة ابن هشام: بني المطلب وهو الصواب. (*)

[١٠٨]

عمه أبو طالب، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم. وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا منه أمنا وقرارا. وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وجعل الاسلام يفتشو في القبائل فاجتمعوا وأتتمروا على أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يتناعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي. قال ابن هشام: ويقال النصر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشيل بعض أصابعه. وقال الواقدي: كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي. قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: أنظروا إلى منصور بن عكرمة. قال الواقدي: وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة. قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم. وحدثني حسين بن عبد الله: أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة، حين فارق قومه، وظاهر عليهم قريشا. فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها؟ قالت: نعم! فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة. قال ابن إسحاق: وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يده فيقول تبا لكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد. فأنزل الله تعالى: (ثبت يدا أبي لهب وتب). قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب: ألا أبلغا عني على ذات بيننا * لؤيا وخصا من لؤي بني كعب ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب وأن عليه في العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب (١)

(١) علق السهيلي على عجز هذا البيت قال: " وهو مشكل جدا لان لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منونا، تقول: لا خيرا من زيد في الدار، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده. وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرا مخفف من خير (كهيبن وميت) وقوله ممن من متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله. وخير وأخير: لفظان من جنس واحد. فحسن الحذف استقالا لتكرار اللفظ.

[١٠٩]

وَأَنْ الَّذِي الصَّقْتُمُوا مِنْ كِتَابِكُمْ * لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كِرَاعِيَةَ السَّقْبِ (١)
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يَحْفَرَ الثَّرَى * وَيَصِيحُ مِنْ لَمْ يَجِنُ ذَنْبًا كَذِي
الذَنْبِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوَشَاةِ وَتَقْطَعُوا * وَأَوَّصِرْنَا بَعْدَ الْمَوْدَةِ وَالْقَرَبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرَبْمَا * أَمْرَ عَلِيٍّ مِنْ ذَاقَهُ حَلْبَ الْحَرْبِ فَلَسْنَا
وَرَبَّ الْبَيْتِ نَسَلِمُ أَحْمَدًا * لِعِزَاءٍ مِنْ عِضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبٍ وَلَمَّا تَبِنَ مَنَا
وَمِنْكُمْ سَوَافٍ * وَأَيْدٍ أَثَرَتْ بِالْقِسَاسِيَةِ الشَّهْبِ (٢) بِمَعْتَرِكِ ضَيْقِ
تَرَى كَسْرَ الْقَنَا * بِهِ وَالنَّسُورِ الطَّخْمِ يَعْكَفُنُ كَالشَّرْبِ (٣) كَانَ مَجَالِ
(٤) الْخَيْلِ فِي حِجْرَاتِهِ * وَمَعْمَعَةِ الْإِبْطَالِ مَعْرَكَةَ الْحَرْبِ أَلَيْسَ أَبُوْنَا
هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ * وَأَوْصَى بِنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبِ
حَتَّى تَمَلْنَا * وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النِّكْبِ وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحِفَائِظِ
وَالنَّهْيِ * إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكَمَامَةِ عَنِ الرَّعْبِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامُوا
عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى جَهَدُوا وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سَرَا
مُسْتَخْفِيًا بِهِ مِنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قَرِيْشٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ بِنَ هِشَامِ
- فِيمَا يَذْكُرُونَ - لَقِيَ حَكِيمَ بِنَ حِزَامِ بِنَ خُوَيْلِدِ بِنِ أَسَدٍ، مَعَهُ غَلَامٌ
يَحْمَلُ قَمْحًا يَرِيدُ بِهِ عَمَّتَهُ خَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَقَالَ: أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ
إِلَى بَنِي هَاشِمٍ؟ وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَضْحَكَ بِمَكَّةَ،
فَجَاءَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بِنَ هَاشِمٍ (٥) بِنَ الْحَارِثِ بِنِ أَسَدٍ. فَقَالَ: مَا لَكَ
وَلَهُ. فَقَالَ: يَحْمَلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ:
طَعَامٌ كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهِ أَتَمَنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا؟ خَلَّ
سَبِيلَ الرَّجُلِ، قَالَ: فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ - حَتَّى نَالَ أَحَدَهُمَا مِنْ
صَاحِبِهِ، فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لِحَى بَعِيرٍ فَضْرِبَهُ فَشَجَّهُ وَوِطْئَهُ وَطْئًا
شَدِيدًا، وَحَمَزَةَ بِنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبَ يَرَى ذَلِكَ، وَهَمَّ بِكَرْهَوْنِ أَنْ
يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، فَبِشَمَتُوا بِهِمْ
وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا
وَسِرًّا وَجَهَارًا مُنَادِيًا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَّقِي فِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

(١) رَاعِيَةَ السَّقْبِ: مَنْ هُوَ الرِّعَاءُ، وَهُوَ أَصْوَاتُ الْإِبِلِ. وَالسَّقْبُ: وَلد النَّاقَةِ، وَأَرَادَ بِهِ هُنَا
وَلَدَهُ نَاقَةَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٢) أَثَرَتْ: قَطَعَتْ. الْقِسَاسِيَةُ سِيوْفٌ تَنْسَبُ إِلَى
قِسَاسٍ وَهُوَ جَبَلٌ لِبَنِي أَسَدٍ فِيهِ مَعْدِنُ الْحَدِيدِ. (٣) النَّسُورِ الطَّخْمِ: ذَاتُ الرَّؤُوسِ
السُّودِ. (٤) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ، وَفِي الْأَصْلِ وَنَسَخَ الْبِدَايَةِ الْمَطْبُوعَةِ وَبَعْضُ نَسَخِ ابْنِ
هِشَامٍ: ضَحَالٌ وَلَا مَعْنَى لَهَا. (٥) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ وَابْنِ سَعْدٍ، وَفِي الْأَصْلِ: هِشَامٌ وَهُوَ
تَحْرِيفٌ. (*)

[١١٠]

[الْمُسْتَهْزِؤُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ظَهَرَ فِيهِمْ] (١)
فَجَعَلَتْ قَرِيْشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهَا وَقَامَ عَمَهُ وَقَوْمَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَبَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ دُونَهُ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوا مِنَ الْبَطْشِ بِهِ،
يَهْمَزُونَهُ وَيَسْتَهْزِؤُنَ بِهِ وَيَخَاصِمُونَهُ، وَجَعَلَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِي قَرِيْشٍ
بِأَحْدَاثِهِمْ، وَفِيْمَنْ نَصَبَ لِعِدَاوَتِهِ، مِنْهُمْ مَنْ سَمَى لَنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ
[فِيهِ] الْقُرْآنُ فِي عَامَةٍ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارِ. فَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَبَا
لَهَبٍ وَنَزُولَ السُّورَةِ فِيهِ، وَأُمِيَّةَ بِنَ خَلْفِ وَنَزُولَ قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَيَلْ لِكُلِّ
هَمَزَةٍ لَمَزَةٍ) السُّورَةُ بِكَمَالِهَا فِيهِ. وَالْعَاصِ بِنَ وَائِلِ وَنَزُولَ قَوْلِهِ:
(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ نُوَلِّدْهُ) [مَرِيْمٌ: ٧٧] فِيهِ.
وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَأَبَا جَهْلٍ بِنَ هِشَامٍ وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَتْرَكَنَّ سَبَّ الْهَيْتِنَا أَوْ لِنَسْبِنَ إِلَيْكَ (٢) [الَّذِي تَعَبَدَ]
(٣) وَنَزُولَ قَوْلِ اللَّهِ فِيهِ: (وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا
اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الْإِنْعَامُ: ١٠٨] الْآيَةِ. وَالنُّضْرُ بِنَ الْحَارِثِ بِنَ كَلْدَةَ
بِنَ عُلْقَمَةَ (٤) - وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عُلْقَمَةَ بِنَ كَلْدَةَ قَالَهُ السَّهْبِيلِيُّ -
وَجُلُوسَهُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجَالِسِهِ حَيْثُ يَتْلُو
الْقُرْآنَ وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ، فَيَتْلُو عَلَيْهِمُ النُّضْرَ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسْتَمِ
وَإِسْفَنْدِيَارِ وَمَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنَ الْحُرُوبِ فِي زَمَنِ الْفَرَسِ، ثُمَّ يَقُولُ:
وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثًا مِنْي، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

اكتتبها كما اكتتبها، فأنزل الله تعالى: (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا) [الفرقان: ٥] وقوله: (ويل لكل أفاك أثيم) [الجاثية: ٧]. قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم [في المجلس]، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) [الانبياء: ٩٨ - ١٠٠]. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما مقام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم (٥). فقال عبد الله بن الزبيري: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا

(١) سقطت من الاصول: واستدرك لزيادة الايضاح. (٢) من ابن هشام، وفي الاصل ألهتك وهو تحريف. (٣) ما بين معقوفتين استدركت من ابن هشام. (٤) قال الخشني: والصواب علقمة بن كعدة. (٥) حصب جهنم: كل ما أوقدت به. قال أبو ذؤيب الهذلي: فأطفئ ولا توفد ولا تك محصبا * لنار العداة أن تطير شكاتها (*)

[١١١]

محمدًا: أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود نعبد عزيرا والنصارى نعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبيري وأروا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: " كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار، أنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته " فأنزل الله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون) [الانبياء: ١٠١ - ١٠٢] أي عيسى وعزير ومن عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى. ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) [الانبياء: ٢٦ - ٢٩] والآيات بعدها. ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبيري (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) [الزخرف: ٥٧ - ٥٨] وهذا الجدل الذي سلوكه باطل. وهم يعلمون ذلك لانهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل، فقوله: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الاحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عزيرا، ولا أحدا من الصالحين لان اللفظ لا يتناولهم لا لفظا ولا معنى. فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم قال: (إن هو) أي عيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أي بنبوتنا (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الاخرى: (ولنجعله آية للناس) أي أمانة ودليلا على قدرتنا الباهرة (ورحمة منا) نرحم بها من نشاء. وذكر ابن إسحاق: الاخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: (ولا تطع كل حلاف مهين) [نون: ١٠] الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث. قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو (١)

الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيمي القريتين. ونزل قوله فيه: (وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [الزخرف: ٣١] والتي بعدها، وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمدا ؟ وسمعت منه وجهي من وجهك حرام [أن أكلمك - وأستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه [(٢) إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة - لعنه الله -،

(١) في ابن هشام: عمرو بن عمير. (٢) ما بين معكوفتين من سيرة ابن هشام. (*)

[١١٢]

فأنزل الله: (ويوم بعض الظالم علي يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتنا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) [الفرقان: ٢٧ - ٢٨] والتي بعدها. قال ومشي أبي بن خلف بعظم بال قد أرم (١). فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم، ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: نعم ! أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك النار. وأنزل الله تعالى: (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) [يس: ٧٨ - ٧٩] إلى آخر السورة. قال واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة - الاسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأميمة بن خلف، والعاص بن وائل [وكانوا ذوي أسنان في قومهم] (٢). فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الامر. فأنزل الله فيهم: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى آخرها. ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم. قال: أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقم فأنزل الله تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) [الدخان: ٤٣ - ٤٤] قال: ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة وقد طمع في إسلامه فمر به ابن أم مكتوم (٣) - عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة - الاعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك عليه حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا، وتركه (٤) فأنزل الله تعالى: (عيس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله: (مرفوعة مطهرة) وقد قيل ان الذي كان يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم أميمة بن خلف فالله أعلم (٥).

(١) أرم: بلى. (٢) ما بين معكوفتين من ابن هشام. (٣) وكان اسمه عبد الله وقيل عمرو. (٤) الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ / ٣٨٩ وما بعدها. (٥) ذكر البيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المستهزون: الوليد بن المغيرة، والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عنطلة السهمي والعاص بن وائل. - فالاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة، ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال البلاذري عنه: " كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه: قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر، ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد. - أما الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام شق عليه فدعا عليه أن يعمي الله بصره ويتكله ولده. - الحارث بن قيس السهمي ابن عنطلة: نسب إلى أمه، نزل فيه في قول: " أرايت من اتخذ الهه هواه " لانه كان يعبد حجرا فإذا رأى حجرا أحسن منه تركه وأخذ الاحسن. (*)

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم) يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد. فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والانس، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى: (وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) [الحج: ٥٢] وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها، إلا أن أصل القصة في الصحيح. قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفراداً به البخاري دون مسلم. وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت الاسود عن عبد الله. قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والنجم بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا، فرأيت بعد قتل كافراً ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة. وقال الامام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه. قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب. فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه. وقد رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به. وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم. والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها،

= كان يقول: لقد عز محمد نفسه وأصحابه أن يعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر والاحداث ومرور الايام. - العاص بن وائل السهمي. قال الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه: المستهزئون كانوا خمسة وقال في رواية كانوا ثمانية: وقد عددهم البيهقي كما ذكرنا خمسة أما الثلاثة فهم: مالك بن الطلالبة بن عمرو بن غيشاف ذكره ابن الكلبي والبلاذري وكان سفيها فدعا عليه رسول الله واستعاذ بالله من شره. وذكر البلاذري ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو الاصداء، وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم ويقول للناس هو معلم مجنون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لعلى جبل إذا اجتمعت عليه الاروى فنتطحت حتى قتلتها. (*)

فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم، عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل [بن عمرو]، وعبد الله بن جحش بن رئاب، وعتبة بن غزوان، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وسويبط بن سعد [بن حرملة]، وطليب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الاسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشماس (١) بن عثمان، وسلمة بن هشام، وعياش بن

أبي ربيعة - وقد حبسا (٢) بمكة حتى مضت بدرا وأحدا والخندق -
وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا.
ومعتب بن عوف، وعثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخواه قدامة
وعبد الله ابنا مظعون، وخنيس بن حذافة، وهشام بن العاص بن وائل
- وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة، وامراته ليلى
بنت أبي حثمة. وعبد الله بن مخزومة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو -
وقد حبس (٣) حتى كان يوم بدر فانجاز إلى المسلمين فشهد
معهم بدرا - وأبو سيرة بن ابي رهم، وامراته أم كلثوم بنت سهيل،
والسكران بن عمرو بن عبد شمس، وامراته سودة بنت زمعة - وقد
مات بمكة (٤) قبل الهجرة وخلف على امراته رسول الله صلى الله
عليه وسلم - وسعد بن خولة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو (٥) بن
الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء (٦)، وعمرو بن أبي سرح
فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم. وقال البخاري: وقالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أريت دار هجرتكم]
أريت سيخة [(٧) ذات

(١) اسم شماس: عامر، وشماس لقب غلب عليه. أمه صفة بنت ربيعة بن عيد
شمس شهد بدرا وقتل يوم أحد وهو ابن أربع وثلاثين سنة. أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يدفن في أحد كما هو في ثيابه التي مات فيها بعد أن مكث يوما
وليلة. قال حسان بن ثابت يرثيه: اقنى حياءك في ستر وفي كرم * فإنما كان شماس
من الناس قد ذاق حمزة سيف الله فاصطبري * كاسا رواء ككأس المرء شماس (٢)
وحبسهما أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام وهما عما سلمة وأخوا عياش لأمه،
قيل قد احتالا على عياش أن أمه حلفت ألا يدخل رأسها وهي ولا تغتسل حتى تراه.
فرجع معهما فأوثقاه. (٣) يكنى عبد الله: أبا سهيل وكان الذي حبسه أبوه وأوثقه في
مكة وقتنه في دينه، كان أحد الشهود في صلح الحديبية استشهد يوم اليمامة وهو
ابن ثمان وثلاثين سنة. (٤) هذا قول ابن إسحاق ووافق عليه الواقدي، أما موسى بن
عقبة وأبو معشر فيقولان أن السكران مات بالحبشة (أنظر الطبقات لابن سعد ج ٤ /
٢٠٤). (٥) يقال فيه: عامر بن الحارث، ولم يذكره ابن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر
إلى أرض وذكره ابن عقبة في البديين. (الطبقات ج ٤ / ٢١٢). (٦) سهيل بن بيضاء:
بيضاء هي أمه وأسمها دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ظرب بن الحارث بن
فهر وأبوه وهب بن ربيعة. أسلم وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم مسلما
ومات في المدينة سنة تسع من الهجرة. (٧) من البخاري. السبخة: الأرض تعلقها
الملوحة، ولا تكاد تنبت شيئا. (*)

[١١٥]

نخل بين لابتين " فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان
هاجر إلى الحبشة إلى المدينة. وفيه عن أبي موسى وأسماء رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم حديث أبي
موسى وهو في الصحيحين، وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد
فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله
وبه الثقة. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن
سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. قال: كنا نسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فيرد علينا، فلما رجعنا
من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسول الله إنا
كنا نسلم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد
علينا ؟ " قال إن في الصلاة شغلا " وقد روى البخاري أيضا ومسلم
وأبو داود والنسائي من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن
الاعمش به، وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في
الصحيحين كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله: (وقوموا لله قانتين) [
البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. على أن المراد
جنس الصحابة، فإن زيدا أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة
ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية
فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها
معها والله أعلم. قال ابن إسحاق: وكان ممن دخل منهم بجوار (١)، [
فيمن سمى لنا] (٢) عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة،
وأبو سلمة بن عبد الاسد في جوار خاله أبي طالب، فإن أمه (٣) برة

بنت عبد المطلب. فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء، وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي في حوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير (٤) في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وقت ذمتك، وقد رددت إليك حوارك. قال [له] لم يا ابن أخي ؟ لعله أذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله عزوجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي حواري علانية كما حرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد

= لابنان: أي الحرتان، وهي الأرض فيها حجارة سود كأنها احترقت بالنار. والحديث أخرجه البخاري من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة في ٣٩ كتاب الكفالة (٤) باب فتح الباري ٤ / ٤٧٥ - ٤٧٦. (١) في الأصل: وكان ممن دخل معهم بجوار، وهو تحريف. وأثبتنا ما في سيرة ابن هشام. (٢) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدرك من ابن هشام. (٣) في ابن هشام: وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب. (٤) في سيرة ابن هشام: كبير بدل كثير. (*)

[١١٦]

جاء يرد علي حواري. قال: صدق، قد وجدته وفيما كريم الجوار، ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضي الله عنه وليبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش بنشدتهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذي جليستكم، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفية في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فحضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ [من] عثمان. فقال: والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لعنية، ولقد كنت في ذمة منيعة. قال يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإنني لفي حوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إلى حوارك فعد. قال: لا !. قال ابن إسحاق: وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله [بن عمر] أبي سلمة أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا له: يا أبا طالب لقد (١) منعت منا ابن أخيك محمدا، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال إنه استجار بي، وهو ابن اختي وإن أنا لم أمتع ابن اختي لم أمتع ابن أخي. فقام أبو لهب، فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم علي هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن امرأ أبو (٢) عتبية عمه * لفي روضة ما أن يسام المظالم أقول له، وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبت سوادك قائما (٣)

(١) في الاصل، وفي بعض نسخ ابن هشام: هذا منعت. (٢) كذا في الاصل وابن هشام: أبا معتب، وكنيته: أبو عتبة. والسواد: هنا: الشخص. (٣) كذا بالاصل: "أبا معتب". (*)

[١١٧]

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة * تسب بها إما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم * فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى * أبا الحرب يعطى الخسيف حتى
يسالما وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة * ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحارما كذبتهم
وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما قال ابن
هشام: وبقي منها بيت تركناه. عزم الصديق على الهجرة إلى
الحبيشة قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -
كما حدثني محمد بن مسلم [ابن شهاب] الزهري عن عروة عن
عائشة، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الازدي، ورأى من تظاهر
قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى،
استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له، فخرج
أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا، حتى إذا سار من مكة يوما - أو يومين
- لقيه ابن الدغنة (١) أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة
وهو يومئذ سيد الاحابيش (٢). قال الواقدي: اسمه الحارث بن يزيد
أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك.
فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال أخرجني قومي وأذوني وضيقوا علي.
قال ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل
المعروف وتكسب المعدوم. أرجع فإنك في جواربي. فرجع معه حتى
إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد
أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير. قالت (٣): فكفوا
عنه. قالت: وكان لابي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان
يصلي فيه، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكي قالت: فيقف عليه
الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، قالت: فمشى
رجال من قريش إلى ابن الدغنة. فقالوا

(١) ابن الدغنة ويقال ابن الدغينية ضبطه القسطلاني والزرقاني. يفتح الدال وكسر
العين وفتح النون المخففة وأهل اللغة: بضم الدال والعين وفتح النون المشددة. وهو
ربيعة بن ربيع أهبان بن ثعلبة السلمى، والدغنة: أمه غلبت على اسمه شهد حينما
ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في بني تميم. (٢) الاحابيش: قال ابن
إسحاق: الاحابيش بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة،
وبنو المصطلق، وقيل سمووا بالاحابيش لانهم تحالفوا جميعا بواد يقال له الاحبش
بأسفل مكة، ويقال تحالفوا عند جبل يقال له: حبشي، فسموا بذلك. (٣) من ابن
هشام: وفي الاصل: قال، فراوية الخبر: عائشة. (*)

[١١٨]

[له]: يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى
وقرأ ما جاء به محمد يرق [ويبكي] وكانت له هيئة، ونحن نتخوف.
على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأتته فمره بأن يدخل بيته
فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدغنة إليه فقال [له]: يا أبا
بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك. وقد كرهوا مكانك الذي أنت به،
وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك
جوارك وأرضى بجوار الله. قال فاردد علي جواربي. قال: قد رددته
عليك. قالت: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي
قحافة قد رد علي جواربي فشأنكم بصاحبكم. وقد روى الامام

البخاري (١) هذا الحديث متفردا به وفيه زيادة حسنة. فقال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب (٢) فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لم أعقل أبواي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد (٣)، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل (٤)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وأنا لك جار فارجع، فأعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة (٥)، وطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ويصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره [وبرز] (٦) وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، [فيتقذف عليه] (٧) نساء المشركين وأبنائهم

(١) في ٦٣ كتاب مناقب الانصار (٤٥) باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة فتح الباري ٧ / ٢٣٠ - ٢٣١، وأخرج جزءا من أول هذا الحديث في كتاب الصلاة، وفي كتاب الاجارة. (٢) من البخاري، وفي الاصل ابن هشام وهو تحريف. (٣) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، مما يلي ساحل البحر، وقال ابن فارس: بضم الغين، وقيل برك الغماد: موضع في اقاصي هجر. (٤) تحمل الكل: هو ما يتنقل حمله من القيام بالعيال ونحوه مما لا يقوم بأمر نفسه. (٥) في دلائل البيهقي: فارتحل ابن الدغنة مع أبي بكر رضي الله عنه. (٦) سقطت من الاصل وصحيح البخاري، واستدركت من دلائل البيهقي. (٧) من البخاري، وفي الاصل فكان نساء المشركين، يتقذف أي يتدافعون فيتساقطون، ورواية المواهب: " فيتقصف " أي يزدهم. وما ورد في الحديث - بين معكوفين زيادة من البخاري ودلائل النبوة للبيهقي. (*)

[١١٩]

يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم. فقالوا [له]: إنا كنا أجرتنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره، فأعلن في الصلاة والقراءة فيه، وأنا قد خشينا أن يفتن أبنائنا ونساءنا فإنه فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك، فإننا قد كرهنا [أن] نخفرك ولسنا مفرين لابي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي قد عاقدت عليه قريش فأما أن تقتصر علي ذلك، وأما أن ترد إلي ذمتي، فأني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فأني أرد عليك جوارك وأرضي بجواز الله عزوجل. ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي مبسوطا. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: لقيه - يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحشا على رأسه ترابا، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. [قال] (١) وهو يقول أي رب ما أحلمك. أي رب ما أحلمك، أي رب ما

أحلمك. فصل كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرتهم إياهم في الشعب، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. نقض الصحيفة قال ابن إسحاق: هذا وبنو هاشم، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض [تلك] الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن [ربيعة بن] الحارث بن حبيب بن نصر [بن جذيمة] بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم (٢) بن

(١) من ابن هشام، والخير في السيرة ج ٢ / ١٣. (٢) من سيرة ابن هشام، وفي الاصل هشام وهو تحريف (*).

[١٢٠]

عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه، فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره بزا (١) فيفعل به مثل ذلك، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر (٢) بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟ أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها [حتى أنقضها]. قال قد وجدت رجلاً، قال من هو؟ قال: أنا قال له زهير: أبغنا ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً، قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال قد وجدت لك ثانياً، قال من؟ قال أنا، قال أبغنا ثالثاً قال قد فعلت. قال من هو؟ قال زهير بن أبي أمية. قال أبغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البخترى بن هشام، فقال [له] نحو ما قال للمطعم بن عدي، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا؟ قال نعم! قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. قال أبغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم وحققهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم ثم سمي القوم. فاتعدوا خطم الحجون (٣) ليلاً بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك، واجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير: أنا أبدوكم، فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أندبتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس. فقال: يا أهل مكة أأكل الطعام وتلبس الثياب، وبنو هاشم هلكت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - والله لا تشق. قال: زمعة بن الأسود أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حين كتبت. قال أبو البخترى: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نفر به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبأ إلهي الله منها، ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قد قضى بليل، تشور فيه بغير هذا المكان، [قال]: وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام

(١) من ابن هشام، وفي الاصل وبعض نسخ ابن هشام " برا " وقال السهيلي: برا بالزاي. (٢) من ابن هشام، وفي الاصل عمرو وهو تحريف. (٣) من ابن هشام وفي الاصل حطم، والحجون: موضع بأعلى مكة، وخطمه: مقدمه. (*)

[١٢١]

المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها إلا " باسمك اللهم "، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة (١). فشلت يده فيما يزعمون. قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب: " يا عم إن الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ". فقال أربك أخبرك بهذا؟ قال " نعم " ! قال فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا، فهل صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم: قد رضينا فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا. فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا. قال ابن إسحاق: فلما مزقت وبطل ما فيها، قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم: ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا * على نأيهم والله بالناس أروء (٢) فيخبرهم أن الصحيفة مزقت * وأن كل ما لم يرضه الله مفسد تراوحها إفك وسحر مجمع * ولم يلف سحرا آخر الدهر يصعد تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فبطائرها في رأسها يتردد (٣) وكانت كفاء وقعة بأثيمة * ليقطع منها ساعد ومقلد وبطن أهل المكنين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد ويترك حراث يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجد (٤) فمن ينش من حضار مكة عزة * فعزتنا في بطن مكة أتلد نشأنا بها والناس فيها قلائل * فلم تنفك نزداد خيرا ونحمد

(١) قال السهيلي: وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان، أحدهما: إن كاتب الصحيفة هو بغض بن عامر بن هاشم بن عبدالدار، والقول الثاني: أنه منصور بن عبد شريحيل بن هاشم من بني عبدالدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين، والزبيريون أعلم بالنساب قومهم. (٢) بحرينا: قال السهيلي: يعني الذين بأرض الحبشة، والذين هاجروا إليها من المسلمين في البحر، وأرود: أرفق. (٣) الفرقر: اللين السهل، يتردد: المراد حطها من الشؤم والشر. (٤) أيتهم: أي يأتي تهامة، وينجد: أتى نجدا. وبعده في السيرة: وتصعد بين الاخشبيين كتيبة * لها حدج سهم وفوس ومرهد (*)

[١٢٢]

ونطعم حتى يترك الناس فضلهم * إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد (١) جزى الله رهطا بالحجون تجمعوا (٢) * على ملا يهدي لحزم ويرشد قعودا لذي حطم (٣) الحجون كأنهم * مفاولة بل هم أعز وأمجد أعان عليها كل صقر كانه * إذا ما مشى في رفر الدرع أجرد جرى على جل (٤) الخطوب كأنه * شهاب بكفي قابس يتوقد من الاكرمين من لؤي بن غالب * إذا سيم خسفا وجهه يتردد طويل النجاد خارج نصف ساقه * على وجهه يسقي الغمام ويسعد عظيم الرماد سيد وابن سيد * يحض على مقرى الصيوف ويحشد ويني لابناء العشيرة صالحا * إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد أظ بهذا الصلح كل مبرا * عظيم اللواء أمره ثم يحمد (٥) قضا ما قضا في

ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد هم رجعوا سهل بن
بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد (٦) متى شرك الاقوام في حل
أمرنا * وكنا قديما قبلها نتودد وكنا قديما لا نقر ظلامه * ونذكر ما
شئنا ولا نتشدد فيال قصي هل لكم في نفوسكم * وهل لكم فيما
يجئ به غد فإنني وإياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود
قال السهيلي: أسود اسم جيل قتل به فتيل ولم يعرف قاتله فقال
أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود، أي يا أسود لو تكلمت
لابنت لنا عمن قتله (٧). ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان يمدح
المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة
الظالمة الفاجرة الغاشمة. وقد ذكر الاموي ههنا أشعارا كثيرة اکتفينا
بما أورده ابن إسحاق. وقال الواقدي: سألت محمد بن صالح وعبد
الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم

(١) المفيضون: الضاريون بقداح الميسر. (٢) في ابن هشام: تباعوا. (٣) في ابن
هشام: خطم وهو الصواب، وخطم الشئ: مقدمه. (قاموس). (٤) في ابن هشام:
حلى: الأمر العظيم. (٥) أظ: ألح في طلب الشئ. (٦) سهل بن بيضاء، أخو سهيل
وبيضاء أمهما سمي باسمها وهي دعد بنت جحدم أسلم بمكة وكنم إسلامه شهد
بدرا مع المشركين وأسر، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه راه يصلي بمكة فخلى
عنه. (راجع طبقات ابن سعد ج ٤ / ٢١٣). (٧) زاد السهيلي: فقال أولياء المقتول هذه
المقالة، فذهبت مثلا. (*)

[١٢٣]

من الشعب ؟ قال: في السنة العاشرة صلى الله عليه وسلم -
يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين. قلت: وفي هذه السنة
بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن
شاء الله تعالى. فصل وقد ذكر محمد بن إسحاق - رحمه الله - بعد
إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو
عمرة أو غير ذلك منه، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على
صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه
من البغي والعدوان والمكر والخداع، ويرمونه من الجنون والسحر
والكهنات والتقول، والله غالب على أمره. فذكر قصة الطفيل بن عمرو
الدوسي مرسله، وكان سيذا مطاعا شريفا في دوس، وكان قد قدم
مكة فاجتمع به أشرف قريش وجزوه من رسول الله ونهوه أن
يجتمع به أو يسمع كلامه، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا
أسمع منه شيئا ولا أكمله، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى
المسجد كرسفا (١) فرقا من أن يبلغني شئ من قوله، وأنا لا أريد
أن أسمعه. قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمته منه قريبا فأبى الله إلا أن
يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاما حسنا، قال: فقلت في
نفسي وأثكل أمي، والله إنني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي
الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول !
فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته. قال:
فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته [
فاتبعته، حتى إذا دخل بيته] (٢) دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن
قومك قالوا لي كذا وكذا - الذي قالوا - قال فوالله ما برحوا بي
بخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم
أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولا حسنا، فأعرض علي
أمرك: قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام
وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا
أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله
إنني امرؤ مطاع في قومي، وإنني راجع إليهم وداعيتهم إلى الاسلام،
فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم إليه.

قال فقال: " اللهم اجعل له آية " قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر (٣)، وقع بين عيني نور مثل المصباح. قال فقلت: اللهم في غير وجهي، فإنني أخشى أن يظنوا بها مثله (٤) وقعت في وجهي لفراقي

(١) الكرسف: القطن. (٢) ما بين معكوفين من ابن هشام. (٣) الحاضر: الجماعة النازلون على الماء. (٤) المثلة: يريد العقوبة والتنكيل. (*)

[١٢٤]

دينهم، قال: فتحول فوق في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يترأون ذلك النور في رأس سوطي كالفنديل المعلق، وأنا أتهبط عليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي - وكان شيخا كبيرا - فقلت: إليك عني - يا أبة فلست منك ولست مني، قال ولم يا بني؟ قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم. قال: أي بني فدينك ديني. فقلت: فأذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم أتتني حتى أعلمك ما علمت. قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم. قال ثم أتتني صاحبتني، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني. قالت: ولم؟ ولم؟ بأبي أنت وأمي. قال قلت [قد] فرق بيني وبينك الاسلام، وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم. قالت فدينك دينك. قال: فقلت فأذهبني إلى حمى ذي الشرى فتطهري منه، وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل. قالت: بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا؟ قلت: لا، أنا ضامن لذلك. قال: فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فأسلمت، ثم دعوت دوسا إلى الاسلام فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. فقلت [له]: يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس (١) الزنا فادع الله عليهم. قال: " اللهم أهد دوسا، أرجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم ". قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأجد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتا - من دوس فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسلم لنا مع المسلمين. ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة. فقلت: يا رسول الله إبعثني إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه. قال ابن إسحاق: فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول: يا ذا الكفين لست من عبادك * ميلادنا أقدم من ميلادك إني حشوت النار في فؤادك (٢) قال ثم رجعت [إلى] رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال

(١) دوس: بطن من شنوءة من الازد القحطانية وهم بنو دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن خالد بن نصر. منهم أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عمير بن عامر. (نهاية الأرب للقلشندبي ٢٢٥). (٢) في مغازي الواقدي ٢ / ٨٧٠: أنا حششت النار في فؤادك. (*)

لاصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أن رأسي حلق، وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيت حبس عني؟ قالوا: خيرا قال: أما أنا والله فقد أولتها، قالوا ماذا؟ قال أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالارض تحفر لي فأغيب فيها. وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله تعالى شهيدا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدا رحمه الله. هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا اسناد (١). ولخبره شاهد في الحديث الصحيح. قال الامام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة. قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن دوسا قد استعصت قال: " اللهم اهد دوسا وأنت بهم " رواه البخاري (٢) عن أبي نعيم عن سفيان الثوري. وقال الامام أحمد: حدثنا يزيد، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليها. قال أبو هريرة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقلت هلكت دوس. فقال: " اللهم اهد دوسا، وأنت بهم " إسناد جيد ولم يخرجوه. وقال الامام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر: أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي ذخر الله للانصار، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتوا (٣) المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص (٤) فقطع بها براحمه فشخبت يدها فما رقا الدم حتى مات. فرأه الطفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة، ورأه مغطيا يديه. فقال له: ما صنع بك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم قال فما لي أراك

(١) قال في الاصابة ج ٢ / ٢٢٥: ذكرها ابن اسحاق في سائر النسخ بلا إسناد، وروي في نسخة من المغازي من طريق صالح بن كيسان عن الطفيل بن عمرو في قصة إسلامه. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ج ٤ / ٢٢٧ مطولا من وجه آخر، وكذلك الاموي عن ابن الكلبي بإسناد آخر. وقد ساق ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ / ٢٢٢ من طريق الاموي عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن الطفيل بن عمرو فذكر قصة إسلامه. (٢) في: ٨٠ كتاب الدعوات (٥٩) باب الحديث ٦٣٩٧ فتح الباري ١١ / ١٩٦ وأخرجه أيضا في ٦٤ كتاب المغازي (٧٥) باب قصة دوس فتح الباري ٨ / ١٠١. (٣) اجتوا المدينة: معناه كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم. قال أبو عبيد والجوهري: اجتويت البلد إذا كرهت المقام به، وإن كنت في نعمة. قال الخطابي: أصله من الجوى وهو داء يصيب الجوف. (٤) مشاقص: جمع مشقص وهو سهم فيه نصل عريض قاله ابن فارس والخليل، وقال غيرهما طويل وليس بالعريض، والاقرب أنه عريض لأن قطع البراجم يحصل بالعريض وليس بالطويل.

مغطيا يديك؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت. قال فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم وليديه فاغفر " رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به (١). فإن قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ

سكينا فجز بها يده فما رفاً الدم حتى مات، فقال الله عزوجل عبدي بادرني بنفسه فحرمت عليه الجنة". فالجواب من وجوه، أحدها: أنه قد يكون ذلك مشركاً وهذا مؤمن، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته: الثاني: قد يكون هناك عالماً بالتحريم وهذا غير عالم لحدثة عهده بالاسلام. الثالث: قد يكون ذلك فعله مستحلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً. الرابع: قد يكون أراد ذلك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك. الخامس: قد يكون هناك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت هيئة سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له مالك؟ قال: قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: " اللهم وليديه فاغفر " أي فاصح منها ما كان فاسداً. والمحقق أن الله استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب الطفيل بن عمرو. قصة اعشى بن قيس قال ابن هشام: حدثني خلاد بن قررة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من (٢) أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكاب بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام، فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم: ألم تغتمض عينك ليلة أرمداً * وبت كما بات السليم مسهداً وما ذاك من عشق النساء وإنما * تناسيت قبل اليوم خلة مههداً (٣) ولكن أرى الدهر الذي هو خائن * إذا أصلحت كفاي عاد فأفسداً كهولاً وشياناً فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف تردداً وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع * وليداً وكهلاً حين شبت وأمرداً

(١) صحيح مسلم (١) كتاب الايمان (٤٩) باب حديث ١٨٤. (٢) من ابن هشام، وفي الاصل: عن. (٣) كذا في الاصل خلة وفي ابن هشام " صحبة " ومهدد: اسم امرأة. (*)

[١٣٧]

وأبتذل العيس المراقيل تعتلي * مسافة ما بين النجير فصرخدا (١) ألا أبهذا السائلني أين يمت * فإن لها في أهل يثرب موعداً فإن تسألني عني فيا رب سائل * حفي عن الاعشى به حيث أصعدا أجدت برجليها النجاد وراجعت * يداها خنافاً لينا غير أحردا (٢) وفيها إذا ما هجرت عجرية * إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا (٣) وأليت لا أوي لها من كلاله * ولا من حفي حتى تلاقي محمداً متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقي من فواضله ندى نبي يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمرى في البلاد وأنجدا (٤) له صدقات مانع وبائل * فليس عطاء اليوم مانعه غداً أجذك لم تسمع وصاة محمد * نبي الاله حيث أوصى وأشهدا إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على أن لا تكون كمثلته * فترصد للأمر الذي كان أرضداً فإياك والميتات لا تقرينها * ولا تأخذن سهماً حديداً لتقصداً وذا النصب المنصوب لا تنسكنه * ولا تعبد الاوثان والله فاعبداً ولا تقرين جارة كان سرها * عليك حرماً فانكحن أو تأبدا (٥) وذا الرحم القربي بلا تقطعنه * لعاقبة ولا الاسير المقيدا وسبح على حين العشية والضحي * ولا تحمد الشيطان والله فاحمداً (٦) ولا تسخرن من بانس ذي ضارة * ولا تحسبن المال للمراء مخلداً قال ابن هشام: فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم. فقال له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا. فقال الاعشى: والله إن ذلك لامر مالي فيه من أرب.

فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الخمر. فقال الاعشى: أما هذه فوالله إن في نفسي منها العلالات، ولكنني منصرف فأترى منها عامي هذا، ثم أتة فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم. هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله، وهذا مما يؤخذ به ابن هشام رحمه الله، فإن

(١) النجيز: موضع في حضرموت من اليمن، وصرخد: موضع بالجزيرة. (٢) في ابن هشام: النجاء بدل النجاد. والنجاء: السرعة. والخفاف: التي تلوي في السير يديها من النشاط. (٣) أصيد: المائل العنق تكبرا أو من داء أصابه. (٤) أغاز: قال ابن دريد في الاشتقاق: من روى: أغاز لعمرى، فقد لحن وأخطأ. (٥) في ابن هشام: حرة بدلا من جارة. (٦) في ابن هشام: العشيات بدلا من العشية. (*)

[١٢٨]

الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الاعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله: ألا أيها ذا السائلي أين يمتت * فإن لها في أهل يثرب موعدا وكان الانسب والاليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم. قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد. وقد قال: وقيل إن القائل للاعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة. وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقوله. ثم أتة فأسلم - لا يخرج عن كفره بلا خلاف والله أعلم. ثم ذكر ابن إسحاق هاهنا قصة الاراشي وكيف استعدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك. قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال: وكان ركانة (١) بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب (٢) بن عبد مناف أشد قريشا، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفرايت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟ " قال نعم! قال: " فقم حتى أصارعك ". قال فقام ركانة إليه فصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه. فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟ قال [رسول الله صلى الله عليه وسلم]: " وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبع أمرى "؟ قال وما هو؟ قال: " أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأينني ". قال:

(١) هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبى. وقال البلاذري: لقي ركانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض جبال مكة. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرعه وأسلم ركانة في الفتح وقيل أسلم عقب مصارعته. قال الزبير: مات بالمدينة في خلافة معاوية وقال أبو نعيم مات في خلافة عثمان وقيل عاش إلى سنة إحدى وأربعين (راجع الإصابة ١ / ٥٢٠). (٢) في ابن هشام: بن عبد المطلب. (*)

فادعها، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال لها: ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع. هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان. وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسقلاني (١) عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه. أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال الترمذي غريب ولا تعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة. قلت: وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إلي منك. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه غنمه. وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسياأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة. وقد تقدم عن أبي الأشددين أنه صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصاري من أهل الحبيشة نحو من عشرين راكبا إلى مكة فأسلموا عن آخرهم، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمنة (٢). قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد، فجلس (٣) إليه المستضعفون من أصحابه خباب، وعمار، وأبو فكيهة، يسار (٤)، مولى صفوان بن أمية، وصهيب، وأشباهم من المسلمين. هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصهم الله به دوننا. فأنزل الله عزوجل فيهم: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك ما حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٨) وقال وقد رواه أبو أويس المديني، عن محمد بن عبد الله بن يزيد بن ركانة. وقال ابن حبان في إسناده خبره في المصارعة نظر وقال في تقريب التهذيب: أبو الحسن العسقلاني مجهول من السابعة. ورواه الحاكم في المستدرک ٣ / ٤٥٢ ورواه أبو داود في المراسيل. (٢) سيرة ابن هشام ج ٢ / ٢٢. (٣) من ابن هشام، وفي الأصل يجلس، وما أثبتناه مناسب أكثر. (٤) في الأصل: أبو فكيهة ويسار، وهو تحريف وأثبتنا ما في سيرة ابن هشام. (*)

إنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) [الانعام: ٥٢ - ٥٤]. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني الحضرمي، وكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: (إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [النحل: ١٠٣]. ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أبتى أي لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: (إن شانئك هو الابتر) أي

المقطوع الذكر بعده، ولو خلف ألوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والانسال والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد. وقد روي عن أبي جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية. ثم ذكر نزول قوله: (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر) وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الاسود والعاص بن وائل والنضر بن الحارث: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك. قال ابن إسحاق: ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأميه بن خلف وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزؤا به، فغاضه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم: (ولقد استهزؤا برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن). قلت: وقال الله تعالى: (ولقد استهزؤا برسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين) وقال تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين). قال سفيان: عن جعفر بن أبياس، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال: المستهزؤن الوليد بن المغيرة، والاسود بن عبد يغوث الزهري، والاسود بن المطلب أبو زمعة، والحارث بن عيطل (١)، والعاص بن وائل السهمي. فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد [أبا عمرو بن المغيرة] (٢) فأشار جبريل إلى أنمله (٣) وقال كفيته، ثم أراه الاسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه (٤) وقال كفيته، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال كفيته، ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال كفيته، ومرو به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال

(١) في دلائل البيهقي: الحارث بن عنطلة السهمي، وهو الحارث بن قيس السهمي وهو ابن العنطلة ينسب إلى أمه وفي السهيلي: أنه ابن الطلائع وكان يأخذ حجرا يعيده فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن. وفيه نزلت: أرأيت من اتخذ إلهه هواه. (٢) من دلائل البيهقي. (٣) في دلائل البيهقي: أبحله. (٤) في دلائل البيهقي: عينه، وهو مناسب أكثر لما يقتضيه السياق بعد قليل. (*)

[١٣١]

كفيته. فأما الوليد فمرو برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أنمله فقطعها، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الاسود بن المطلب فعمي. وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئا. وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون ما نرى شيئا. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما إذ دخل في رأسه شبرقة (١) حتى امتلات منها فمات منها. وقال غيره في هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته. رواه البيهقي بنحو من هذا السياق (٢). وقال ابن إسحاق: وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " اللهم أعم بصره وأثكله ولده " (٣). والاسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائع (٤). وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون من الله إلها آخر فسوف يعلمون) [الحجر: ٩٤]. وذكر أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حيناً (٥) ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه (٦) كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلا له من خراعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيرا، فانتقض بعد ذلك فمات. ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فريض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلائل فأشار إلى رأسه فامتخص (٧) قيحا فقتله.

(١) الشبرقة: رطب الضريع (٢) دلائل النبوة ج ٢ / ٣١٧ - ٣١٨. (٣) قال البلاذري: خرج يستقبل ابنه وقد قدم من الشام، فلما كان ببعض الطريق جعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورق شجرة جلس في ظلها، حتى عمي، ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الاسود، قتله أبو دجانة ويقال قتله ثابت بن الجذع. (٤) الطلائلة، اسم امه وقال الكلبي هو الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وفي السيرة الشامية: اسمه مالك، والطلايلة ابوه. (٥) الحين: انتفاخ البطن. (٦) في ابن هشام: كعب رجله. (٧) من ابن هشام، وفي الاصل فامتخص وهو تحريف، أي أن الفحيح تحرك في رأسه وانتشر. (*)

[١٣٢]

ثم ذكر ابن إسحاق: أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد. فقال لهم: أي بني، أوصيكم بثلاث، دمي في خراعة فلا تطلوه (١)، والله إنني لاعلم أنهم منه براء ولكنني أخشى أن تنسبوا به بعد اليوم. ورباي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري (٢) عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتكم به. وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عقرها منه - وهو صداقها - فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خراعة يلتمسون منهم عفل الوليد، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم، فأبى عليهم خراعة ذلك حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الامر. ثم أعطتهم خراعة بعض العفل وأصلحوا وتحاجزوا. قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله، وكان شريفا في قومه. وكانت ابنته (٣) تحت أبي سفيان - وذلك بعد بدر - فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبو غائب، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه: أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضا في رجل من دوس؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة (٤) له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال بنس ما ظن حسان أن يقتل بعضها بعضا وقد ذهب أشرفنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله في ربا أبيه من أهل الطائف؟ قال ابن إسحاق: فذكر لي بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) [البقرة: ٢٧٨] وما بعدها. قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني أزيهر ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس، إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الاسلامي (٥) خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر فقامت دونه أم غيلان (٦) ونسوة كن معها حتى منعتهم. قال السهيلي: يقال إننا أدخلته بين درعها وبدنها.

(١) في ابن هشام: فلا تطلنه، لا تطلوه: لا تهدروه، إذا لم يأخذ بالثار فقد هدر الدم.
(٢) العقير: بالضم، دية فرج المرأة المغصوب. (٣) واسمها: عاتكة. (٤) منها: كسك

هشام بن الوليد ثيابه * فأبل وأخلف مثلها جددا بعد (٥) في ابن هشام: الفهري. (٦)
قال ابن هشام عن أبي عبيدة: أن التي قامت دونه أم جميل. ويحتمل أن تكونا قامتا
معا دونه. وفي ذلك قال ضرار شعرا منه: جرى الله عنا أم غيلان صالحا * ونسوتها إذ
هن شعث عواطل (*)

[١٣٣]

قال ابن هشام: فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي
ترى أن ضرارا أخوه، فقال لها عمر: لست بأخيه إلا في الاسلام، وقد
عرفت منتك عليه فأعطاها على أنها بنت سبيل. قال ابن هشام:
وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه
بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أفتلك فكان عمر يعرفها له
بعد الاسلام (١) رضي الله عنهما. فصل وذكر البيهقي هاهنا (٢)
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصت عليه
بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجه في الصحيحين من طريق
الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود. قال:
خمس مزين، اللزام (٣) والروم، والدخان، والبطشة، والقمر. وفي
رواية عن ابن مسعود. قال: إن قريشا، لما استعصت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبطئوا عن الاسلام. قال: " اللهم أعني
عليهم بسبع كسبع يوسف " قال فأصابتهم سنة حتى حصت (٤)
كل شئ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما
بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع. ثم دعا فكشف الله
عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم
عائدون) [الدخان: ١٥] قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة -
أوقال فأخروا إلى يوم بدر - قال عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة
كان لا يكشف عنهم: (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) [
الدخان: ١٦] قال يوم بدر. وفي رواية عنه (٥) قال: لما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الناس إديارا. قال: " اللهم سبع كسبع
يوسف " فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام. فجاء أبو
سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمد إنك تزعم أنك بعثت
رحمة وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة
المطر. فقال: " اللهم حوالينا ولا علينا " فانجذب (٦) السحاب عن
رأسه فسقي

(١) في ابن هشام: بعد إسلامه، وهذا يؤكد أن ضرارا أدرك الاسلام وأسلم كما في
الاشتقاق ١ / ١٠٣ شهد أحدا مع المشركين. (٢) أخرج البيهقي في الدلائل ٢ /
٣٢٦. (٣) أخرجه البخاري في ٦٥ كتاب التفسير - تفسير سورة الدخان ح ٤٨٢٥ فتح
الباري ٨ / ٥٧٤ والترمذي في كتاب التفسير ٥ / ٣٧٩ وأحمد في سننه ٥ / ١٢٨.
للزام قال في النهاية هو يوم بدر. (٤) من البخاري والبيهقي، والاصل: فصحت وهو
تحريف. والحديث في فتح الباري ٨ / ٥٧٣، وأخرجه البيهقي من طريق الاعمش عن
مسلم عن مسروق عن ابن مسعود به. (٥) من طريق أبي الضحى عن مسروق عن
ابن مسعود. (٦) في البيهقي: فانحدرت السحابة. (*)

[١٣٤]

الناس حولهم، قال لقد مضت آية الدخان - وهو الجوع الذي أصابهم -
وذلك قوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) وآية الروم (١)،
والبطشة الكبرى. وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر. قال البيهقي:
يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت
ببدر. قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية. ثم أورد من طريق عبد
الرزاق عن معمر عن أيوب [السخثاني] عن عكرمة عن ابن
عباس. قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن (٢)،
فأنزل الله تعالى: (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون) [المؤمنون: ٧٦] قال فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى فرج الله عنهم. ثم قال الحافظ البيهقي: وقد روى في
قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة (٣)، ولعله كان
مرتين والله أعلم. فصل ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول
قوله تعالى: (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) [الروم: ١ - ٦
]. ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة (٤) عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر
الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر
فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لابي بكر
فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال [له]: " أما أنهم
سيظهرون " فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا: إجعل بيننا وبينك
أجلا إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك
أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ألا جعلته أداة " (٥). قال
دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك. وقد أوردنا طرق هذا الحديث في
التفسير وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لابي بكر أمية بن

(١) في البيهقي: وآية الردم. (٢) في البيهقي: العلهز بالدم. والعهز هو الصوف والوبر
كانوا يبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه. (٣) قال القرطبي في أحكام القرآن: وقال ابن
عباس: نزلت في قصة تمامة بن أثال لما أسرته السرية وأسلم، وخلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبيله، حال بين مكة وبين المدينة، وقال: والله لا يأتيكم من
اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ الله قريشا
بالقحط والجوع حتى أكلوا الميتة والكلاب والعلهز. ١٢ / ١٤٣. (٤) من البيهقي، وفي
الاصل عمرو. (٥) وقع خلل ونقص هنا في العبارة، وجاءت عند البيهقي ٢ / ٣٣٠ أكثر
وضوحا قال: فجعل بينهم أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر رضي الله
عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ألا جعلته - أراه قال دون العشرة - قال:
فظهرت الروم بعد ذلك. (*)

[١٢٥]

خلف وأن الرهن كان على خمس فلايصي، وأنه كان إلى مدة، فزاد
فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرهن.
وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فالله
أعلم. ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه
سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس
الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس
والروم وظهرهم على الشام والعراق، كل ذلك في خمس عشرة
سنة. فصل الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى
بيت المقدس ذكر ابن عساكر أحاديث الاسراء في أوائل البعثة، وأما
ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر
سنين، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه
قال: أسري (١) برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى
المدينة بسنة. قال: وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن
عروة. ثم روى الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس
بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي. أنه قال: فرض
على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ببيت المقدس ليلة
أسري به قبل مهاجره بسنة عشر شهرا (٢)، فعلى قول السدي
يكون الاسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزهري وعروة يكون
في ربيع الاول. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان بن سعيد
بن مينا عن جابر وابن عباس. قالوا: ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول. وفيه بعث،
وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. فيه انقطاع. وقد

اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الأسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم. ومن الناس من يزعم أن الأسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم. وينشد بعضهم في ذلك:

(١) لم يختلف القراء في أسرى. وقال أهل اللغة إن أسرى وسرى بمعنى واحد. قال السهيلي: السرى من سريت إذا سرت ليلاً يعني فهو لازم والأسراء يتعدى في المعنى لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن أنهما بمعنى واحد، وإنما معنى أسرى بعينه جعل البراق يسرى به. (٢) اختلف العلماء في تحديد في أي زمان وقع الأسراء، واتفقوا على أن الأسراء كان بعد البعثة في مكة - وقبل الهجرة - وجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة، ورجح النووي أنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة. (*)

[١٣٦]

ليلة الجمعة عرج بالنبي * ليلة الجمعة أول رجب وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به. وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى: " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الاسانيد والعزو، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية والله الحمد والمنة. ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله فإنه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول: ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها. قال: وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن [عبد الله] بن مسعود وأبي سعيد [الخدري] وعائشة ومعوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره. وكان في مسراه صلى الله عليه وسلم وما ذكر لي منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الالباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله على يقين، فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد. وكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني - يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله، تضع حافرهما في موضع منتهى طرفها - فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له، فصلى بهم ثم أتى بثلاثة أنية: من لبن، وخمر، وماء. فذكر أنه شرب اناء اللبن، فقال لي جبريل هديت وهديت أمتك. وذكر ابن إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق وهو دابة أبيض، بين البغل والحمار، وفي فخذه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع حافره في منتهى طرفه، ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته. قلت: وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوب البراق شمس (١) به فوضع جبريل يده على معرفته (٢) ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع، فوالله ما ركبك عبد الله قبل محمد أكرم عليه منه. قال فاستحي حتى ارفض عرفاً ثم قر حتى ركبت. قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبريل حتى انتهى به

إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من
الانبياء فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم، ثم ذكر

(١) شمس به: يقال شمس الفرس: إذا لم يمكن أحدا من ظهره ولا من الاسراج
والالجام ولا يكاد يستقر. (٢) المعرفة: اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف. (*)

[١٣٧]

اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له هديت وهديت
أمتك، وحرمت عليكم الخمر. قال: ثم انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى مكة، فأصبح يخبر قريشا بذلك فذكر أنه كذبه أكثر
الناس وارتدت طائفة بعد إسلامها، وبادر الصديق إلى التصديق وقال
إنني لأصدق في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدق في بيت
المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيومئذ سمي أبو بكر الصديق.
قال الحسن وأنزل الله في ذلك: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس) الآية. وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانئ. أنها قالت: ما
أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من بيتي نام عندي تلك
الليلة بعدما صلى العشاء الآخرة، فلما كان قبيل الفجر أهبنا (١) فلما
صلى (٢) الصبح وصلينا معه. قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم
العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم
قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين " ثم قام ليخرج فأخذت بطرف
ردائه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك
ويؤذونك. قال: " والله لأحدثنهموه " فأخبرهم فكذبوه. فقال الآية ذلك
أنني مررت بغير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حس الدابة فند
لهم بغير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا
كنت بضجان (٣) مررت بغير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء
فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم
غطيت عليه كما كان. وآية ذلك أن غيرهم تصوب الآن من ثنية
التنعيم البيضاء (٤) يقدمها جمل أورك عليه غرارتان إحدهما سوداء
والأخرى برقاء. قال: فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل
الذي وصف لهم، وسألوهم عن الاناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر
صلوات الله وسلامه عليه. وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن
إسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تعرب قبل أن يقدم ذلك
البعير، فدعا الله عزوجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال فلم
تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون.
رواه البيهقي. قال ابن إسحاق: وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لما فرغت مما
كان في بيت المقدس أتني بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه،
وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدني فيه صاحبي،
حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء، يقال

(١) أهينا: أيقظنا. (٢) من ابن هشام، وفي الأصل، كان الصبح. (٣) من ابن هشام،
وفي الأصل صحنان. وضجان بالتحريك: جبل بناحية تهامة قال الواقدي: بين ضجان
ومكة خمسة وعشرون ميلا. (٤) التنعيم موضع بمكة في الجبل، وهو بين مكة وسرف
على فرسخين من مكة. والبيضاء عقبة - فيه - قرب مكة، أسفل مكة من قبل ذي
طوى وأنت مقبل إليها من المدينة. (راجع معجم البلدان). (*)

[١٣٨]

له: باب الحفظة عليه بريد (١) من الملائكة يقال له: اسماعيل، تحت يده اثنا عشر ألف ملك، تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك، قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك إلا هو). ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جدا وقد سقناه باسناده ولفظه بكماله في التفسير وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الاحاديث وفي إسناده ضعف، وكذا في سياق حديث أم هانئ فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضا من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شئ ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك، وذلك قبل أن يوحى إليه بل جاءه بعد ما أوحى إليه فكان الاسراء قطعاً بعد الايحاء إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الاظهر، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلًا ثانيًا - أو ثالثًا - على قول أنه مطلوب إلى الملا الأعلى والحضرة الالهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيمًا وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبياء ثم دخل بيت المقدس فصلى في قبلته تحية المسجد. وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب، والنص المثبت مقدم على النافي. ثم اختلفوا في اجتماعه بالانبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم. وقيل إن صلته بالانبياء كانت في السماء، وهكذا تخيره من الآتية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة. فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والانبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كأدم في سماء الدنيا، ويحيى وعيسى في الثانية (٢) وإدريس في الرابعة، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام، ورفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة، ونبقها كقلال هجر، وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان علي الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيتها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك

(١) في ابن هشام: ملك من الملائكة. (٢) في الاصول لم يذكر الثالثة ولا الخامسة. وفي ابن هشام: رأى يوسف بن يعقوب صورته كصورة القمر ليلة البدر، وفي الخامسة رأى هارون بن عمران كهلاً أبيض الرأس واللحية. (*)

جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والارض وهو الذي يقول الله تعالى: (لقد رآه أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى) أي ما زاغ يمينا ولا شمالاً ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر إليه. وهذا هو الثبات العظيم والادب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى

عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. والاولى هي قوله تعالى: (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) وكان ذلك بالابطح، تدلى جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى، هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم. فأما قول شريك عن أنس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوي فأقحمه في الحديث والله أعلم. وإن كان محفوظا فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شئ آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم. وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته الصلوات ليلتذ خمسین صلاة في كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عزوجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة إلى خمس. وقال هي خمس وهي خمسون الحسنة بعشر أمثالها، فحصل له التكليم من الرب عزوجل ليلتذ، وأئمة السنة كالمطيقين على هذا، واخلفوا في الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين، قاله ابن عباس وطائفة، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين وأختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين. وممن نص على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه. وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبي ذر في صحيح مسلم. قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: " نور أنى أراه " وفي رواية " رأيت نورا ". قالوا ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى في بعض الكتب الالهية: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده والخلاف في هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم: ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس والظاهر أن الانبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من الحضرة الالهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عندما يتقدم ذاك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية. ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة: أممتهم. ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماما بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عزوجل، فاستفاد بعضهم من هذا أن الامام الاعظم يقدم في الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلثهم ودار إقامتهم، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات

[١٤٠]

والسكينة والوقار. وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والامور التي لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشا أو طائش العقل، ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجما - أي ساكنا - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه، فتلطف بإخبارهم أولا بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خبر؟ فقال نعم! فقال: وما هو؟ فقال إنني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس. قال إلى بيت المقدس؟ قال نعم! قال رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرني به؟ قال نعم فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم. فقال أبو جهل: هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أئديتهم فقال أخبر قومك بما

أخبرتني به، فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله مشركي قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفي الصحيح: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. قال: فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس علي بعض الشئ، فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم. فقال: أما الصفة فقد أصاب (١). وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم، فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه. كما قال الله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [الاسراء: ٦٠] أي اختباراً لهم وامتحاناً. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من الاسراء كان بيدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك. ولهذا قال فقال: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه) [الاسراء: ١] والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبادة عنهما. وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٣٠٩ عن ابن عباس، وأبو نعيم وابن مردويه من طريق قابوس عن أبيه بسند صحيح. ونقله البيهقي في دلائله ج ٢ / ٣٦٣. وأخرج البيهقي الجزء الأخير من الحديث عن جابر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه. والحديث في صحيح البخاري ٦٣ كتاب مناقب الانصار (٤١) باب حديث الاسراء الحديث ٢٨٨٦. (*)

[١٤١]

كبير أمر، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به بقظة لا مناماً. وقوله في حديث شريك عن أنس: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى بقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فكذبوه، قال فرجعت مهموما فلم استفق إلا بقرن الثعالب، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكنه فوضعه على فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر. وهذا الحمل أحسن من التعليل والله أعلم. وقد حكى ابن إسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه. قال: وحدثني يعقوب بن عتبة: أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله صادقة. قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وكما قال إبراهيم عليه السلام: (يا بني إنني أرى في المنام أنني أذبحك) وفي الحديث: " تنام عيناى (١)

وقلبي يقظان ". قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان، قد جاءه، وعابن فيه ما عابن، من أمر الله تعالى، على أي حالة كان نائما أو يقظان (٢) كل ذلك حق وصدق. قلت: وقد توقف ابن إسحاق في ذلك وجوز كلا من الأمرين من حديث الجملة، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظان لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده صلى الله عليه وسلم ما فقد وإنما كان الأسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الأسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعابن ما عابن حقيقة ويقظة لا مناما. لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك. لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم. تنبيه: ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الأسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يرى

(١) من ابن هشام، وفي الأصل عيني وهو تحريف. والحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد ١٦ باب والتراويح ١ باب وكتاب المناقب باب ٢٤. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ١٢٥، وأبو داود في كتاب الطهارة ٧٩ والترمذي في كتاب المواقيت ٢٠٨ وفي كتاب الفتن ٦٣ والموطأ في صلاة الليل ٩ وأحمد في مسنده ١ / ٢٢، ٢٧٨ و ٢ / ٢٥١ و ٥ / ٤٠، ٥٠ و ٦ / ٣٦، ٧٢، ١٠٤. (٢) من ابن هشام، وفي الأصل يقظانا وهو خطأ. والخبر في السيرة ج ٢ / ٤٠ - ٤١.

[١٤٢]

رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قبله ليكون ذلك من باب الارهاص والتوطئة والتثبيت والابتناس والله أعلم. ثم قد اختلف العلماء في أن الأسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الأسراء في اليقظة، والمعراج في المنام. وقد حكى المهلب (١) بن أبي صفرة في شرحه البخاري عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الأسراء مرتين، مرة بروحه مناما، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه. قال السهيلي: وهذا القول يجمع الاحاديث فإن في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وقال في آخره: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر وهذا منام. ودل غيره على اليقظة، ومنهم من يدعي تعدد الأسراء في اليقظة أيضا حتى قال بعضهم: إنها أربع إسرءات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الأسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث إسرءات، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضا لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات (٢). فنقول: إن كان إنما حملة على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر فيما جمعناه مستقصيا في كتابنا التفسير عند قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وإن كان إنما حملة أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل والله أعلم. والعجب أن الامام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الأسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الامر، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب، وابن إسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الأسراء، فالله أعلم أي ذلك كان. والمقصود أن البخاري فرق بين الأسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما

(١) في السهيلي: " ورأيت المهلب في شرح البخاري "، وليس هو المهلب الأزدي أمير خراسان. (٢) قال صاحب الظلال في تفسير سورة الاسراء " والراجح من مجموع الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك فراشه في بيت أم هانئ إلى المسجد فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أسرى به وعرج ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد. على أننا لا نرى محلا لذلك الجدل الطويل الذي نأر قديما والذي يثور حديثا حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسافة بين الاسراء والمعراج بالروح أو بالجسم وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤيا في اليقظة.. المسافة بين هذه الحالات كلا ليست بعيدة، ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئا وكونها كاشفا وتحلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة.. والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الالهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئا.. ". (*)

[١٤٣]

بابا على حدة فقال: باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لما كذبتني قريش كنت (١) في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أحدثهم (٢) عن آياته وأنا أنظر إليه " (٣). وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به. ورواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. ثم قال البخاري باب حديث المعراج: حدثنا هدية بن خالد، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به. قال: " بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا (٤) إذ أتاني أت " فقال (٥) وسمعتة يقول: " فشق ما بين هذه إلى هذه " فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به. قال: من نفرة (٦) نحره إلى شعرته، وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته. " فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض " فقال الجارود: وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس: نعم ! " يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحملت عليه، فانطلق بي جبرائيل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا ؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه [قال نعم !] (٧) قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال: مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ! قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال:

(١) في البخاري والبيهقي: قمت. (٢) في البخاري والبيهقي: أخبرهم. (٣) أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الأنصار ٤١ باب حديث الاسراء ح ٢٨٨٦ فتح الباري ٧ / ١٩٦ ومسلم في (١) كتاب الايمان ٧٥ باب حديث ٢٧٦ وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الاسراء وقال: حسن صحيح. (٤) من البخاري والبيهقي، وفي الاصل مضجعا. (٥) في البخاري والبيهقي: فقد، قال: وسمعتة يقول. (٦) في البخاري: نفرة نحره، والمعنى واحد. (٧) من البيهقي. (*)

مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا ؟ قال: جبرائيل قال: ومن معك ؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجرى جاء. فلما خلصت إذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه وسلمت عليه فرد، ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك ؟ قال محمد قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجرى جاء. فلما خلصت إذا هارون فسلم عليه وسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجرى جاء. فلما خلصت إذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه، وسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى، فقيل له ما يبكيك ؟ قال: أبكى لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل: من هذا ؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك ؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحبا به فنعم المجرى جاء. فلما خلصت إذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، وسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار، نهران ظاهران، ونهران باطنان. فقلت: ما هذا يا جبرائيل ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت باناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرض علي الصلوات خمسون صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله جريت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لامتك، فرجعت فوضع عني عشرا. فرجعت إلى موسى فقال فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت ؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم. قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جريت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لامتك. قال: سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي ". هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا (١). وقد رواه في مواضع آخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن

(١) البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٤٢ باب المعراج حديث ٣٨٨٧ فتح الباري ٧ / ٣٠١ وفي ٥٩ كتاب بدء = (*)

أنس عن مالك بن صعصعة. ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب. ومن حديث أنس عن أبي ذر. ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه

وألفاظه في التفسير، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينسأه أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده. ومن جعل كل رواية اسراد على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جدا. وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الانبياء، وفي كل منها يعرفه بهم، وفي كلها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدعي تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم. ثم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس). قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن. قال: هي شجرة الزقوم (١). فصل ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الاسراء جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فاجتمعوا وصلوا به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقندي بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر: "أمني جبرائيل عند البيت مرتين". فبين له الوقتين الأول والآخر، فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم. وموضع بسط ذلك في كتابنا الاحكام والله الحمد. فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر (٢). وكذا رواه الاوزاعي عن الزهري، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى: (وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم

= الخلق ٦ باب ومسلم في ١ كتاب الايمان ٧٤ باب ح ٣٦٤ والترمذي في أول تفسير سورة الاسراء والنسائي في قيام الليل وأحمد في مسنده ٣ / ١٤٨ - ٢٤٨. (١) أخرجه البخاري في ٦٥ كتاب التفسير - تفسير سورة الاسراء (٩) باب ح ٤٧١٦ فتح الباري ٨ / ٣٩٨. الزقوم: وهي فحول من الزقم اللقم الشديد، والشرب المفرط، وشجرة الزقوم وصفها الله في كتابه العزيز فقال: (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه رؤوس الشياطين). وقيل أكل الزيد والتمر بلغة أفريقيا: الزقوم. (النهاية لابن الاثير). (٢) أخرجه البخاري في أول كتاب الصلاة، وابن خزيمة ١ / ١٥٦ والبيهقي في السنن الكبرى ١ / ٣٦٢ ومسلم في صلاة المسافرين الحديث ٣ ص ٤٧٨. (*)

[١٤٦]

جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم أن يفتنكم الذين كفروا] النساء: ١٠١]. قال البيهقي (١): وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسلاً من صلواته عليه السلام صبيحة الاسراء الظهر أربعاً، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجهر في الأوليين، والعشاء أربعاً يجهر في الأوليين. والصبح ركعتين يجهر فيهما. قلت: فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الاسراء تكون ركعتين ركعتين (٢) ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية والله أعلم. فصل [في] انشقاق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وجعل الله له آية على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) [القمر: ١ - ٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الاحاديث المتواترة من طرق متعددة

تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تفصينا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك، وجبير بن مطعم، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. أما أنس فقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية، فانشق القمر بمكة مرتين (٣). فقال: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات

(١) دلائل النبوة ج ٢ / ٤٠٧. (٢) وقال البيهقي في السنن الكبرى ١ / ٣٦٢: ففي هذا الحديث وما روي في معناه دليل على أن ذلك كان بمكة بعد المعراج، وأن الصلوات الخمس فرضت حينئذ بأعداهن، وقد ثبت ذلك عن عائشة - رضي الله عنها - خلاف ذلك. (٣) مسند أحمد ج ١ / ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧ و ٣ / ٣٧٥ و ٤ / ٨٢. ومسلم في صحيحه في ٥٠ كتاب المناقب (٨) باب انشقاق القمر ج ٤ / ٢١٥٩ (*).

[١٤٧]

الصحابية، والظاهر أنه تلقاه عن الجرم الغفير من الصحابة، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان. زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شققتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخاري (١). وأما جبير بن مطعم فقال الامام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه]. قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين، فرقه على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. تفرد به أحمد. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به. وقد رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به (٢)، فزاد رجلا في الاسناد. وأما حذيفة بن اليمان: فروى أبو نعيم في الدلائل (٣) من طريق عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي. قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق. فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد: ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة. فلما كنا في الطريق قلت لابي ما يعني بقوله - غدا السباق. قال من سبق إلى الجنة. وأما ابن عباس: فقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير (٤) حدثنا بكر، عن جعفر [بن ربيعة]، عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. قال: إن القمر انشق في زمان النبي صلى الله عليه وسلم. ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر - وهو ابن مضر (٥) - عن جعفر قوله: (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر).

(١) أخرجه البخاري في ٦١ كتاب المناقب ٢٧ باب حديث ٣٦٢٧ فتح الباري ٦ / ٦٣١ وفي ٦٢ كتاب المناقب ٣٦ باب فتح الباري ٧ / ١٨٣ وفتح الباري ٨ / ٦١٧ ومسلم في ٥٠ كتاب المناقب ٨ باب انشقاق القمر حديث (٤٣ - ٤٧ - ٤٨). (٢) دلائل النبوة ج ٢

٢٦٨ / (٣) لم أجد في دلائل أبي نعيم المطبوع، وفيها روايات أخر عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس راجع الصفحات (٢٣٢ - ٢٣٦)، (٤) من البخاري فتح الباري ٨ / ٤٩٩ وفي الاصل كثير وهو تحريف. (٥) من البخاري: فتح الباري ٨ / ٤٩٩ وفي الاصل ونسخ البداية المطبوعة نصر وهو تحريف. (*)

[١٤٨]

قال: قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته (١). وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: (اقتربت الساعة وانشق القمر). قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والاسود بن عبد يغوث، والاسود بن المطلب [بن أسد بن عبد العزى]، وزمعة بن الاسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم [كثير] (٢). فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان (٣). فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: " إن فعلت تؤمنوا ؟ " قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر - فسأل الله عزوجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب (٤) نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا أبا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الارقم اشهدوا. ثم قال أبو نعيم. وحدثنا سليمان بن أحمد (٥)، حدثنا الحسن بن العباس الرازي، عن الهيثم بن العمان، حدثنا اسماعيل بن زياد، عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس. قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لاهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها. فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا. فقالوا: يا محمد ما هذا إلا سحر واهب فأنزل الله: (اقتربت الساعة وانشق القمر). ثم روى الضحاك عن ابن عباس. قال: جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربه فأراهم القمر قد انشق بجزيين، أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا: هذا سحر مفترى. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الرزاز، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سحر القمر فنزلت: (اقتربت

(١) البخاري في ٦٥ كتاب التفسير - تفسير سورة القمر ١ باب ح ٤٨٦٦ فتح الباري ٨ / ٤٩٩ ومسلم في ٥٠ كتاب المناقبين ٨ باب حديث ٤٨. (٢) ما بين معكوفين من دلائل النبوة لابي نعيم ص ٣٣٤. (٣) أبو قبيس وقعيقعان جبلا مكة. (٤) في دلائل أبي نعيم: قد مثل نصفاً. (٥) لا أثر للحديث في دلائل أبي نعيم المطبوع. (*)

[١٤٩]

الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر). وهذا إسناد جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق

في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ويقال: إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر. وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الاصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش عن مجاهد به. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود (١). وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وأما عبد الله بن مسعود: فقال الامام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر عن ابن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا. وهكذا أخرجاه من حديث سفيان - وهو بن عيينة - به. ومن حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اشهدوا " وذهبت فرقة نحو الجبل. لفظ البخاري (٢). ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله - بمكة - وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه (٣). وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. فقالوا: أنظروا ما يأتيكم به السفار؟ فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال فجاء السفار فقالوا ذلك (٤). وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، حدثنا مغيرة، عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله. قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين. فقال كفار قريش لاهل مكة (٥): هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة، أنظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به. قال فسئل السفار، قال - وقدموا من

(١) دلائل النبوة ج ٢ / ٢٦٧ ومسلم في (٥٠) كتاب المناقب عن عبدالله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر. ومن طريق شعبة عن أبي معمر عن ابن مسعود ج ٤ / ٢١٥٩. (٢) هذا ليس بلفظ البخاري. (٣) البخاري في ٦٥ كتاب التفسير (١) باب وانشق القمر فتح الباري ٨ / ٤٩٩ وفي ٦١ كتاب المناقب ٢٧ باب وفي ٦٢ كتاب مناقب الانصار ٢٦ باب. فتح الباري ٧ / ١٨٢. (٤) أنظر الحاشية السابقة. (٥) في دلائل البيهقي ج ٢ / ٢٦٦: فقال كفار أهل مكة، ورواه أبو نعيم في دلائله ص ٢٣٤. (*)

[١٥٠]

كل وجهة - فقالوا: رأينا. وهكذا رواه أبو نعيم: من حديث جابر، عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به. وقال الامام أحمد: حدثنا مؤمل، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الاسود عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر. وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سماك به. وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوداعي، حدثنا يحيى الحمانى، حدثنا يزيد، عن عطاء، عن سماك، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين، فرقة خلف الجبل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اشهدوا، اشهدوا " وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي، حدثنا آدم بن أبي إياس، ثنا الليث بن سعد، حدثنا هشام بن سعد،

عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: انشق القمر ونحن بمكة، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة. وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله. قال: انشق القمر بمكة فرأيتاه فرقتين. ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود. قال: رأيت القمر والله منسقا باثنتين بينهما حراء. وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: انشق القمر فلقين. فلقة ذهب، وفلقة بقيت. قال ابن مسعود: لقد رأيت جبل حراء بين فلقتي القمر، فذهب فلقة. فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد. قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر: " فاشهد يا أبا بكر " وقال المشركون: سحر القمر حتى انشق. فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها. وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الارض حتى دخل في كم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من الكم الآخر فلا أصل له، وهو كذب مفترى ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك. وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد: فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين (١) والله أعلم.

(١) علق ابن حجر في فتح الباري على قول ابن كثير قال: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات، ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور ولفظه: فصار فرقتين: فرقة علت * وفرقة للطود منه نزلت وذلك مرتين بالاجماع * والنص والتواتر والسماع فجمع بين قوله: فرقتين وبين قوله: مرتين، فيمكن أن يتعلق قوله بالاجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد. هـ - فتح الباري ٧ / ١٨٣. (*)

[١٥١]

فصل [في] وفاة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها. وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الاول. وهذان المشفقان، هذا في الظاهر وهذه في الباطن، هذا كافر وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها. قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابع على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الابتلاء (١) يسكن إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضدا وحرزا في أمره، ومنعة وناصر على قومه. وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الالذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا. فحدثني هشام بن عروة عن أبيه. قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك " ويقول بين ذلك: " ما نالت مني (٢) قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ". وذكر ابن إسحاق قبل ذلك: أن أحدهم ربما طرح الالذى في برمته إذا نصبت له. قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق. قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب وبلغ

قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا (٣). قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد [بن عباس] عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما مشوا إلى أبي طالب وكلموه - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم.. فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ لنا منه، وخذ له منا ليكف عنا ولنكف عنه، وليدعنا وديننا ولنضعه ودينه.

(١) في ابن هشام: على الاسلام يشكو إليها. (٢) من ابن هشام ٢ / ٥٨: وفي الاصل: ما نالتني. (٣) أي يغلبونا عليه ويسلبونا إياه. (*)

[١٥٢]

فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم (١) كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ". فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات. قال: " تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه ". فصفقوا بأيديهم. ثم قالوا: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ؟ ! إن أمرك لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا. قال فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططا. قال: فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول له: " أي عم، فأنت قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة " فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني إنما قتلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لاسرك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه بحرك شفتيه، فأصغى إليه بإذنه، قال فقال: يا بان أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم أسمع " قال وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط: (ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) [ص: ١ - ٢] الآيات. وقد تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة (٢). وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما يقول العباس هذا الحديث، يا ابن أخي، لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها - " يعني لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه. أحدها: أن في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قول عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد. وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير نحوه من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس. ورواه الثوري أيضا عن الاعمش، عن يحيى بن عمارة الكوفي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس. ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضا (٣). ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري، عن الاعمش، عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي صلى الله عليه وسلم عند رأس أبي طالب، فجلس رجل (٤) فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك، وشكوه إلى أبي طالب. فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ فقال: " يا عم إنما أريد

(١) في الاصل وبعض نسخ ابن هشام: يا عم. (٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ / ٥٩، والخبر نقله البيهقي عن ابن اسحاق في الدلائل ج ٢ / ٢٤٥، وانظر تفسير ابن كثير - تفسير سورة ص. (٣) أخرجه الترمذي في ٤٨ كتاب التفسير ٣٩ باب ومن سورة ص ح ٢٢٢٢. (٤) في دلائل البيهقي ٢ / ٢٤٥ وردت العبارة: وعند رأس أبي طالب مجلس رجل. (*)

[١٥٢]

منهم كلمة تذلل لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم، كلمة واحدة". قال: ماهي؟ قال: "لا إله إلا الله" قال فقالوا: أجعل الآلهة إليها واحدا إن هذا لشئ عجاب! قال: ونزل فيهم: (ص والقرآن ذي الذكر) الآيات إلى قوله: (إلا اختلاق) [ص: ١ - ٧] ثم قد عارضه - أعني سياق ابن إسحاق - ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري قائلا: حدثنا محمود [بن غيلان] حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه (١) رضي الله عنه. أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل. فقال: "أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله". فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أتغرب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاستغفر لك ما لم أنه عنك" فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) [التوبة: ١١٢] ونزلت: (إنك لا تهدي من أحببت) ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق (٢). وأخرجه أيضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه: فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما لاستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله - يعني بعد ذلك - (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) ونزل في أبي طالب: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وهكذا روى الامام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: "يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة" فقال: لولا أن تعيرني قريبش يقولون ما حمله عليه إلا فزع (٣) الموت لافرت بها عينك، ولا أقولها إلا لاقربها عينك. فأنزل الله عزوجل: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) [القصص: ٥٦] وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة الاشياخ وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. ويؤكد هذا كله ما قال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى [بن محمد بن يحيى]، عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث [بن

(١) وهو المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم والد سعيد بن المسيب. (٢) أخرجه البخاري في ٦٥ كتاب التفسير تفسير سورة التوبة ١٦ باب فتح الباري ٨ / ٢٤١ وفي تفسير سورة القصص (١) باب فتح الباري ٨ / ٥٠٦ وفي ٧ / ١٩٣ ومسلم في (١) كتاب الايمان (٩) باب ح ٤٠ صفحة ١ / ٥٤. (٣) في مسلم: جرز بالجيم والزاي ومعناه الخوف وقال أبو عبيد: الخرع بالخاء والراء: يعني الضعف والخور. (*)

نوفل [قال: حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: " [هو] في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل [من النار] " (١) ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن عبد الملك بن عمير به [و] أخرجه في الصحيحين من حديث الليث حدثني [يزيد] ابن الهادي عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه فقال: " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلّي منه دماغه " لفظ البخاري (٢). وفي رواية " تغلي منه أم دماغه " وروى مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أهون أهل النار عذابا أبو طالب، منتعل بنعلين من نار يغلّي منهما دماغه " وفي مغازي يونس بن بكير " يغلّي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه " ذكره السهيلي. وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا عمرو - هو ابن اسماعيل بن مجالد - حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر. قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قيل له - هل نفعت أبا طالب؟ قال: " أخرجته من النار إلى ضحضاح منها " تفرد به البزار. قال السهيلي: وإنما لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال: " لم أسمع " لأن العباس كان إذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة قلت: وعندي أن الخير بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، ويتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفسا إيمانها والله أعلم. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق: سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت عليا يقول: لما توفي أبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن عمك قد توفي. فقال: " إذهب فواره " فقلت إنه مات مشركا، فقال: " إذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتي " ففعلت فأتيته، فأمرني أن أغتسل. ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية عن علي: لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: " اذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني " فأتيته فأمرني فإغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرنني أن لي بهن ما على الأرض من شئ (٣). وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني، حدثنا أبو أحمد بن عدي، حدثنا

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده ١ / ٣٠٦ و ٣ / ٩، ٥٠، ٥٥.
(٢) وأخرجه مسلم في ١ كتاب الايمان ح ٣٦٠ ص ١ / ١٩٥. (٣) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، والامام أحمد في مسنده ١ / ٩٧، ١٠٣، ١٣٠، ١٣١ وابن خزيمة في صحيحه (*)

محمد بن هارون بن حميد، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريح، عن عطاء، عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد (١) من جنازة أبي طالب فقال: " وصلتك رحم، وحزيت خيرا يا عم ". قال: وروي عن أبي اليمان الهوزني عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا وزاد، ولم يقر على قبره. قال: وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو

الخوارزمي تكلموا فيه. قلت: قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني (٢) ومحمد بن سلام البيكدي (٣)، ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة. وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمجاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامى، ولا يمكن عربيا مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق بار راشد، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه. وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري، وشاهد ذلك قوله تعالى: (الذين أتيناهم الحق يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى في قوم فرعون: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم). وقال موسى لفرعون: (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وإني لاطنك يا فرعون مثيرا) وقول بعض السلف في قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينأون عنه) أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق. فقد روي عن ابن عباس، والقاسم بن مخيمرة، وحبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن ديار، ومحمد بن كعب، وغيرهم، ففيه نظر والله أعلم. والظاهر والله أعلم الرواية الاخرى عن ابن عباس، وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به. وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد - وهو اختيار ابن جرير - وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به. ولهذا قال: (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن

(١) في دلائل البيهقي ٢ / ٢٤٩: عارض جنازة أبي طالب. (٢) السيناني: نسبة إلى سينان إحدى قرى مرو، كان من أقران ابن المبارك في السن والعلم ولد سنة ١١٥ هـ ومات سنة ١٩١. (٣) البيكدي: نسبة إلى بيكند بلدة بين بخارى وحيون، مقبول من الحادية عشرة. تقريب التهذيب ٢ / ٢٩٤ / ١٦٨. (*)

يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله: (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) يدل على تمام الذم. وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال، ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الايمان بها والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لابي طالب وترحمنا عليه (١). فصل موت خديجة بنت خويلد وذكر شئ من فضائلها ومناقبها رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها. وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة. ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة. وقال محمد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد. وقال البيهقي: بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام. ذكره عبد الله بن منده في كتاب المعرفة، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ. قال البيهقي وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة (٢).

(١) أنظر في موت أبي طالب: سيرة ابن هشام ج ١ / ٢٦ - ٢٧ ابن سعد ١ / ١٤١ الروض الأنف ١ / ٢٥٨ ونهاية الأرب للنويري ١٦ / ٢٧٧ السيرة الحلبية ١ / ٤٦٦ والسيرة الشامية ٢ / ٥٦٣. (٢) في وفاة خديجة ذكر ابن سعد في الطبقات أكثر من رواية وبأسانيد مختلفة قال: عن محمد بن عمر عن عبد محمد بن صالح: توفيت خديجة لعشر خلون من شهر رمضان وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة. وعن عروة عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. وعن حكيم بن حزام روى موسى بن عقبة قال قال أبو حبيبة مولى الزبير سمعت حكيم يقول: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ بنت خمس وستين ودفناها بالجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها وذلك قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها وبعد خروج بني هاشم من الشعب ولم تكن سنة الجنازة الصلاة عليها. (*)

[١٥٧]

قلت: مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء، وكان الانسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الاسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد، ولكن أحرنا ذلك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فإن الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله. وقال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. قال: أتى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام - أو طعام أو شراب - فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وقد رواه مسلم من حديث محمد بن فضيل به (١). وقال البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن إسماعيل. قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: بشر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة؟ قال نعم! بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به. قال السهيلي: وإنما بشرها بيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب لأنها لم ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتبعه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذنه أبدا. وأخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة. وهلك قبل أن يتزوجني - لما كنت أسمع يذكروها، وأمره الله أن يبشرها بيت في الجنة من قصب. وإن كان ليذبح الشاة فيهدى في خلائلها منها ما يسعهن. لفظ البخاري، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه - أو جبرائيل - أن يبشرها بيت في الجنة من قصب (٢). وفي لفظ له قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة - وما رأيتها - ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة. فربما قلت كأنه لم يكن في

= وقال البلاذري في الانساب ١ / ١٨٦ عن عروة: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة وروى البيهقي عن الزهري: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقبل أن تفرض الصلاة. وقاله البخاري عن عروة. وقال بعضهم: ماتت قبل الهجرة بخمس سنين، قال البلاذري: وهو غلط. وكانت خديجة رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده كلهم منها غير إبراهيم بن مارية، وكانت وزيرة صدق للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وكانت تكنى أم هند بولدها من زوجها أبي هالة. (١) البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٢٠ باب حديث ٢٨٢٠ فتح الباري ٧ / ١٣٣ ومسلم في ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ١٢ باب ح ٧١ ص ١٨٨٧. (٢) البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٢٠ باب ح ٢٨١٧ فتح الباري ٧ / ١٣٣ ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤) حديث ٧١ - ٧٢ - ٧٣. والامام أحمد في مسنده ٦ / ٥٨، ٣٠٢، ٢٧٩. (*)

[١٥٨]

الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: " إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد " ثم قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال: " اللهم هالة ". [قالت] فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر [قد] (١) أبدلك الله خيرا منها. وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به. وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة. إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام أحمد حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن، حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خديجة فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيرا لم أره تغير عند شئ قط إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذابا. وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به. وزاد بعد قوله حمراء الشدقين، هلكت في الدهر الاول. قال: قال فتمعر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا. تفرد به أحمد. وهذا إسناد جيد. وقال الامام أحمد أيضا عن ابن إسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة. قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت فغرت يوما فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيرا منها. قال: " ما أبدلني الله خيرا منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني، وأستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء " تفرد به أحمد أيضا. وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم. ولعل هذا أعني قوله: ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء. كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذ معين. فإن جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها. وقد استدلل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وتكلم آخرون في إسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيرا عشرة وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيرا منها أنها تركي نفسها وتفضلها على خديجة، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عزوجل كما قال (فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) [النجم: ٣٢] وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء) [النساء: ٤٩] الآية وهذه مسالة وقع النزاع فيها بين

(١) ما بين معكوفين سقطت من الاصل، على عادة ابن كثير في نقله، واستدركت من البخاري. (*)

[١٥٩]

العلماء قديما وحديثا وبجانبا طرقا يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحدا من النساء لسلام الرب عليها، وكون ولد النبي صلى الله عليه وسلم جميعهم - إلا إبراهيم منها، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها، وتقدير إسلامها، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق في أول البعثة. وبذلت نفسها ومالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أهل السنة فمنهم من يخلو أيضا ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الامم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول يحب أحدا من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيرا طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور " خذوا شطر دينكم عن الحميراء " (١) (والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره، والاحسن التوقف في ذلك إلى الله عزوجل. ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الاقوم والمسلك الاسلام أن يقول الله أعلم. وقد روى الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد " (٢) أي خير زمانهما. وروى شعبة عن معاوية بن قرّة عن أبيه قرّة بن إياس رضي الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " (٣) رواه ابن مردويه في

(١) قال القاري في الموضوعات الصغرى: لا يعرف له أصل. قال ابن القيم الجوزية في المنار المنيف ص ٦٠ وكل حديث فيه " يا حميراء " أو ذكر حميراء فهو كذب مختلق. والحميراء تصغير حمراء بمعنى بيضاء اللون مشرب بياضا بحمرة، والعرب تسمي الرجل الابيض: أحمر والمرأة حمراء. وقال القرطبي صاحب الفهم: والعرب تطلق على الابيض الاحمر: كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص. قال المزني: كل حديث فيه يا حميراء فهو موضوع إلا حديثا عند النسائي، وقال ابن حجر نحوه في فتح الباري. وهذا الحصر من هذين الحافظين غير سديد، فقد ورد ذكر الحميراء في حديثين آخرين. روى الحاكم ٣ / ١١٩ في مستدركه عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنظري يا حميراء.. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٧ / ٢١٦ بعد ذكر حديث القسطلاني حديث أم سلمة هذا من رواية الحاكم والبيهقي. حديث صحيح.. (٢) تقدم تخريجه فليراجع. (٣) تقدم تخريجه فليراجع.

[١٦٠]

تفسيره. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده. قالوا والفدر المشترك بين الثلاث نسوة، آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلًا وأحسننت الصحبة في كفالتها وصدقته فأسية ربت موسى

وأحسنن إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل. وخديجة رغب في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبذلت في ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عزوجل. وقوله: " وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الأشعري. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون. ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء: إذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك، أمانة الله الثريد ويحمل قوله " وفضل عائشة على النساء " أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاما فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل النسوية بينهما فيحتاج من رجع واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم. فصل في تزويجه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة - رضي الله عنها - [بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما] (١) والصحيح أن عائشة تزوجها أولا كما سيأتي. قال البخاري في باب تزويج عائشة * حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: " أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير، ويقول هذه امرأتك. فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول إن كان هذا (٢) من عند الله يمضه " قال البخاري باب نكاح الأبيكار. وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي صلى الله عليه وسلم بكرا غيرك * حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي عن سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: أرايت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال: " في التي (٣) لم يرتع منها " تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها. انفراد

(١) ما بين معكوفين سقطت من الاصل، واستدركت من سيرة ابن كثير. (٢) في كتاب المناقب ج ٤ / ٢٥٢ (دار الفكر). وفيه: إن بك هذا، وقوله: ويقول: أي جبريل. (٣) في كتاب النكاح فتح الباري ج ٩ / ٩٨ وفيه: الذي بدل التي. (*)

[١٦١]

به البخاري ثم قال حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أريتك في المنام فيجئ بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه " (١) وفي رواية " أريتك في المنام ثلاث ليال " وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وقال البخاري [في باب] تزويج الصغار من الكبار، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك. فقال: " أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال " (٢) هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لانه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله. وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنيت بها وهي ابنة تسع. ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة. وهذا غريب. وقد روى البخاري عن عبيد بن إسماعيل

عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، فلبث سنتين (٣) أو قريباً من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الامر. وقوله تزوجها وهي ابنت ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في الصحاح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة. وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر. فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال: حدثنا الحجاج، حدثنا حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة، وأنا ابنة سبع - أو ست سنين، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مججمة (٤)، فهياتني وصنعني ثم أتيت بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبنى بي] وأنا ابنة تسع سنين. فقله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفى ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم. وقال البخاري: حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج. فوعكت فتمزق

(١) رواية البخاري تخالف هذا النص راجع المصدر السابق ص ٩٩. (٢) في كتاب النكاح فتح الباري ج ٩ / ١٠٢. (٣) في كتاب المناقب - باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ج ٤ / ٢٥٢ (دار الفكر). (٤) مججمة: التي شعرها نازل إلى أذنيها، والخبر نقله البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤٠٩. (*)

[١٦٢]

شعري وقد وفت لي جميمة فأتتني أمي أم رومان وإنني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفنتني على باب الدار وإنني لانهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمست (١) به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار قال: فإذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. وقال الامام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر، حدثنا بشر، حدثنا محمد بن عمرو [حدثنا] أبو سلمة ويحيى. قالوا [قالت عائشة] (٢): لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مطعم فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيباً، قال: فمن البكر؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة. قد آمنت بك واتبعتك. قال: فاذهبي فاذكريهما علي. فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذلك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قالت: أنظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قال وما ذلك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قال: وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال: " ارجعي إليه فقلولي له أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام، وأبنتك تصلح لي " فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان إن مطعم بن عدي قد ذكرها على

ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي. فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصيبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدي أقول هذه تقول؟ [قال] (٣) إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده. فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذلك؟ قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه. قالت وددت أدخلني إلى أبي بكر - فاذكري ذلك له - وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج - فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية، فقال من هذه؟ قالت خولة بنت حكيم. قال فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. فقال كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت تحب ذلك. قال ادعيها إلي فدعتها قال: أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ

(١) في البخاري: فمسحت، في كتاب المناقب - باب في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة - ج ٢ / ٢٥١ - ٢٥٢ دار الفكر. (٢) من دلائل البيهقي. (٣) من المسند ج ٦ ص ٢١١. (*)

[١٦٣]

كريم أتجيبين أن أزوجه بك به؟ قالت نعم. قال أدعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه. فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل (١) يحنثي على رأسه التراب. فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحنثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة. قالت عائشة: قدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح. قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الانصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا لفي أرجوحة بين عذقين يرجح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها ومسحت وجهي بثنئ من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار، فأجلسني في حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك. فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا ما نحرت علي جزور، ولا ذبحت علي شاة. حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نساته، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين (٢). وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي: من طريق أحمد بن عبد الجبار، حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدي (٣) عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب. قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: ومن؟ قالت إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا. قال من البكر ومن الثيب؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك [:عائشة]، وأم الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك. قال: فاذكريهما علي (٤). وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم. وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدما على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي. وقال الامام أحمد: حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة وهبت يومها لي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقسم لي بيومها مع نساءه. قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدي.
وقال الامام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر
حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب
امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة، كان لها خمس صبية -
أو ست - من يعلها مات. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما
يمنعك مني ؟ " قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون
أحب البرية إلي، ولكني

(١) من المسند وفي الاصل فجاء. (٢) مسند أحمد ج ٦ / ٢١٠ و ٢١١. ورواه الهيثمي
في مجمع الزوائد في حديث طويل ج ٩ / ٢٢٥ - ٢٢٧ وقال: " في الصحيح طرف منه،
وروى أحمد بعضه، صرح فيه بالانصال عن عائشة وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو
بن علقمة: وثقه غير واحد، وبقيته رجاله رجال الصحيح ". (٣) في البيهقي: الاودي
بدل الازدي. (٤) الخبر في دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ / ٤١١. (*)

[١٦٤]

أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال فهل
منعك مني غير ذلك ؟ قالت لا والله، قال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرحمك الله إن خير نساء ركبن أعجاز الابل، صالح نساء
قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل بذات يده. قلت
وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن
عمرو، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم، ثم رجع إلى
مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه. هذه السياقات كلها دالة
على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة وهو قول
عبد الله بن محمد بن عقيل. ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد
البر أن العقد على سودة قبل عائشة (١) وحكاها عن قتادة وأبي
عبيد. قال ورواه عقيل عن الزهري. فصل قد تقدم ذكر موت أبي
طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان ناصرا له وقائما
في صفة ومدافعا عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال
وفعال، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه. كما قد
رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصر حدثنا محمد بن إسحاق
الصنعاني (٢) حدثنا يوسف بن بهلول، حدثنا عبد الله بن إدريس
حدثنا محمد بن إسحاق، عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله
بن جعفر. قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا، فرجع إلى بيته
فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: "
أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك " ويقول ما بين ذلك " ما نالت
قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا " (٣). قد رواه زياد
البيكائي عن محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلا
والله أعلم. وروى البيهقي أيضا عن الحاكم وغيره (٤) عن الاصر عن
أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما زالت قريش كاعين (٥)
حتى مات أبو طالب " ثم رواه عن الحاكم عن الاصر عن عباس
الدوري عن يحيى بن معين، حدثنا عقبه

(١) قال ابن سعد في الطبقات: إن سودة كانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد خديجة وعن محمد بن عبد الله بن سالم عن أبيه قال: تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة
وقبل تزوج عائشة ودخل بها بمكة وهاجر بها إلى مكة. (٢) في البيهقي: الصنعاني
بدلا من الصنعاني. (٣) الخبر في دلائل البيهقي ج ٢ / ٣٥٠. (٤) في دلائل البيهقي ج
٢ / ٣٤٩: وأبو سعيد بن أبي عمرو بدلا من " وغيره ". (٥) في دلائل البيهقي: كاعين
عني: أي جبنوا، والكاعة جمع كاع وهو الجبان، يقال: كع الرجل يكع كعا: جبن عنه
(راجع النهاية لابن الاثير). (*)

المجدد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب " وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير (١) وحكيم بن حزام أنهما قالوا: لما توفي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما خمسة أيام - اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا إذ كان أبو طالب حيا في صنعه، لا واللوات لا يوصل إليك حتى أموت. وسب ابن الغيطلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل إليه أبو لهب فنال منه، فولى يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكنني أمني ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد. فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال مع قومه. فخرج إليهما فقال قد سألته فقال مع قومه. فقالا يزعم أنه في النار. فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار. فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا برحت لك إلا عدوا أبدا وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه. قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته: أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن الحمراء، وابن الأصداء الهذلي. وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص. وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمنه إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى، فكان إذا طرحوا شيئا من ذلك يحملة على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق. قلت: وعندي أن غالب ما روي مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم، ثم لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على سبعة منهم كما تقدم. وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقا شديدا حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلا: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله. وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك، مما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم. فذكرها ههنا أنسب وأشبه.

(١) في الوفاء لابن الجوزي ٢١٠ وفي سيرة ابن كثير صقير وهو تحريف وما أثبتناه الصواب: ثعلبة بن صعير أو ابن أبي صعير العذري ويقال ثعلبة بن عبد الله بن صعير ويقال عبد الله بن ثعلبة بن صعير مختلف في صحبته (تقريب التهذيب ١ / ٣٣ / ١١٨).

(*)

فصل في ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله قال ابن إسحاق: فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة

عمه أبي طالب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحده. [قال ابن إسحاق] فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرفهم وهم أخوة ثلاثة، عبد باليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط (١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحدا أرسله غيرك؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك (٢) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد بئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - إن فعلتم ما فعلتم فآكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم (٣) ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه إلى حائط لعنته بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فعمد إلى ظل حيلة (٤) من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما يلقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك. فلما اطمأن قال - فيما ذكر [لي] - " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلمي، إلى بعيد يتجمهني أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر

(١) يمرط ثياب الكعبة: أي ينزعه ويرمي به. (٢) في دلائل البيهقي من رواية موسى بن عقبة: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا والله لئن كنت رسول الله لانت أعظم شرفا وحفا من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب. على الله لانت أشرف من أن أكلمك. (٣) يذئروهم أي يثيروهم عليه ويحزئوهم. (٤) حيلة: طاقات من قضبان العنب وزاد السهيلي: والكرمة. وفي النهاية: الأصل أو القصب من شجر الأعناب. (٥) ينقسم الوجه إلى موطنين إذا ذكر في الكتاب والسنة: ففي موطن تقرب واسترضاء يعمل كقوله تعالى: (*) =

[١٦٧]

الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك ". قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبه وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس [وقال له] (١) خذ قطعا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال: " بسم الله " ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخي، كان نبيا وأنا نبي. فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه (٢). قال يقول أبناء ربيعة

أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قال له: ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شئ خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قال له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه. وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد، وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضوخهما بالحجارة حتى أدموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتية (٣) وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله. ثم ذكر قصة عداس النصراني كنحو ما تقدم. وقد روى الامام أحمد عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عيد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو عصى - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعتة يقول: " والسماء والطارق " حتى ختمها. قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم،

= (يريدون وجهه). فالمطلوب هنا رضاه وقبوله للعمل. والموطن الثاني من مواطن ذكر الوجه يراد به ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده. أما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وبه أشرقت الظلمات أي أشرق مجالها (أنظر الروض الأنف). (١) من سيرة ابن هشام. (٢) قال السهيلي: وزاد التيمي فيها: إن عداساً حين سمعه يذكر ابن متى، قال: والله لقد خرجت منها - نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما متى، فمن أين عرفت أنت متى ؟ وأنت أمي وفي أمية أمية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو أخي. (٥) في دلائل البيهقي: عقبة، والصواب ما أتبعناه. (*)

[١٦٨]

فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه (١). وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته: " أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال: " ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. ثم ناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد ! قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الاخشبيين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً " (٢). فصل وقد ذكر محمد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة (٣) وصلى بأصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هنالك. قال ابن إسحاق وكانوا سبعة نفر [من جن أهل نصيبين] (٤)، وأنزل الله تعالى فيهم قوله: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن). قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقا وغيظاً وجرأة وتكديبا وعنادا والله المستعان وعليه التكلان. وقد

ذكر الاموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أريقط إلى الاخنس بن شريق، فطلب

(١) مسند أحمد ج ٤ / ٣٣٥. (٢) أخرجه البخاري في ٥٩ كتاب بدء الخلق ٧ باب ح ٣٣٣١ فتح الباري ٦ / ٣١٢ - ٣١٣ ومسلم في ٣٢ كتاب الجهاد ٣٩ باب ح ١١١ ص ١٤٣٠. رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤١٧ وقال رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن يوسف عن ابن وهب. - الاخشيان: هما جبلا مكة: أبو قبيس وقيقعان. - أصلابهم وفي رواية البيهقي أشرارهم وفي نسخة للدلائل: أشرارهم، وليست في البخاري ولا عند مسلم (٣) نخلة: هما واديان على ليلة من مكة، يقال لاحدهما نخلة الشامية وللآخر نخلة اليمانية. (٤) زيادة من ابن هشام. (*)

[١٦٩]

منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم ! قل له فليات. فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعا فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم. فقال: أمجير أو تابع ؟ قال لا بل مجير. قال إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه. وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال فمكث أياما ثم أذن له في الهجرة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لارثينه فقال فيما قال: فلو كان مجد مخلد اليوم وإحد * من الناس نحى مجده اليوم مطعما أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبادك ما لبي محل وأحرما فلو سئلت عنه معد بأسرها * وفحطان أو باقي بقية جرهما لقالوا هو الموفي بخفرة جاره * وذمته يوما إذا ما تجشما وما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأكرما إباء إذا يابى وألين شيمة * وأنوم عن جار إذا الليل أظلما قلت ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر: " لو كان المطعم بن عدي حيا ثم سألتني في هؤلاء النقباء (١) لوهبتهم له ". فصل في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على أحياء العرب قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عزوجل، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. قال ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا، من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد

(١) كذا في الاصل النقباء وهو تحريف، والارجح ما ذكره ابن الجوزي في الوفا: التنتى. وفي المواهب: ثم كلمني في هؤلاء التنتى لاطلقتهم له. وفي النهاية قال: سماهم تنتى لكفرهم. (*)

[١٧٠]

الدولي - أو (١) من حدثه أبو الزناد عنه - وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي.

قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: " يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما يعثني به ". قال وخلفه رجل أحول وضئ له غدירתان عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه. قال ذلك الرجل: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. قال فقلت لابي: يا أبت، من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب (٢). وقد روى الامام أحمد هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد. عن أبيه: أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل - وكان جاهلياً فأسلم - قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب. ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الانصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكر عن ربيعة الدئلي: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وحنثاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت من هذا ؟ قالوا هذا أبو لهب. وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكر به نحوه. ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة. قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، فإذا هو أبو جهل وهو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم وإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا وأنها كانا يتناوبان على إذائه صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري: أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح، فدعاهم إلى الله عزوجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه: قال ابن

(١) من ابن هشام، وفي الأصل: ومن. (٢) الخبير في ابن هشام ٢ / ٦٤ - ٦٥. وفيه - زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة، ويقال أبو عبد الله المدني، مولى عمر. (تهذيب التهذيب). - الدؤلي: وفي رواية الديلي وفي الديلي والدؤلي أقوال. (تراجم الرجال). (*)

إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن [عبد الله بن] حصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول: " يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم " فلم يقلوا منه ما عرض عليهم. وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقيح رداً عليه منهم. وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له: بيحرة بن فراس (١): والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لاكلت

به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعتناك (٢) على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: " الأمر لله يضعه حيث يشاء ". قال فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمعه ونقوم معه ونخرج به إلا بلادنا قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناها من مطلب (٣)؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنما لحق فأين رأيكم كان عنكم (٤)؟. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول: " لا أكره أحدا منكم على شئ، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي وللمن صحبني بما شاء ". فلم يقبله أحد منهم، وما يأت أحدا من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرمهم به (٥). وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي كلاهما عن

(١) بيحرة بن فراس: بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قاله ابن هشام. وفي الأصل بحيرة. (٢) في ابن هشام: بايعناك. (٣) مثل يضرب لما فات وأصله ذنابي الطير إذا أفلت من الحباله فطلبت الأخذ به. (٤) الخير في سيرة ابن هشام: ج ٢ / ٦٥ - ٦٦. (٥) الخير في دلائل البيهقي ج ٢ / ٤١٤. (*)

[١٧٢]

محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس. قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غدا حتى نقر في منازل قبائل الناس " وكانت مجمع العرب. قال فقلت هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال فبدأ بكندة فأتاهم فقال ممن القوم؟ قالوا من أهل اليمن. قال من أي اليمن؟ قالوا من كندة. قال من أي كندة؟ قالوا من بني عمرو بن معاوية، قال فهل لكم إلى خير؟ قالوا وما هو؟ قال: " تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله ". قال عبد الله بن الأجلح: وحدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الملك لله يجعله حيث يشاء " فقالوا لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال الكلبي فقالوا: أجتنا لتصدنا عن آلهتنا ونباذ العرب، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم؟ قالوا من بكر بن وائل. فقال من أي بكر بن وائل؟ قالوا من بني قيس بن ثعلبة. قال كيف العدد؟ قالوا كثير مثل الثرى. قال فكيف المنعة؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم. قال: " فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسيحوا الله ثلاثا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين " قالوا ومن أنت؟ قال أنا رسول الله. ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب

فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا في الذروة منا فعن أي شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا زعم أنه رسول الله، قال: ألا لا ترفعوا برأسه قولا فإنه مجنون يهذي من أمر رأسه. قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر. قال الكلبي: فأخبرني عيد الرحمن المعابري (١) عن أشياخ من قومه قالوا: أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ، فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة. قال من أي بني عامر بن صعصعة ؟ قالوا (٢): بنو كعب بن ربيعة. قال كيف المنعة [فيكم] ؟ قلنا لا يرأب ما قبلنا، ولا يسطلبي بنارنا. قال فقال لهم: " إني رسول الله وأتيكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحدا منكم على شيء " قالوا ومن أي قريش أنت ؟ قال من بني عبد المطلب. قالوا فأين أنت من عيد مناف ؟ قال هم أول من كذبتني وطردني. قالوا ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك قال فنزل إليهم والقوم يتسوقون، إذ اتاهم ببحرة (٣) بن فراس

(١) في دلائل أبي نعيم. العامري. (٢) في أبي نعيم: قلنا. (٣) في الطبري وابن هشام: بحيرة، وقد تقدم. (*)

[١٧٣]

القيشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه. قال ماذا رددتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا. قال ببحرة: ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدأنم (١) ثم لتناذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به لو أنسوا منه خيرا لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه ؟ فينس الرأي رأيتم. ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قم فالحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك. قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيث ببحرة شاكلتها فقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته. وعند بني عامر يومئذ ضياعة ابنة عامر بن قرط، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت يا آل عامر - ولا عامر لي - أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بني عمها إلى ببحرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لظما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء " قال فأسلم الثلاثة الذين نصره وقتلوا شهداء وهم: غطيف (٢) وغطفان ابنا سهل، وعروة - أو عذرة - بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم. وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به. وهلك الآخرون وهم: ببحرة بن فراس، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل لعنهم الله لعنا كثيرا. وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم. وقد روى أبو نعيم له شاهدا من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردهم عليه. وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي - والسياق لأبي نعيم رحمهم الله - من حديث أبان بن عبد الله البجلي (٣)، عن أبان بن تغلب (٤)، عن عكرمة عن ابن عباس [قال]: حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله رسوله [ص] أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر

مقدما في كل خير، وكان رجلا نسابه، فقال: ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها ؟

(١) من الدلائل، وفي الاصل بدءا ثم، وهو تحريف. (٢) في الدلائل غطريف. (٣) وهو أبان بن أبي حازم البجلي الكوفي، وثقه ابن معين والعجلي وابن نمير وقال الذهبي في الميزان ١ / ٩ حسن الحديث، قال ابن عدي: هو عزيز الحديث سرده ابن حبان في المجروحين. (٤) في دلائل البيهقي: بن ثعلب. (*)

[١٧٤]

قالوا بل من هامها العظمى. قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى [أنتم] فقالوا (١) ذهل الاكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال [له] لا حر بوادي عوف ؟ قالوا: لا. قال فمنكم بسطام بن قيس: أبو اللواء (٢) ومنتهى الاحياء ؟ قالوا: لا. قال فمنكم الجوفان بن شريك قاتل الملوك وسالباها أنفسها ؟ قالوا: لا. قال فمنكم حساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا: لا. قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا: لا. قال فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا: لا. قال فأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فليستم بذهل الاكبر، بل أنتم [من] ذهل الاصغر. قال فوثب إليه منهم غلام يدعي دغفل بن حنظلة الذهلي - حين يقل (٣) وجهه - فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول: إن على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحمله (٤) يا هذا إنك سالتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئا، ونحن نريد أن نسأل فمن أنت ؟ قال رجل من قريش. فقال الغلام: بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة، قادمة العرب وهادياها (٥) فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بني تيم بن مرة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة ؟ أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعا، وفيه يقول الشاعر: أليس أبوكم كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر فقال أبو بكر لا. قال فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر: لا. قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولاهل مكة، ففيه يقول الشاعر: عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف سنوا إليه الرحلتين كليهما * عند الشتاء ورحلة الاصياف كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمدح خالصة لعبد مناف الرايشين وليس يعرف رايش * والقائلين هلم للاضياف

(١) من دلائل البيهقي، وفي الاصل فقال وهو تحريف. (٢) كذا في الاصل وفي البيهقي، وفي أبي نعيم: أبو الملوك. (٣) في البيهقي: تبين. (٤) في البيهقي: والعبء لا نعرفه أو نجعله. (٥) في دلائل أبي نعيم: أزمة العرب وهاداتها. (*)

[١٧٥]

والضاريين الكيش يبرق بيضه * والمانعين البيض بالاسياف لله درك لو نزلت بدارهم * منعوك من أزل ومن إقراف (١) فقال أبو بكر: لا. قال فمنكم عبد المطلب شيبه الحمد، وصاحب غير مكة، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قمر يتلألا في الليلة الظلماء. ؟ قال: لا. قال أفمن أهل الافاضة أنت ؟ قال: لا. قال أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال: لا. قال أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال:

لا. قال أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال: لا. قال أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال: لا. قال فممن المفيضين أنت ؟ قال: لا ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده، فقال له الغلام: صادق در السيل در يدفعه * يهيفه حيناً وحيناً يرفعه (٢) ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب. قال فأقبل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قال علي: فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على باقعة. فقال أجل يا أبا الحسن، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالقول. قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه (٣) السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم - قال علي وكان أبو بكر مقدما في كل خير - فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره (٤). فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم ؟ فقال له إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم ؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين غضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاج، والنصر من عند الله. يدلنا مرة ويدل علينا [أخرى] (٥). لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فما هو هذا فقال مفروق قد بلغنا

(١) الازل: الضيق والشدة، والاقراف التهمة. (٢) في البيهقي: يصدعه بدل يرفعه. (٣) في البيهقي: عليهم. (٤) في البيهقي: تربيته. (٥) من دلائل البيهقي وعند أبي نعيم ويديل علينا مرة. (*)

[١٧٦]

أنه يذكر ذلك [فإلى ما تدعو يا أخا قريش] (١)، ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال صلى الله عليه وسلم: " أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني حتي أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد ". قال له وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) إلى قوله: (ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) [الأنعام: ١٥١] فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) [النحل: ٩٠] فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانئ: قد سمعت مقاتل يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر،

وكانه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة فقال: وهذا المثني شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثني: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أبا قريش، وأعجبتني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وأنا إنما نزلنا بين صريين (٢) أحدهما اليمامة، والآخر السماوة (٣). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هذان الصريان؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من

(١) من البيهقي وأبي نعيم. (٢) الصريين، وقيل صيرين تننية صير، والصري للماء إذا طال مكثته وتغير، وفي النهاية، الصير، الماء الذي يحضره الناس. (٣) السماوة: وهي دلائل البيهقي: السماوة. وسميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها، وهي ماء بالبادية، وهي بين الكوفة والشام. (معجم البلدان - معجم ما استعجم). (*)

[١٧٧]

حاطه من جميع جوانبه ". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه؟ " فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أبا قريش! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً) [الاحزاب: ٤٥] ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضاً على يدي أبي بكر. قال عليّ ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا عليّ أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية - ما أشرفها - بها يتحاجزون في الحياة الدنيا " (١). قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى يابعوا النبي صلى الله عليه وسلم. قال عليّ: وكانوا صدقاء صيراء فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم (٢). قال فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: " احمداً لله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا ". قال وكانت الواقعة بقراقر (٣) إلى جنب ذي قار وفيها يقول الاعشى: فدى ليني ذهل بن شيبان ناقتي * وراكبها عند اللقاء وقلت هموا ضربوا بالحنو حنو قراقر * مقدمة الهامرز حتى تولت (٤) فله عينا من رأى من فوارس * كذهل بن شيبان بها حين ولت (٥) فثاروا وثرنا والمودة بيننا * وكانت علينا غمرة فتجلت

(١) العبارة في البيهقي: بها يدفع الله عزوجل بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم. (٢) رواه الحاكم وأبو نعيم في دلائل النبوة ١ / ٢٢٧ - ٢٤١. والبيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤٢٢ - ٤٢٧ وفيه: عن العماني وعن الغلابي عن البجلي فذكره بإسناده ومعناه وروي أيضاً بإسناد آخر مجهول عن أبان بن تغلب. وقال القسطلاني في المواهب: أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن. وما بين معكوفتين زيادة اقتضاها السياق استدركت من دلائل البيهقي. (٣) وقعة ذي قار كانت - ليكر على العجم - وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها. وذوقار ماء ليكر قريب من الكوفة وبعد هذا اليوم من مفاخر بكر. أنظر في الواقعة (العقد الفريد - الطبري ٢ / ١٤٨ - ابن الأثير ١ / ٢٨٩ - الأغانى ج ٢ / ٩٧ خزنة الادب ج ١ / ٣٤٣ النفاض ٦٣٨ طبع أوروبا - معجم البلدان). (٤) رواية البيت في أيام العرب: فصيحهم بالحنو حنو قراقر * وذى قارها منها الجنود فقلت ورواية اللسان: وهم ضربوا بالحنو حنو قراقر * مقدمة

الهامرز حتى تولت قال: وصواب إنشاده: هم ضربوا، وهذه هي رواية الديوان ورواية النقاتض أيضا. بنو شيبان بطن في بكر بن وائل. هامرز: كان على مسلحة كسرى بالسواد، وكان على ألف من الاساورة. (٥) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في ديوانه ولا في المراجع التي بين أيدينا. (*)

[١٧٨]

هذا حديث غريب جدا كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتفوا معهم قراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم فنصروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك في الاسلام. وقال الواقدي: أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منازلنا بمنى ونحن نازلون بازاء الجمرة الاولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحته مردفا خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم، فوقف علينا يدعوننا فلم نستجب له، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي. فقال لنا: أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي. فأحلف بالله ليظهرن امره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميسرة فكلمه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضوه فالعدى (١) أبعد. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج القوم صادرين إلى أهليهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا تأتي فدك فإن بها يهودا نسائلهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفرا لهم فوضعه ثم درسوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الامي العربي يركب الحمار ويجتزي بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسيط، وفي عينيه حمرة مشرق اللون. فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإننا نحسده ولا نتبعه، وإننا [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه. فقال ميسرة: يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين، فقال القوم نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقاها ميسرة فعرفه. فقال: يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله إلا ما ترى من تأخر إسلامي، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار " فقال: الحمد لله الذي أنقذني. فأسلم وحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر مكان. وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر، وغسان، وبني فزارة، وبني مرة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عيس، وبني نصر بن هوازن، وبني ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الحطيم وغيرهم. وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا والله الحمد والمنة.

(١) في النهاية: العدى بالكسر: الغرباء والاجانب والاعداء، وبالضم: الاعداء خاصة. (*)

[١٧٩]

وقال الامام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، أنا اسرائيل [بن يونس] عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله. قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: " هل من رجل يحملي إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ؟ " (١) فأناه رجل من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان. قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال آتيهم فأخبرهم ثم أتيتك من عام قابل ! قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار في رجب (٢). وقد رواه أهل السنن الاربعة من طرق عن اسرائيل به، وقال الترمذي حسن صحيح. فصل [في] قدوم وفد الانصار عاما بعد عام حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حديث سويد بن صامت الانصاري وهو سويد بن الصامت (١) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم. فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال محمد بن إسحاق بن يسار: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به [من الله] من الهدى والرحمة ولا يسمع يقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف، إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده. قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة [الانصاري]

(١) أخرجه الترمذي في ٤٦ - كتاب فضائل القرآن ح ٢٩٢٥ وقال: هذا حديث غريب صحيح. وأخرجه أبو داود في السنة - باب في القرآن ح ٤٧٢٤. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ١٢ باب في الجهمية ح ٢٠١ وأخرجه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤١٣. وقال البيهقي هذه الزيادة من رواية مصعب بن المقدم. (٢) في السهيلي: هو سويد بن الصامت بن حوط. وبنت سويد هي أم عاتكة، أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب فهو جدّها لامها واسم أمها زينب. (*)

[١٨٠]

عن أشياخ من قومه. قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا - أو معتمرا - وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول: ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفري مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر (١) يسرك بادية وتحت أديمه * تميمه غش تبترى عقب الظهر تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر فرشني بخير طالما قد بريتني * وخير الموالي من يريش ولا يبيري (٢) قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما الذي معك ؟ قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان - فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وألذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور " فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الاسلام. فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج (٣). فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم. وكان قتله قبل بعث (٤). وقد رواه البيهقي (٥) عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا، إسلام إياس بن معاذ قال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن

سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد. قال: لما قدم أبوالحيسر، أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم، فقال [لهم]: " هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قال: قالوا: وما ذاك ؟

(١) المأثور: السيف الموشى. (٢) في ابن هشام: فخير الموالي بدلا من وخير الموالي. (٣) قتل سويدا المجذر بن زياد واسمه عبد الله، وكان قتله في الجاهلية فهيج قتله وقعة بعث بين الاوس والخزرج ثم أسلم المجذر والحارث بن سويد بن الصامت، وكان الحارث يطلب غرة المجذر بن زياد ليقتله بأبيه، ويوم أحد جاءه الحارث من خلفه ف ضرب عنقه وقتله غيلة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الحارث وضرب عنقه عويم بن ساعدة على باب مسجد قباء (طبقات ابن سعد). (٤) بعث موضع كانت فيه حرب بين الاوس والخزرج. (٥) دلائل النبوة ج ٢ / ٤١٩. (*)

[١٨١]

قال: أنا رسول الله إلى العباد أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ. ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال: إياس بن معاذ - وكان غلاما حدثا - يا قوم (١) هذا والله خير مما جئتم له. فأخذ أبوالحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء ف ضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعث بين الاوس والخزرج. قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون به يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع (٢). قلت: كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشرف الاوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل. وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة (٣) عن هشام عن أبيه عن عائشة. قالت: كان يوم بعث يوما قدمه الله لرسوله، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم، وقتل سرايهم (٤). باب بدء إسلام الانصار رضي الله عنهم قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه. وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم " من أنتم ؟ " قالوا نفر من الخزرج. قال: " أمن موالي يهود ؟ " قالوا نعم ! قال " أفلا تجلسون أكلمكم ؟ " قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الاسلام، وتلا عليهم القرآن. قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام أن يهود كان معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا

(١) في السيرة: أي قوم. (٢) الخبر في دلائل النبوة للبيهقي وفيه: الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ. (٣) من البخاري وفي الاصل أبي أمامة وهو تحريف. وأخرجه في ٦٣ كتاب مناقب الانصار (١) باب مناقب الانصار ح ٣٧٧٧ فتح الباري ٧ / ٨٧. (٤) في البخاري: وقتلت سرايهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الاسلام. (*)

[لهم] إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له: إنا د تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أحبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا [عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا. قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة (١) بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. قال أبو نعيم: وقد قيل إنه أول من أسلم من الانصار من الخزرج. ومن الاوس أبو الهيثم بن التيهان. وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم. وعوف بن الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - النجارين، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو [بن عامر] بن زريق الزرقى وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد (٢) بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضا، ثم من بني حرام. وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضا، ثم من بني عبيد رضي الله عنهم. وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج. وذكر موسى بن عقبة في ما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية (٣) وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل. فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الاسلام،

(١) شهد العقبة الاولى والثانية وبايع فيهما، مات قبل بدر، كان نقيباً، أمه سعاد ويقال الفرعة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الابجر. لما أسلم عمل على تكسير أصنام بني مالك بن النجار. أخذته الذبحة ولما توفي مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام جنازته وهو أول من دفع باليقع. (طبقات ابن سعد - الاستيعاب) (٢) في الاصل: ساوة بن يزيد، وما أثبتناه من ابن هشام. ولا يعرف في العرب تزيد إلا هذا، وتزيد بن الحاف بن قضاة، وإليهم تنسب الثياب التيزدية. (٣) في ابن سعد: قال محمد بن عمر: وأمر الستة أثبت الاقاول عندنا أنهم أول من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار فدعاهم إلى الاسلام فأسلموا (*)

وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن أبعث إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل علي أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة. والله أعلم. قال ابن إسحاق: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الاسلام حتى فشتا فيهم، فلم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلاً وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره، وعوف بن الحارث المتقدم،

وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك المتقدم أيضا. وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقفي. قال ابن هشام: وهو أنصاري مهاجري. وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم (١) بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة (٢) بن أصرم البلوي، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الاوس اثنان وهما، عويم بن ساعدة. وأبو الهيثم مالك بن التيهان. قال ابن هشام التيهان يخفف ويتقل كميث وميث. قال السهيلي: أبو الهيثم بن التيهان: اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعون (٣) بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس (٤). قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوي. وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام. قال: والهيثم فرخ العقاب، وضرب من النبات، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلا شهدوا الموسم عامئذ، وعزموا على الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى. وروى أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم: " وإذ قال إبراهيم رب

(١) في نسخة لابن هشام: أحرم والصواب ما أثبتناه. (٢) قال ابن إسحاق وابن الكلبي خزمة بسكون الزاي، وقال الطبري خزمة بفتح الزاي. قال في الاستيعاب: ليس في الانصار خزمة بالتحريك. (٣) في ابن سعد: زعوراء. (٤) قال ابن سعد: واسمه مالك بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة حليف لبني عبد الاشهل، أجمع على ذلك موسى بن عافية ومحمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر. شهد أبو الهيثم بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر خارصا فخرص عليهم التمرة. مات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة وقيل بقى إلى أيام علي وشهد معه صفين وقتل يومئذ. قال الواقدي القول الاول اثبت عندنا (الاستيعاب - الطبقات الكبرى - الروض الأنف) (*).

[١٨٤]

اجعل هذا البلد آمنا) إلى آخرها. وقال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن [أبي] (١) مرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة - وهو ابن الصامت - قال: كنت ممن حضر العقبة الاولى، وكنا اثني عشر رجلا. فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف. فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر. وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه (٢). قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه. قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله على بيعة النساء - يعني وفق علي ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية - وكان هذا مما نزل علي وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل

بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر. والله أعلم. قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب (٢) بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين. وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعبا حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى. قال البيهقي: وسياق ابن إسحاق أتم. وقال ابن إسحاق: فكان عبد الله بن أبي بكر

(١) سقطت من الاصل واستدركت من ابن هشام. وفي دلائل البيهقي: عن أبي الخير وهو مرثد. (٢) أخرجه البخاري في ٦٢ كتاب مناقب الانصار ٤٢ باب فتح الباري ٧ / ٢١٩ ومسلم في ٢٩ كتاب الحدود ١٠ باب ح ٤٤. (٣) يكتفى: أبا عبد الله وفي ابن سعد: أبا محمد من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، من فضلاء الصحابة شهد بدرًا بعثه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يفقههم في الدين ويقرأ عليهم القرآن حتى ظهر الإسلام وفتنا في دور الانصار، وهو أول من جمع في الإسلام، قتل يوم أحد شهيدا قتله ابن قميئة وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بدر وأحد، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد (طبقات ابن سعد - الاستيعاب - الروض الأنف). (*)

[١٨٥]

يقول: لا أدري ما العقبة الأولى. ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرئ، قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال: فمكث حيناً على ذلك لا يسمع لاذان الجمعة إلا صلي عليه واستغفر له. قال فقلت في نفسي والله أن هذا بي لعجز، ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبي (١) من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضات قال: قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة (٢)، وفي إسناده غرابة والله أعلم. قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة؟ فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، يومئذ سيذا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به، قال سعد لاسيد: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، وانهما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أحد عليه مقدما. قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله

فيه، قال مصعب: إن يجلس أكمله. قال فوقف عليهما متشتما فقال:
ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟

(١) هزم النبي: جبل على بريد من المدينة قاله السهيلي وأنكره ياقوت في معجمه ونفى أن يكون هزم النبيت جبلا لان هزم: المطمئن من الارض واستحسن قولاً - قال: إن صح فهو المعول عليه - وهو: جمع بنا في هزم بني النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له: نقيع الخضعات. (٢) قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: إنما كان مصعب بن عمير يصلي بهم ويجمع بهم الجمعات بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليهاجر معه صلى بهم أسعد بن زرارة وقال البيهقي: يحتمل أن لا يخالف هذا قول ابن شهاب، وكان مصعب جمع بهم معونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليه والله أعلم. (أنظر الحاشية السابقة - وترجمة ابن زرارة وابن عمير في الطبقات ج ٣) (*).

[١٨٦]

اعتزلنا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. وقال موسى بن عقبة: فقال (١) له غلام: أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد. الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه. قال ابن إسحاق: فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال: أنصفت، قال: ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه (٢) مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا - فيما يذكر عنهما - والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا. قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسا. وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقوقك (٣)، قال: فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا، ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف [عليهما] متشمتا ؟ ثم قال لاسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه [من] قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن. وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف (٤). قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قال تغتسل فتطهر

(١) نقل البيهقي الخبر عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري، وجاءت العبارة فيه: فقال لابي أمامة: علام تأتينا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد بسفه ضعفاءنا بالباطل، ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تسيئ من جوارنا، فقاموا ورجعوا. (٢) في رواية موسى بن عقبة أن ذلك كان في مرة أخرى، حيث توعدهم وعيدا دون وعيده الاول، فلما رأى منه أسعد بن زرارة ليأ قال له: يا ابن خالة استمع من قوله فإن سمعت منكرا فأردده بأهدى منه، وإن سمعته حقا فأجب إليه. إنما نسب موسى هذا القول لسعد بن معاذ وقال: ويقول بعض الناس: بل أسيد بن حضير. (٣) في ابن هشام:

[١٨٧]

وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال فقام
فأغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ
حريته فأقبل عاتدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير (١)، فلما
راه قومه مقبلا قالوا: نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه
الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد
الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا [وأوصلنا] وأفضلنا
رأيا وأيمننا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى
تؤمنوا بالله ورسوله، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل
رجل ولا امرأة إلا مسلما أو (٢) مسلمة، ورجع سعد ومصعب إلى
منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى
لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان
من دار بني أمية بن زيد، وخطمة، وواتل، وواقف، وتلك أوس وهم من
الايوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الاسلت واسمه
صيغي. وقال الزبير بن بكار: اسمه الحارث، وقيل عبيدالله واسم أبيه
الاسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن
مالك بن الاوس. وكذا نسبه الكلبي أيضا. وكان شاعرا لهم قائدا
يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد
الخندي. قلت: وأبو قيس بن الاسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعارا
باتية حسنة تقرب من أشعار أمية بن [أبي] الصلت الثقفي. قال
ابن إسحاق فيما تقدم: ولما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب
أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر، وقبل أن يذكر
من هذا الحي من الاوس والخزرج، وذلك لما كان يسمعون من أخبار
يهود. فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من
الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بني واقف - قال السهيلي:
هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن
مالك بن عدي بن عمرو (٣) بن غنم بن عدي بن النجار، قال وهو
الذي أنزل فيه وفي عمر: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)
الآية. قال ابن إسحاق (٤): وكان يحب قريشا، وكان لهم صهرا. كانت
تحتة أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم
السنين بامراته. قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها
عن الحروب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه

(١) في رواية ابن عقبة: فقال سعد بن معاذ: بعد قراءة مصعب عليه - ما أسمع إلا ما
أعرف، فرجع سعد بن معاذ وقد هداه الله ولم يظهر لهما إسلامه حتى رجع إلى قومه.
(٢) في ابن هشام: ومسلمة. (٣) في السيرة: عن ابن هشام: عامر. (٤) سيرة ابن
هشام ج ١ / ٣٠٢. (*)

[١٨٨]

عنهم الفيل وكيدته ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم: أيا راكبا إما عرضت فبلغن * مغلغلة عني لؤي بن غالب (١)
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم * على النأي محزون بذلك ناصب
وقد كان عندي للهموم معرس * ولم افض منها حاجتي ومأربي (٢)
نبيتكم شرحين، كل قبيلة * لها أزل من بين مذك وحاطب (٣)
أعيدكم بالله من شر صنعكم * وشر تباغيكم ودس العقارب وإظهار
أخلاق ونجوى سقيمة * كوخ الاشافي وقعها حق صائب (٤)

فذكرهم بالله أول وهلة * واحلال أحرام الأطباء الشواذب (٥) وقل لهم والله يحكم حكمه * ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغول للاقصين أو للاقارب تقطع أرحاما وتهلك أمة * وتبري السديف من سنام وغارب وتستبدلوا بالاتحمية بعدها * شليلا وأصداء ثياب المحارب (٦) وبالمسك والكافور غيرا سوايغا * كأن قتيورها عيون الجنادب (٧) فإياكم والحرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب تزين للاقوام ثم يرونها * بعاقبة إذ بيتت أم صاحب تحرق لا تشوي ضعيفا وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا أو كان في حرب حاطب وكم ذا أصابت من شريف مسود * طويل العماد ضيفه غير خائب عظيم رماد النار يحمد أمره * وذو شيمة محض كريم المضارب وماء هريق في الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصبا والجنائب يخبركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب فبيعوا الحراب ملمحارب وأذكروا * حسابكم والله خير محاسب ولي امرئ فاختر دينا فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب

(١) المغلغلة: الرسالة. (٢) المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل، يقيم فيه للراحة ثم يرتحل. (٣) شرحين: نوعين مختلفين. الازمل: الصوت المختلط. المذكي: الموقد، والمذكي: الذي يوقد النار. (٤) الاشافى: جمع اشفى وهي المخرز. (٥) أحرام الأطباء: التي يحرم صيدها في الحرم، والشواذب: الضامرة البطون. (٦) الاتحمية: ثياب رفاق تصنع باليمن. (٧) القتير: حلق الدرغ. (*)

[١٨٩]

أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتموا * لنا غاية، قد يهتدى بالذوائب وأنتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمون والاحلام غير عواذب وأنتم إذا ما حصل الناس جوهر * لكم سررة البطحاء شم الأراب تصونون أنسابا كراما عتيقة * مهذبة الانساب غير أشائب (١) يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكي تهتدي بعصائب لقد علم الاقوام أن سراتكم * على كل حال خير أهل الجبابب (٢) وأفضله رأيا وأعلاه سنة * وأقوله للحق وسط المواكب فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الاخشاب (٣) فعندكم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب كتيبته بالسهل تمشي ورجله * على القاذفات في رؤوس المناقب فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير عصائب فإن تهلکوا نهلک وتهلک مواسم * يعاش بها، قول امرئ غير كاذب وحرب داحس التي (٤) ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره: أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس (٥) بن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفاني. أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤبة الغطفاني أيضا يقال لها الغبراء، فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا، ثم إن أبا جنيد العبيسي لقي عوف بن حذيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله، فشبت الحرب بين بني عيس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون، وقالوا في ذلك أشعارا كثيرة يطول بسطها وذكرها. قال ابن هشام: وأرسل قيس داحسا والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والاول أصح (٦) قال وأما حرب حاطب [فيعني حاطب] بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن

(١) في ابن هشام: تصونون أجسادا بدل تصونون أنسابا. (٢) الجبابب: المنازل، واحدها، جبجبة، قال السهيلي هي منازل منى. (٣) الاخشاب: أراد الاخشبين، جبلا مكة. (٤) في الاصل: الذي، والصواب ما أثبتناه. (٥) قيس بن زهير سيد بني عيس

وكان يلقب بقيس الرأي. لجودة رأيه من أقواله: أربعة لا يطاقون: عبد ملك. نذل شيع، وأمة ورنث، وقيحة تزوجت. (٦) اختلفت الآراء حول ملكية داحس والغبراء، أنظر في ذلك: العقد الفريد ج ٣ / ٣١٣ سيرة ابن هشام ١ / ٣٠٣ (*)

[١٩٠]

أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس. كان قتل يهوديا جاريا للخزرج، فخرج إليه يزيد (١) بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فسحمر (٢) في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الظفر للخزرج، وقتل يومئذ الاسود (٣) بن الصامت الاوسي، قتله المجذر بن ذباد حليف بني عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضا. والمقصود أن أبا قيس بن الاسلمت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أي محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم عن الاسلام وهو القائل أيضا: أرب الناس أشياء أمت * يلف الصعب منها بالذلول أرب الناس إما أن ضلنا * فيسرنا لمعروف السبيل فلولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذئ شكول (٤) ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان في جبل الجليل ولكنا خلقنا إذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل جيل نسوق الهدى ترسف مذعنات * مكشفة المناكب في الجلول (٥) وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الامر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته. وكان الذي ثبطه عن الاسلام أولا عبد الله بن أبي بن سلول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر [به] يهود فمنعه عن الاسلام. قال ابن إسحاق: ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم. وكذا الواقدي. قال: كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما عبد الله بن أبي فحلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة (٦). وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن

= الكامل لابن الاثير ١ / ٣٤٣ الاغاني ٨ / ٢٤٠، ١٦ / ٣٦ معجم البلدان (أصا - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ / ٣٩٧ مجمع الامثال للميداني ٢ / ٥١. (١) في الاصول زيد وهو تحريف، من ابن هشام وشرح القاموس مادة فسحمر. (٢) في الاصول قسحمر، وما أثبتناه من ابن هشام وشرح القاموس مادة فسحمر. (٣) في ابن هشام: سويد، وقد تقدم التعليق على ذلك يوم بعث. (٤) البيتان الاول والثاني ليسا في الطبقات. ويبدأ الثالث والرابع: ولوشا بك " ولولا ربنا ". (٥) في الطبقات شطره: تكشف عن مناكبها الجلول. (٦) في ابن سعد: ذي الحجة على رأس عشرة أشهر من الهجرة. (*)

[١٩١]

لاثير في كتابه [أسد] الغابة، أنه لما حضره الموت دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام فسمع يقول: لا له إلا الله. وقال الامام أحمد: حدثنا حسن بن موسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من الانصار، فقال " يا خال: قل لا إله إلا الله " فقال: أخال أم عم ؟ قال بلي خال قال: فخير لي أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ! تفرد به أحمد (١) رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأنزل الله:

(ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء) [النساء: ٢٢] الآية. وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، وفارق الاوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض من النساء، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذة مسجدا لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب وقال: أعبد إله إبراهيم حين فارق الاوثان وكرهها، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه (٢)، وكان شيخا كبيرا وكان قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول في ذلك أشعارا حسانا وهو الذي يقول: يقول أبو قيس وأصبح غاديا * ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا فأوصيكم بالله والبر والتقوى * وأعراضكم والبر بالله أول وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم * وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم * فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا وإن ناب. غر فادح فارقوهم * وما حملوكم في الملمات فاحملوا وإن أنتم أمعزتم فتعففوا * وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا (٣) وقال أبو قيس أيضا: سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسها وكل هلال عالم السر والبيان جميعا * ليس ما قال ربنا بضلال (٤) وله الطير تستزيد وتأوي * في وكور من أمينات الجبال

(١) مسند أحمد ج: ٣ / ١٥٢، ١٥٤، ٣٦٨ حليبي. (٢) في ابن سعد: كاد أن يسلم، وبقي على دين إبراهيم وكان يقال له بيثرب الخفيف، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في شعره وكان يقول: ليس على دين إبراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل. (أنظر الطبقات ج ٤ / ٢٨٢ وما بعدها). (٣) أمعزتم: وتروى أمعزتم بالراء: افتقرتم وأصابتمكم شدة. (٤) في ابن هشام: لدينا مكان جميعا. (*)

[١٩٢]

وله الوحش بالفلاة تراها * في حفاف وفي ظلال الرمال (١) وله هودت يهود ودانت * كل دين مخافة من عصال (٢) وله شمس النصرى وقاموا * كل عيد لربهم واحتفال وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان أنعم بال (٣) يا بني الارجام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال واتقوا الله في ضعاف اليتامى * وبما يستحل غير الحلال واعلموا أن لليتيم وليا * عالما يهتدي بغير سؤال ثم مال اليتيم لا تأكلوه * إن مال اليتيم يرعاه والي يا بني التخوم لا تجزلوها * إن جزل التخوم ذو عقال (٤) يا بني الايام لا تأمنوها * واحذروا مكرها ومر الليلي واعلموا أن مرها (٥) لنفاد * الخلق ما كان من جديد وبالي واجمعوا أمركم على البر والتقوى * وى وترك الخنا وأخذ الحلال قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم. ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وسياتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة. قصةبيعة العقبة الثانية (٦) قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خراج من الانصار من المسلمين [إلى الموسم] مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا

(١) الحفاف: جمع حقف، وهو الكدس المستدير من الرمل. (٢) في ابن هشام: كل دين إذا ذكرت عصال (٣) في ابن هشام: وكان ناعم بال. (٤) في الاصل تجزلوها. وهو تحريف. وتجزلوها: تقطعوها. (٥) في الاصل أمرها. (٦) أنظر العقبة الثانية في: طبقات ابن سعد ١ / ٢٢١ تاريخ الطبري ٢ / ٣٦١ وما بعدها سيرة ابن هشام ٢ / ٨١ وما بعدها. تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٠٠ ابن سيد الناس ١ / ١٩٢، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (٦٨). (*)

رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنيبه واعزاز الاسلام وأهله [وإذلال الشرك وأهله]. فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الانصار - حدثه أن أباه كعبا حدثه - وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها - قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور (١) سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا والله ما أدري أتوا فقونني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذلك ؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها. قال: فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن خالفه. فقال: إني لمصل إليها، قال فقلنا له: لكننا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. [قال: وقد كنا قد عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة] قال لي يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه قد وقع في نفسي منه شيء. لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تعرفانه ؟ فقلنا لا، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال: قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: " هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ " قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر ؟ قال: نعم ! فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للاسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى ؟ قال: " قد كنت على قبلة لو صبرت عليها " قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى معنا إلى الشام، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم. قال كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أواسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا،

(١) البراء بن معرور: يكنى أبا بشر، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الانصار، وهو أول من تكلم من النقباء ليلة العقبة حين لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم السبعون. أوصى بثلاث ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث شاء، مات وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر، قال الواقدي: كان أول من مات من النقباء (الطبقات ٢ / ٦١٨). (*)

فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وإنما نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطبا للنار غدا، ثم دعوانا إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة

قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا (١). وقد روى البخاري: حدثني إبراهيم، حدثنا هشام أن ابن جريح أخبرهم قال عطاء قال جابر: أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة. قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة: أحدهم البراء بن معرور. حدثنا علي بن المديني، حدثنا سفيان، قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهد بي خالاي العقبة. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الزبير عن جابر. قال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ ومجنة، وفي المواسم يقول " من يؤويني ؟ من ينصرتي ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة " فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون: إحدركم غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رجالهم [يدعوهم إلى الله عزوجل] (٢) وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام، ثم انتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويتردد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا. فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال " تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة " فقمنا إليه [نبايعه] (٣) وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي - وهو أصغر السبعين - إلا أنا، فقال رويدا يا أهل يثرب: فإننا لم نضرب إليه أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجنا اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم، [وأن [تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا أبط (٤) عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا

(١) ما بين معكوفتين في الخبر زيادة من ابن هشام. (٢) زيادة من البيهقي. (٣) من البيهقي. (٤) العبارة في البيهقي: فقلنا: أمط يدك يا أسعد بن زرارة فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها فقمنا إليه نبايعه رجلا رجلا.. (*)

[١٩٥]

نسلها أبدا. قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط وبعطينا على ذلك الجنة. وقد رواه الامام أحمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار - زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم (١) كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه. وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجه. وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروي عن جابر إلا من هذا الوجه. وقال الامام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر. قال: كان العباس أخذا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يواثقنا، فلما فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أخذت وأعطيت " وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - عن داود - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء من الانصار: " تؤوونني وتمنعوني ؟ " قالوا: نعم قالوا: فما لنا ؟ قال: " الجنة " ثم قال: لا

نعلمه يروي إلا بهذا الاسناد عن جابر، ثم قال ابن إسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع. وقد صرح ابن إسحاق - في رواية يونس بن بكير عنه - بسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين، والعرب كثيرا ما تحذف الكسر، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة. كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة (٢)، قال منهم أربعون من ذوي أسنانهم، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله. قال كعب بن مالك: فلما اجتمعنا في الشعب نتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا معه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو علي مثل رأينا فيه، فهو في عزة من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه

= أخرجه الامام أحمد في مسنده ج ٣ / ٣٣٩ - ٤٤٠ والبيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤٤٢، (١) في البيهقي ج ٢ / ٤٤٢: يحيى بن سليمان عن ابن خنيم عن أبي الزبير عن جابر، وزاد في وسطه: قال: فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك، إنني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا، قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم هؤلاء أحداث.. (٢) وفي رواية ابن بكير عن ابن إسحاق قال: كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين من الخزرج والأوس. وفي ابن سعد: إنهم كانوا سبعين يزيدون رجلا أو رجلين. (*)

[١٩٦]

إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت: فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام. قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم" قال: فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال نعم! فوالذي بعثك بالحق [نبيا] لنمنعك مما نمنع منه أزرنا (١) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب [وأهل الحلقة] (٢) ورثناها كابرا عن كابر. قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "بل الدم الدم، والهدم الهدم (٣). أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم" قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم" فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. قال ابن إسحاق: وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رواحة [بن ثعلبة] (٤) بن امرئ القيس [بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر] (٤) بن مالك [الاغر] (٥) بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك

بن العجلان المتقدم، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عددي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبادة بن الصامت المتقدم، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن (٦) خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن

(١) أزرنا: أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالازار، وقد يكنى بالازار عن النفس أيضا. (٢) ما بين معكوفين من ابن هشام. (٣) كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويروى أيضا: اللدم، والهدم الهدم. وعن ابن هشام الهدم: يعني الحرمة: أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم. وعلق السهيلي على قول ابن هشام قال: وإنما كنى ابن هشام على حرمة الرجل وأهله بالهدم " لانهم كانوا أهل نجعة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم، فكلما ظعنوا هدموها. (الخبر في ابن هشام ٢ / ٨٢ ونقله الطبري عنه ٢ / ٣٦٣). (٤) من ابن هشام. (٥) من الاستيعاب. (٦) في الاصول والاستيعاب، بن خزيمة، وفي ابن هشام ابن أبي خزيمة، وفي شرح السيرة لابي ذر ابن أبي خزيمة، وقال في الاستيعاب: ويقال فيه: ابن أبي حليلة. (*)

[١٩٧]

كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لودان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم [بن الحارث] (١) بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير (٢) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس. قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق (٣). واختاره السهيلي وابن الاثير في [أسد] الغابة. ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الانصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال: أبلغ أبا أنه قال رايه * وحن غداة الشعب والحين واقع (٤) أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع وأبلغ أبا سفيان أن قد بدلنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع فلا ترغبن في حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع ودونك فاعلم أن نقض عهدنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا (٥) أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد ياباه عليك ورافع وسعد أباه الساعدي ومنذر * لانفك إن حاولت ذلك جادع وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعن ثم طامع وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السهم نافع وفاء به، والقوقلي بن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع أبو هيثم أيضا وفي بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقه الغي نازع

(١) من ابن هشام. (٢) في ابن هشام والاستيعاب: ابن زبير. (٣) واختاره ابن سعد في الطبقات قال: وهو أحد النقباء الاثني عشر من الانصار وشهد العقبتين جميعا ووافقه البيهقي في الدلائل من رواية ابن بكير عن ابن سحاق ولم يذكره ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي (ص ٧١) بل ذكر رفاعة. (٤) قال: بطل. (٥) قوله تبايعوا: ضبطها محقق سيرة ابن هشام: تبايعوا. (*)

وسعد أخو عمرو بن عوف فانه * ضروح لما حاولت ملامر مانع (١) أولاك نجوم لا يغبك منهم * عليك بنحس في دجى الليل طالع قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعه. قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الانصار ليلة العقبة سبعون رجلا، وكان نقبائهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس. وحدثني شيخ من الانصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة. رواه البيهقي (٢). وقال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر [بن حزم] (٣): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء: " أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي [يعني المسلمين] (٤) " قالوا نعم! وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الانصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإننا نأخذة على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال " الجنة " قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه. قال عاصم بن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر [القوم] البيعة تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لامر القوم، فإله أعلم أي ذلك كان. قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زرارة، كان أول من ضرب على يده. وبنو عبد الاشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان. قال ابن إسحاق: وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: فكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور، ثم بايع [بعد] القوم (٥) وقال * (هامش) * (١) ضروح: مانع ودافع عن نفسه. (٢) دلائل البيهقي ج ٢ / ٤٥٣. (٣) من دلائل البيهقي. (٤) من ابن هشام. (٥) سيرة ابن هشام: ٢ / ٨٩ وما بين معقوفتين من السيرة. (*)

ابن الاثير في [أسد] الغاية: وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك. وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك. قال: ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواتقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أكثر (١) في الناس منها. وقال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا [أبو] (٢) عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم [الفضل بن دكين] حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشعبي قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العباس عمه إلى السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: " ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا، وإن تعلموا بكم يفضحوكم " فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب

على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك. قال: " أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم " قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال: " لكم الجنة " قالوا فلك ذلك. ثم رواه حنبل عن الامام أحمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي مسعود الانصاري فذكره قال: وكان أبو مسعود أصغرهم. وقال أحمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها. وقال البيهقي: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش (٣) أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي، حدثنا زهير، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن اسماعيل بن عبيدالله (٤) بن رفاعة عن أبيه قال: قدمت روابا خم، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها (٥) وقال: إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها، وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق [قال] حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت. قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا،

(١) في البخاري " بدر أذكر " وفي نسخ البداية المطبوعة: " بدرا كثيرة " وهو تحريف.
(٢) من دلائل البيهقي ٢ / ٤٥١. (٣) في الدلائل: محمد بن محمد بن محمش الفقيه.
(٤) في البيهقي عبيد. (٥) في البيهقي: فخرقها. (*)

[٢٠٠]

وأثرة علينا (١)، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك. قال: فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجباب - والجباب المنازل - هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا أرب العقبة، هذا ابن أزيب " (٢). قال ابن هشام: ويقال ابن أزيب. " أسمع أي عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن لك (٣). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارفضوا إلى رحالكم " قال: فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافا ؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم ". قال فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا فيها حتى أصبحنا (٤)، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا. وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يخلفون ما كان من هذا شئ وما علمناه، قال: وصدقوا لم يعلموا، قال وبعضنا ينظر إلى بعض. قال ثم قال القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديان (٥)، قال فقلت له كلمة - كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش ؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي. قال: والله

لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى فاررد إليه نعليه. قال: قلت والله لا أردهما، فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لاسلبيه. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا (٦) علي مثل هذا وما علمته كان. قال فانصرفوا عنه. قال ونفر الناس من منى فتنطس (٧) القوم الخير فوجدوه قد كان،

(١) نقل الخبر البيهقي في الدلائل ٢ / ٤٥٢ وزاد هنا فيه: يقول - أي النبي صلى الله عليه وسلم - وإن استوتير عليكم - تابع الوليد - وقومي يلوموني على هذا الحرف. (٢) في النهاية لابن الأثير: هو شيطان اسمه: أرب الكعبة، وقيل الأرب: القصير الدميم. (٣) في ابن هشام: لافرعن لك. (٤) كذا في الاصل والسيرة، وفي رواية البيهقي: فرجعنا إلى رحالنا فاضطجعنا على فرشنا. (٥) قال السهيلي: والنعل مؤنثة، ولكن لا يقال: جديدة في الفصح من الكلام، وإنما يقال: ملحفة جديدة. قال سيبويه: قال جديدة، وإنما أراد معنى حديثة. (٦) في ابن هشام: ليتفوتوا علي بمثل هذا. (٧) التنطس: تدقيق النظر، وتنطس القوم الخير: أكثروا البحث عنه. (*)

[٢٠١]

فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأواخر والمنذر بن عمرو أبا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - قال سعد: فوالله إنني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش، فيهم رجل وضئ أبيض، شعثشاع، حلو من الرجال، فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا. فلما دنا مني رفع يده فلكنمني لكمة شديدة، فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إنني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى (١) لي رجل ممن معهم. قال: ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي. وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس: فقال: ويحك فاهتف باسم الرجلين، وأذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدتهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما [ويذكر أن بينه وبينكما جوار]، فالأ ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. فالأ: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يظلموا ببلده، قال: فجاء فخلصا سعدا من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو. قال ابن هشام: وكان الذي أوى له أبو البخترى بن هشام (٢). وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير (٣) قال سمعت قريش قاتلاً يقول في الليل على أبي قبيس: فإن يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم (٤)؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قاتلاً يقول: أيا [يا] سعد سعد الأوس كن أنت ناصرًا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف أجيباً إلى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس منية عارف فإن ثواب الله للطالب الهدى * جنان من الفردوس ذات رفارف فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

(١) أوى لي: رحمني ورق لي. (٢) سيرة ابن هشام: ج ٢ / ٩٣. (٣) الخبر في دلائل البيهقي وفيه عن: عبد الحميد بن أبي عيسى بن خير - كذا قال الكلبي - وهو عبد الحميد بن أبي عيسى بن محمد بن خير. والخبر أخرجه ابن أبي الدنيا، والخرائطي. (٤) قال السهيلي في الروض الأنف ١ / ٢٧٢: فحسبوا أنه يريد بالسعدين القبيلتين: سعد هذيم من قضاة، وسعد بن زيد بن تميم.

فصل قال ابن إسحاق: فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الاسلام بها. وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم، عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة [وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها]، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وأشرفهم، وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له مناة (١) كما كانت الاشراف يصنعون، تتخذة إليها يعظمه ويظهره، فلما أسلم فتيان بني سلمة، ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلها هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطره ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لآخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى، فيغسله ويطيبه وطره، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوما، فغسله وطره ويطيبه. ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع، هذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من [رجال] قومه فأسلم برحمة الله، وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول: والله لو كنت إلها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن اف لملقاك إلها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغين (٢) الحمد لله العلي ذي المنن * الواهب الرزاق ديان الدين (٣) هو الذي أنقذني من قبل أن * أكون في ظلمة قبر مرتنه

(١) مناة: مأخوذ من قولك: منيت الدم وغيره، إذا صببته، لان الدماء كانت تمنى عنده تقربا إليه، ومنه سميت الاصنام الدمى. (٢) مستدن: مستدن، من السدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه، قاله السهيلي، وقال أبو ذر في شرح السيرة: المستدن: الدليل. (٣) قال السهيلي: الدين: في قوله ديان الدين: جمع دينة وهي العادة. ويجوز أن يكون أراد: الاديان أي هو ديان أهل الاديان، وجمعها على الدين لانها ملل ونحل كما قالوا في جمع حرة: حرائر. (*)

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان (١) فمن الاوس أحد عشر رجلا، أسيد بن حضير أحد النقباء [لم يشهد بدرا]، وأبو الهيثم بن التيهان بدري أيضا (٢)، وسلمة بن سلامة بن وقش بدري، وظهر بن رافع، وأبو بردة بن دينار (٣) بدري، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدري وقتل بها شهيدا، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير (٤) نقيب بدري، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدري، وقتل يوم أحد شهيدا أميرا على الرماة، ومعن بن عدي بن الجد بن عجلان بن الحارث (٥) بن ضبيعة البلوي حليف للاوس شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة شهيدا، وعويم بن ساعدة شهد بدرا وما بعدها.

ومن الخزرج اثنان وستون رجلا، أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيدا، ومعاذ بن الحارث وأخواه عوف ومعوذ وهم بنو عفراء بدريون، وعمارة بن حزم شهد بدرا وما بعدها وقتل باليمامة، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر، وسهل بن عتيك بدري، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري، وقيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميرا على الساقية يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرا وقتل يوم أحد، وخارجة بن زيد شهد بدرا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدرا وأحدا والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرا، وبشير بن سعد بدري، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (٦) الذي أرى النداء [للصلاة] وهو بدري، وخلاد بن سويد بدري أحدي خندقي وقتل يوم بني قريظة شهيدا،

(١) رتب ابن هشام في السيرة أسماءهم على حسب القبائل ٣ / ٩٧ - ٩٩ ورتبهم الصالح في السيرة الشامية أبجديا على الاحرف ٣ / ٢٩٢. (٢) يعني أن أسيد حضر بدرا، ولكن أسيد بن حضير لم يشهد بدرا وتخلف هو وغيره من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من النقباء وغيرهم عن بدر، وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها. (٣) كذا في الاصل وفي نسخة لابن هشام وهو تحريف والصواب: أبو بردة بن نيار، واسمه هاني بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب.. بن الحاف بن قضاة كما في سيرة ابن هشام والاستيعاب والقاموس مادة (نير). (٤) في ابن هشام: زبير، وفي الاستيعاب: زبير. (٥) في ابن هشام: حارثة. (٦) في ابن هشام والاستيعاب: بن عبد الله بن زيد مائة بن الحارث بن الخزرج. (*)

[٢٠٤]

طرحت عليه رحى فشدخته فيقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن له لاجر شهيدين وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدري قال ابن إسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدرا (١)، وزياد بن ليبيد (٢) بدري، وفروة بن عمرو بن وذفة (٣)، وخالد بن قيس بن مالك بدري، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري لانه أقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر منها وهو بدري قتل يوم أحد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد (٤) بن عامر بن زريق بدري، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدري أيضا، والبراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر شهيدا من أكله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة رضي الله عنه، وسانان بن صيفي بن صخر بدري (٥)، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدري، قتل يوم الخندق، ومعمل بن المنذر بن سرح بدري، وأخوه يزيد بن المنذر بدري، ومسعود بن زيد (٦) بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري، ويزيد بن خدام (٧) بن سبيع، وجبار بن صخر [بن أمية] بن خنساء بن سنان بن عبيد بدري، والطفيل بن مالك بن خنساء بدري، وكعب بن مالك (٨)، وسليم بن عامر (٩) بن حديدة بدري وقطبة بن عامر بن حديدة بدري، وأخوه أبو المنذر يزيد بدري أيضا، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدري، وصيفي بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي (١٠) بدري واستشهد بالخندق،

(١) خرج في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب بفدك في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطبقات: ٢ / ١٢٦). (٢) شهد زياد أحد

والخندق والمشاهد كلها، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على حضرموت، ومات زياد في خلافة معاوية بن أبي سفيان. (٣) قال ابن هشام ودقة كما في الاصل. وفي سيرة ابن هشام ودقة، قال السهيلي: ودقة وهو الاصح. وعمرو بن ودقة هذا هو البياضي. وذكره أبو ذر ودقة وكذلك ذكره صاحب العين بالذال المهملة، وفي الاشتقاق لابن دريد ودقة بالذال. (٤) في نسخة ابن هشام - محققة - خلدة. وأشار محققه إلى أن الاصول: خالد. وفي طبقات ابن سعد: خالد. شهد عباد وأخوه الحارث بدرًا وأحدًا. وشهد الحارث الخندق وشهد اليمامة وجرح ومات في خلافة عمر. (٥) قتل يوم الخندق شهيدًا. (٦) في ابن هشام: يزيد. (٧) في ابن هشام والاستيعاب: حرام. (٨) شهد تبوك، ولم يشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، بقي إلى زمن معاوية ومات سنة ٥٠ هـ. (٩) في ابن هشام: عمرو في المكانين، ويقال عامر. (١٠) في الاستيعاب: هاني. (*)

[٢٠٥]

وأخوه عمرو بن غنمة بن عدي، وعيس بن عامر بن عدي بدري، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدري واستشهد يوم أحد، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدري وثابت بن الجذع بدري وقتل شهيدًا بالطائف، وعمير (١) بن الحارث بن ثعلبة بدري، وخديج بن سلامة (٢) حليف لهم من بلى، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس (٣) في خلافة عمر بن الخطاب، وعبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها، والعباس بن عبادة بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له مهاجري أنصاري أيضا وقتل يوم أحد شهيدًا، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة (٤) بن أصرم حليف لهم [من بني غصينة] من بلى، وعمرو بن الحارث بن كندة (٥)، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري ! وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم (٦) بدري وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجري أنصاري أيضا، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء (٧)، والمنذر بن عمرو نقيب بدري أحدي وقتل يوم بئر معونة أميرًا وهو الذي يقال له أعتق ليموت، وأما المرأتان فأم عمارة نسيبة (٨) بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية. قال ابن إسحاق: وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب (٩) وعبد الله، وابنها خبيب هذا هو الذي قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول نعم، فيقول أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات في يديه لا يزيد على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها اثني عشر جرحا من بين طعنة

(١) قال ابن هشام: هو عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة وهو كذلك في رواية موسى بن عقبة، أما في الطبقات فكالأصل. وشهد بدرًا وأحدًا. (٢) قال الطبري شهد العقبة ولم يشهد بدرًا وكان يكنى أبا رشيد. (٣) عمواس: بكسر أوله وسكون الثاني، أو بفتح ثانيه، قرية بفلسطين قرب بيت المقدس (معجم البلدان). (٤) خزمة: بسكون الزاي عند ابن إسحاق وابن الكلبي، ويتحركها عند الطبري. (٥) في ابن هشام: لبدة بن عمرو بن ثعلبة. (٦) أي لبني سالم بن غنم. (٧) استعد للخروج إلى بدر فنهش قبل أن يخرج فلم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب ومات بحوران - لسنتين ونصف من خلافة عمر - سنة خمس عشرة، وقيل مات في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة (طبقات ابن سعد ٢ / ٦١٦). (٨) أسلمت وحضرت ليلة العقبة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت أحدًا والحديبية وعمرة القضية وحنينا واليمامة وقطعت يدها وقد ضربها ابن قميئة على عاتقها. (٩) من ابن هشام وابن سعد، وفي الاصل خبيب وهو تحريف. (*)

[٢٠٦]

وضربة رضي الله عنها، والآخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدي [بن سنان] (١) بن نايي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنها. باب الهجرة من مكة إلى المدينة قال الزهري عن عروة عن عائشة، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين: " قد أريت دار هجرتكم، أريت سيخة ذات نخل بين لابتين " (٢) فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجع إلى المدينة (٣) من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين. رواه البخاري. وقال أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم: " رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب " وهذا الحديث قد أسنده البخاري في مواضع آخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن أبي كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبي أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله. قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السيارى بمرور حدثنا إبراهيم بن هلال، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا عيسى بن عبيد الكندي، عن غيلان بن عبد الله العامري، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أوحى إلي أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك، المدينة، أو البحرين، أو قنسرين " قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها (٤).

(١) من طبقات ابن سعد، وهي زوجة خديج بن سلامة شهدت معه العقبة فأسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت خيبراً معه صلى الله عليه وسلم. ويقال لها: أم شيبان. (٢) تقدم تخريجه. (٣) في دلائل البيهقي: بعض من كان هاجر. (٤) دلائل النبوة ج ٢ / ٤٥٨، وأخرجه الترمذي في: ٥٠ - كتاب المناقب (٦٨) باب في فضل المدينة ح ٣٩٢٣ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل بن موسى. وفي سند الحديث غيلان ذكره ابن حبان في الثقات ٧ / ٣١١ وقال: يروي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير حديثاً منكراً وروى عنه عيسى بن عبيد قال: إن الله أوحى إلي أن دار هجرتك بالمدينة اه. والحديث رواه البخاري في التاريخ وابن حجر في التهذيب ٨ / ٢٥٤. وقال: في ثبوته نظر لمخالفته ما في الصحيح وقال الزرقاني: صححه الحاكم وأقره الذهبي في تلخيصه، لكنه قال في الميزان: حديث منكراً، ما أقدم الترمذي على تحسينه بل قال غريب. (شرح المواهب ١ / ٣١٨). (*)

[٢٠٧]

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عيسى بن عبيد، عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمر بن جرير، عن جرير. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله أوحى إلي أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك، المدينة، أو البحرين، أو قنسرين " ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار. قلت: وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال: روى عنه أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة والله أعلم. قال ابن إسحاق: لما أذن الله تعالى في الحرب بقوله: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نبيهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) [الحج: ٣٩ - ٤٠] الآية. فلما أذن الله في الحرب وتابعه (١) هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، وللحقوق بإخوانهم من الانصار، وقال: " إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تامنون بها " فخرجوا إليها أرسلالاً وأقام

رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش: من بني مخزوم، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخوانا فعزم إليها. قال ابن إسحاق: فحدثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة [زوج النبي صلى الله عليه وسلم] قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيرة ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرِي، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي - سنة أو قريبا منها - حتى مر بي رجل من بني

(١) في ابن هشام: وبإيعه (*).

[٢٠٨]

عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون (١) هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني، قالت فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجرِي، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم (٢) لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبددار، فقال: إلي أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد ؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا، فقال: والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة (٣) ثم تنحى [عني] إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبنا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدي هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد معا، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته، الحارث وكلاب ومسافع، وعمه عثمان بن أبي طلحة. ودفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبه والدة بني شيبه مفاتيح الكعبة أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل في ذلك قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) الآية [النساء: ٥٨]. قال ابن إسحاق. ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عمار بن ربيعة حليف بني عدي، معه امرأته ليلى بنت

أبي حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير (٤) بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد، أبي أحمد، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة. قال السهيلي: والاول أصح. وكان أبو أحمد رجلا ضريب البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعرا وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. فغلقت دار بني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن

(١) في الاصل: ألا تخرجون من هذه.. الخ وما أثبتناه من ابن هشام. (٢) التنعيم: موضع بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة. (٣) من ابن هشام، وفي الاصل: الشجر. (٤) في ابن هشام والاستيعاب: كثير. (*)

[٢٠٩]

عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبأبا ليس بها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال: وكل دار وإن طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحبوب (١) قال ابن هشام: وهذا البيت لابي دواد الايادي في قصيدة له. قال السهيلي: واسم أبي دواد حنظلة بن شريقي وقيل حارثة. ثم قال عتبة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها. فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من فل بن فل (٢) ثم قال - يعني للعباس - هذا من عمل ابن أخيك، هذا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا. قال ابن إسحاق: فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقاء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالا، قال: وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة هجرة، رجالهم ونساؤهم وهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة بن محصن، وشجاع، وعقبة ابنا وهب، وأريد بن حميرة (٣) ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، وزيد (٤) بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو وربيعه بن أكثم. والزبير بن عبيدة، وتمام بن عبيدة، وسخيرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش. ومن نسائهم زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجدامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وأمنة بنت رقيش، وسخيرة بنت تميم. قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة: ولما رأته أم أحمد غاديا * بذمة من أخشى بغيه وأرهب تقول: فإما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولننا يثرب فقلت لها ما يثرب بمظنة (٥) * وما يشأ الرحمن فالعبد يركب إلى الله وجهي والرسول ومن يقرم * إلى الله يوما وجهه لا يخيب فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب ترى أن وترا نائيا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب (٦) دعوت بني غنم لحقن دماهم * وللق لهما لاج للناس ملحب

(١) الحبوب: التوجع، وقيل: الحاجة وقيل: الحبوب: الاثم. (٢) في ابن هشام: من قل بن قل، وقال: القل: الواحد. (٣) وقال ابن هشام: ويقال ابن حميرة، وفي الاستيعاب: ابن حمير. (٤) في ابن هشام: يزيد. (٥) في ابن هشام: فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا.. (٦) في ابن هشام: نائيا بدلا من نائيا (*).

[٢١٠]

أجابوا بحمد الله لما دعاهم * إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا وكنا
وأصحابا لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأحلبوا كفوجين إما
منهما فموفق * على الحق مهدي وفوج معذب طغوا وتمنوا كذبة
وأزلهم * عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا ورعنا إلى قول النبي محمد
* فطاب ولاة الحق منا وطيبوا نمت بأرحام إليهم قريبة * ولا قرب
بالأرحام إذ لا تقرب فأى ابن أخت بعدنا بأمناكم * وأية صهر بعد
صهري يرقب ستعلم يوما أننا إذ تزايلوا * وزيل أمر الناس للحق أصوب
قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة
حتى قدما المدينة. فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال:
اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام
بن العاص، التناضب (١) من أضاة (٢) بني غفار فوق سرف، وقلنا أننا
لم يصبح عندها فقد حبس، فليعض صاحباه، قال: فأصبحت أنا
وعياش عند التناضب وحبس هشام وقتن فافتتن، فلما قدمنا المدينة
نزلنا في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام
والحارث بن هشام إلى عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما -
حتى قدما إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة،
فكلماه وقالاه: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى
ترتك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها فقلت له: إنه والله
إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك
القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال:
أبر قسم أمي ولي هنالك مال فاخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أنني
لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى
علي إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا فعلت ما
فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها، فإن راك
من أمر القوم ريب فانج عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا
ببعض الطريق قال له

(١) التناضب: قال أبو ذر: بضم الصاد، موضع ومن رواه بالكسر: فهو جمع تنضب: وهو
شجر واحدته تنضبة، وفيه الوقشي بكسر الصاد. وقال السهيلي: " بكسر الصاد كأنه
جمع تنضبة، وهو ضرب من الشجر تألفه الحرياء. وذكره أبو حنيفة في النبات. وقال
ياقوت: تنضب قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ". (٢) أضاة: هي
الغدير يجمع من ماء المطر. يمد ويقصر قاله أبو ذر. وقال السهيلي: الأضاة: الغدير كأنه
مقلوب من وضاعة على وزن فعلة واشتقاقه من الوضاء وهي النظافة، وجمع الأضاة
إضاء. وقال السهيلي: أضاة بني غفار، على عشرة أميال من مكة. أما ياقوت فقال:
موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب، له ذكر في حديث المغازي، وغفار:
قبيلة من كنانة. (*)

[٢١١]

أبو جهل: يا [بن] أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني
على ناقتك هذه ؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استوتوا
بالارض عدوا عليه فأوثقاه رباطا، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن. قال
عمر: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتنن توبة. وكانوا يقولون ذلك
لانفسهم حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنزل
الله: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم، وأنبيوا إلي ربكم
وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تصرون، واتبعوا أحسن
ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا
تتشعرون) [الزمر: ٥٣ - ٥٥] قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام
بن العاص. قال هشام: فلما أتتني جعلت اقرأها بذي طوى (١) أصد
بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، فألقى الله في
قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا،
قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة. وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن
العاص، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة، الوليد [بن الوليد] بن

المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما، فعثر فدميت أصبعه فقال: هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار وبلال. وحدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم. فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل الاماء يقلن: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما قدم حتى قرأت سبحة اسم ربك الأعلى في سور من المفصل. ورواه مسلم في صحيحه من حديث اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصواب ما تقدم (٢). قال ابن إسحاق: ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه

(١) ذو طوى: موضع بأسفل مكة. (٢) الحديث أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب المناقب (٤٦) ح ٣٩٢٥. وذكره المزي في تحفة الأشراف ولم يشير إلى أن مسلما أخرجه. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٤٦٣ وقال: اختلف في قدوم سعد، فقبل كذا - حسب رواية ابن عقبة - وابن أنه ممن قدم المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم راجع الدرر لابن عبد البر ٧٧ - ٧٩. (*)

[٢١٢]

زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقبة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولى بن أبي خولى، ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير إياس وخالد وعافل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زبير (١) في بني عمرو بن عوف بقباء. قال ابن إسحاق: ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم؛ فنزل طلحة بن عبيدالله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف (٢) أخي بلحارث بن الخزرج بالسنع (٣). ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة. قال ابن هشام: وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صلوكا حقيرا فكثير مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم! قال فإني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ربح صهيب، ربح صهيب " (٤) وقد قال البيهقي: حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إملاء - أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أخبرنا عبدان الأهوازي، حدثنا زيد بن الجريش، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا حصين بن حذيفة بن سيفي بن صهيب، حدثني أبي وعمومتي عن سعيد بن المسيب عن صهيب. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانتي حرتين، فإذا أن تكون هجر أو تكون يثرب " قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم بيطنه - ولم أكن شاكيا - فناموا. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرت بريدا (٥) ليردونني فقلت

لهم: إن أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبعتمهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها (٦) أواقى، وإذهبوا إلي فلانة فخذوا الحلتين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء

(١) في ابن هشام: زبير. (٢) إساف: ويقال: بساف. وهو ابن عتبة. ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلماً، بل آخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر (راجع الاستيعاب). (٣) السنح: بعوالي المدينة، بينها وبين منزل النبي صلى الله عليه وسلم ميل (معجم البلدان). (٤) سيرة ابن هشام ج ٢ / ١٢٠ - ١٢١. (٥) من دلائل البيهقي، وفي الاصل: يريدوا ليردونى. (٦) في الدلائل: تحتها. (*)

[٢١٣]

قبل أن يتحول منها، فلما رأي قال: " يا أبا يحيى ربح البيع [ثلاثاً:] (١) فقلت يا رسول الله ما سيقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام (٢). قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفاً حمزة، وأنسة (٣) وأبو كبشة (٤) مولياً رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقاء، وقيل: على سعد بن خيثمة، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم. قال ونزل عبدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين ومسطح بن أثانة وسويط بن سعد بن حريملة أخو بني عبدالدار وطليب بن عمير أخو بني عيد بن فضي، وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقاء ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع (٥)، ونزل الزبير بن العوام وأبو سيرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة، دار بني جحجبي، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاة على سلمة، قال ابن إسحاق وقال الاموي: على خبيب بن أساف أخي بني حارثة، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار. قال ابن إسحاق: ونزل العزاب (٦) من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزبا والله أعلم أي ذلك كان. وقال يعقوب بن سفيان: حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله (٧) عن نافع عن ابن عمر أنه قال: قدمنا [من] مكة فنزلنا العصبة، عمر بن الخطاب وأبو عبدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لانه كان أكثرهم قرأنا.

(١) من الدلائل. (٢) أخرج الجزء الاول منه البخاري في ٣٩ كتاب الكفالة. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٤٠٠ وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجه، ووافق الذهبى. (٣) أنس: من مولدي السراة، يكنى أبا مسروح شهد بدرا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة أبي بكر. (٤) أبو كبشة: واسمه سليم من فارس وقيل غير ذلك. شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر، وهو غير أبي كبشة الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه. (٥) في ابن هشام زاد: أخي بلحارث بن الخزرج، في دار بلحارث بن الخزرج. (٦) في شرح السيرة لابي ذر: الاعزاب وهو أصح. (٧) الخبر في دلائل البيهقي ٢ / ٤٦٣ وفيه: عبد الله مكان عبيدالله. والعصبة: موضع بقاء. وما بين معكوفتين زيادة من الدلائل. (*)

[٢١٤]

فصل في سبب هجرة (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة قال الله تعالى: (وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) [الاسراء: ٨٠] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الانصار والاحباب، فصارت له دارا وقرارا، وأهلها له أنصارا. قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة: عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان (٢) عن أبيه عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأمر بالهجرة وأُنزل عليه: (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) (٣) وقال قتادة: (أدخلني مدخل صدق) المدينة (وأخرجني مخرج صدق) الهجرة من مكة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) كتاب الله وفرائضه وحدوده (٤). قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن (٥)، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً " فيطمع أبو بكر أن يكونه. فلما رأته قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدتهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم

(١) أنظر في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة: ابن هشام ١٢٣ / ٢ وما بعدها. ابن سعد ٢٢٧ / ١ وما بعدها. صحيح البخاري ٥ / ٥٦ الطبري ٢ / ٢٥٣ وما بعدها دار القاموس. أنساب الأشراف ١ / ١٢٠ عيون الأثر ١ / ٢٢١ تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٢١٨ النويري ١٦ / ٣٣٠. الدرر لابن عبد البر (ص ٨٠). (٢) قابوس بن أبي ظبيان، وفي نسخة: طهمان، ذكره ابن حبان في المجروحين وقال: كان ردى الحفظ ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، ربما رفع المراسيل وأسنده الوقوف. وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير. وقد روى هذا الحديث مرسلًا عن ابن عباس. (٣) أخرجه الترمذي في ٤٨ كتاب تفسير القرآن - باب تفسير سورة الاسراء ح ٣١٣٩ عن أحمد بن منيع. وقال: هذا حديث صحيح حسن. (٤) زاد البيهقي: فإن السلطان عزة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لا غار بعضهم على بعض وأكل شديدتهم ضعيفهم ٢ / ٥١٧ وأضاف القرطبي على رواية البيهقي قال: وقال الضحاك: هو خروجه من مكة، ودخوله مكة يوم الفتح (١٠ / ٣١٢). (٥) في ابن سعد: أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج. (*)

[٢١٥]

قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها - يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه. قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبير (١) عن عبد الله بن عباس. وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس. قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه بثلة (٢) فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد (٣) سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا. قالوا أجل فادخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش عتبة وشيبة [ابنا ربيعة] (٤) وأبو سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم بن عدي، والحارث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأميه بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال

بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنما والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم - قيل إنه أبو البخترى بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنايعة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأيي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأيي. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت (٥). قال الشيخ

(١) من شرح السيرة لابي ذر: جبير، وما في الاصل " جبر " وهو تحريف. (٢) البتلة: كساء غليظ، وفي رواية ابن بكير عن ابن اسحاق: في بت قال البيهقي: والبت: الكساء. وقيل الطيلسان من خز، وفي تهذيب اللغة: البت ضرب من الطبالسة يسمى الساج مربع غليظ أخضر. وجمعه: أبت، وبتات وبتوت. قال الجوهرى في الصحاح: البتي الذي يعمله. (٢) علق السهيلي علي قوله شيخ من أهل نجد قال: " وإنما قال لهم، إنني من أهل نجد، فيما ذكر بعض أهل السيرة، لانهم قالوا، لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لان هواهم مع محمد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدى، وقال: قيل لمعنى آخر تمثل بهينة شيخ نجدى " ا. هـ. (٤) من ابن هشام والبيهقي. (٥) صاحب هذا الرأي: أبو الأسود ربيعة بن عامر، أحد بني عامر بن لؤي. (*)

[٢١٦]

النجدي: لا والله ما هذا لكم برأيي ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب (١)، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا (٢) فيه رأيا غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: أرى أن تأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، قال يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره (٣) فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على يابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: " نم على فراشي وتسج (٤) ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فم فيه فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام. وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيد عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم. قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على يابه - إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنات كجنات الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها. قال فخرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: " نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم " وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم) إلى قوله: (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) [يس: ١ - ٩] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع

(١) في رواية البيهقي: على قبيلة من قبائل العرب. (٢) في ابن هشام: دبوا (٣) وقال ابن الكلبي في جمهرة الانساب: أن إبليس لما حمد رأي أبي جهل قال: الرأي رأيت: رأي ليس يعرفه * هاد ورأي كفضل السيف معروف يكون أوله عز ومكرمة * يوما، وأخره جد وتشريف (٤) تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه. (*)

[٢١٧]

على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم أت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنظرون ههنا ؟ قالوا محمدا، فقال خبيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مستجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا (١) فقام علي عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا. قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) [الانفال: ٣٠] وقوله: (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين) [الطور: ٣٠] قال ابن إسحاق فأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة. باب هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أول التاريخ الاسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمرية كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين. قال البخاري: حدثنا مطر بن الفضل، ثنا روح، ثنا هشام (٢)، ثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة، فمكث فيها (٣) ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقد

(١) قال في الروض الأنف ١ / ٢٩٢ روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل يس، أنها: إن قرأها خائف أمن، أو جائع شبع، أو عار كسي أو عاطش سقي.. وعلل امتناعهم من الدخول إليه صلى الله عليه وسلم قال: وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقم عليه في الدار، إنهم هموا بالولوج عليه - وإنهم إنما جاءوا لقتله - فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسبية في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا.. فأصبحوا ينتظرون خروجه - على باب الدار - (٢) روح بن عبادة، وهشام بن حسان. (٣) في البخاري ورواية البيهقي: بمكة بدلا من فيها. والحديث أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار (٤٥) باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ح ٣٩٠٢ فتح الباري ٧ / ٢٢٧ والبيهقي في الدلائل ٢ / ١٢١. (*)

[٢١٨]

كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الامام أحمد عن

ابن عباس أنه قال: ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين (١). قال محمد بن إسحاق: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له: لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعني نفسه، فابتاع راحلتين (٢) فاحتبسهما في دار يعلفهما إعداداً لذلك. قال الواقدي: اشتراهما بثمانمائة درهم. قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لامر حدث! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخرج عني من عندك" قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي (٤)، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ قال: "إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة" قالت: فقال أبو بكر: الصحة يا رسول الله؟ قال: "الصحة" قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي. ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أرقط (٥) قال ابن هشام: ويقال عبد الله بن أريقط. رجلا من بني الدئل بن بكر، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلها على الطريق ودفعاً إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، وكان

(١) تقدم تخريجه في هذا الجزء فليراجع. (٢) قال البيهقي: ٢ / ٤٧٢: وعلف راحلتين، كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر. وفي ابن سعد: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم - عن محمد بن عمر - من نعم بني قشير. (٣) في ابن هشام: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي. (٤) في البخاري: إنما هما أهلك. وقد كان أبو بكر قد أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك. (٥) من ابن هشام، وفي الاصل أرقط. وقال الزرقاني في شرح المواهب ١ / ٣٣٩: رقيط، وهو من بني الدئل وقيل الدئل كما في فتح الباري. وكان على دين الكفار ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم المقدسي وتبعه النووي، وقال في الاصابة: لم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد وعند السهيلي ١ / ٨: لم يكن مسلماً إذ ذاك ولا وجدنا من طريق صحيحة أنه أسلم بعد ذلك. (*)

[٢١٩]

رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته. قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [الخروج] (١) أتى بأبكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته. وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق. قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: "الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والأيام. اللهم أصحبي في سفري. واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذلني. وعلى صالح خلقي فقومني، وإليك رب

فحبيني، وإلى الناس فلا تكنني، رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ
بوجهك الكريم الذي أشرق له السموات والأرض، وكشفت به
الظلمات، وصلاح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تجل علي غضبك،
وتنزل بي سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نعمتك، وتحول
عافيتك وجميع سخطك. لك العقبي (٢) عندي خير ما استطعت، لا
حول ولا قوة إلا بك ". قال ابن إسحاق: ثم عمدا إلى غار بثور - جبل
بأسفل مكة - فدخله، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع
لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في
ذلك اليوم من الخير. وأمر عامر بن فهيرة (٣) مولاة أن يرعى غنمه
نهاره، ثم يريحها عليهما [يأتيهما] إذا أمسى في الغار. فكان عبد
الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأمرون به،
وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ثم
يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى في
رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا.
فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن
فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه. وسياأتي في سياق البخاري ما يشهد
لهذا وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر عليا أن يده
على مسيره ليلحقه، فلحقه في أثناء الطريق. وهذا غريب جدا
وخلاف المشهور من أنهما خرجا معا. قال ابن إسحاق: وكانت أسماء
بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمسيت بما
يصلحهما، قالت أسماء: ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب
أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت:
لا أدري والله أين أبي. قالت فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا خبيثا -
فلطم خدي لطمة طرح منها

(١) من ابن هشام. (٢) من أبي نعيم، وفي الاصل العقبي. (٣) عامر بن فهيرة، مولى
أبي بكر الصديق، وكان مولدا من مولدي الازد. أسلم وهو مملوك، فاشترته أبو بكر
واعتقه، شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بدر معونة. قتله عامر بن الطفيل (*)

[٢٢٠]

قرطي ثم انصرفوا. قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد
الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله
معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه،
قالت: فدخل علينا جدي أبو فحافة - وقد ذهب بصره - فقال: والله
إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت: كلا يا أبة إنه قد
ترك لنا خيرا كثيرا، قالت وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت
الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده
فقلت يا أبة ضع يدك على هذا المال. قالت فوضع يده عليه فقال: لا
بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا
والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك. وقال ابن
هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن
البصري. قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى
الغار ليلا، فدخل أبو بكر قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس
الغار لينظر أفيه سبع أو حية، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه. وهذا فيه انقطاع من طرفيه. وقد قال أبو القاسم البغوي
حدثنا داود بن عمرو الضبي، ثنا نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي
مليكة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور،
فجعل أبو بكر يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة، وخلفه
مرة. فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: إذا كنت
خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى

من خلفك، حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك. قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شئ يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحاق، أنا موسى بن الحسن ثنا عباد، ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين. قال: ذكر رجال على عهد عمر فكانهم فضلوا عمر على أبي بكر. فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟ " فقال: يا رسول الله اذكر الطلب، فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك. فقال: " يا أبا بكر لو كان شئ لأحببت أن يكون بك دوني؟ " قال: نعم، والذي بعثك بالحق [ما كانت لتكون من ملامة إلا أحببت أن تكون لي دونك] (١). فلما انتهى إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار،

(١) ما بين معكوفين سقطت من الاصل واستدركت من دلائل البيهقي ج ٢ / ٤٧٧.
(*)

[٢٢١]

فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان [في أعلاه] (١) ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ [الجحرة]. فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. وقد رواه البيهقي من وجه آخر (٢) عن عمر وفيه: أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة، وخلفه أخرى، وعن يمينه وعن شماله. وفيه أنه لما حفيت رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم حملة الصديق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجرة كلها. وبقي منها جحر واحد، فألقمه كعبه فجعلت الافاعي تنهشه ودموعه تسيل. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحزن إن الله معنا " وفي هذا السياق غرابة ونكارة. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالوا: ثنا أبو العباس الاصم، ثنا عباس الدوري، ثنا أسود بن عامر: شاذان، ثنا اسرائيل، عن الاسود عن جندب بن عبد الله. قال: كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، فأصاب يده جحر فقال: إن أنت إلا أصعب دميت * وفي سبيل الله ما لقيت (٣) وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) (٤) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم بل اقتلوه. وقال بعضهم بل أخرجه. فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أصبحوا ثاروا عليه، فلما رأوا عليا رد الله عليهم مكربهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري. فافتقوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا لو دخلها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه. فمكث فيه ثلاث ليال. وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج

العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر: حدثنا بشار الخفاف

(١) من دلائل البيهقي. (٢) رواه من طريق فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن الفزاري. عن عمر. (٣) رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤٨٠ رواه ابن مردويه عن جندب بن عبد الله البجلي. (٤) الانقال ٣٠، قال القرطبي في أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: (والله خير الماكرين): المكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون وقال الزمخشري في الكشاف: أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب. وفي النهاية ٤ / ١٠٣: مكر الله: إيقاع بلائه بأعدائه. وقال العسكري في الفروق اللغوية: إن الكيد والمكر متغايران والشاهد أن الكيد يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف. فيقال كاده يكيد ومكر به ولا يقال مكره والذي يتعدى بنفسه أقوى. (*)

[٢٢٢]

ثنا جعفر وسليمان (١) ثنا أبو عمران الجوني، حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار. وجاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوا علي باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أثل (٢) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا " وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الغار. وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى وروى هذا الرجل - أعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي - [عن] عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر. قال لابنه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا. وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول: نسج داود ما حمى صاحب الغار * وكان الفخار للعنكبوت وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضا، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول: فغمى عليه العنكبوت بنسجه * وظل على الباب الحمام يبيض والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا عمرو بن علي، ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب بعوين (٣) - حدثني أبو مصعب المكي. قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم تستره (٤)، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتیان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقبة بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله. فقال الفتیان: أنت لم تخطئ منذ الليلة.

(١) لعله جعفر بن سليمان الضبيعي. (٢) آل المريض: حن ورفع صوته عند ابتلائه بالمصيبة. (٣) الاصل: عوين. (٤) في رواية قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، حيث ألف كتابا في شرح الحديث سماه الدلائل وجاء فيه: هذا على ما ذكره السهيلي في الروض الأنف ٣ / ٤: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار، وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الرأفة، وهي شجرة معروفة، فحجبت عن النار أعين الكفار. والرأفة شجرة مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض كالريش. (*)

حتى إذا أصبحوا (١) قال: أنظروا في الغار، فاستيقه القوم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر خمسين ذراعاً، فإذا الحمامتان، فرجع (٢) فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بغم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما، فسمت عليهما - أي برك عليهما وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى (٣). وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله. وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقه بن مالك المدلجي وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة. قلت: ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر والله أعلم. وقد قال الله تعالى: "إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه (٤) وأيده بنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) [التوبة: ٤٠] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول: (إلا تنصروه) أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا) من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال: (ثاني اثنين إذ هما في الغار) أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهما، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقه بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يملون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما. كما قال الامام أحمد: حدثنا عفان، ثنا همام أنا ثابت، عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه. قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار. لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا تحت قدميه؟ فقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث همام به (٥). وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا

(١) في الاصل: أصبحن وهو تحريف. (٢) في الاصل: ترجع، وهو تحريف. (٣) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي في الدلائل ٢ / ٤٨٢ وابن سعد ١ / ٢٢٩ وكلهم عن أبي مصعب المكي. (٤) قال القرطبي في تفسيره قوله تعالى: (فأنزل الله سكينته عليه) أي على أبي بكر بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم له فسكن جاشة (جاشته) وذهب روجه ٨ / ١٤٨. (٥) أخرجه البخاري في ٦٢ كتاب فضائل الصحابة (٢) باب مناقب المهاجرين ح ٣٦٥٣ وأعادته في ٦٣ كتاب الانصار باب (٤٥). وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير. تفسير سورة التوبة ح ٣٠٩٦ والامام أحمد في مسنده ١ / ٤.

بكر لما قال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من هنا" فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه. وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صح أو حسن سنده قلنا به. والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن

أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية. ثم قال البزار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم. قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه. وقد ذكر بونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن الصديق قال في دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقته كما سيأتي شعرا. فمنه قوله: قال النبي - ولم أجزع - يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا * وقد توكل لي منه بإظهار وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جدا، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير. قال فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الانصار - بقية ذي الحجة والمجرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يحبسوه. أو يخرجوه فأطلع الله على ذلك فأنزل عليه: (وإذ يمكر بك الذين كفروا) الآية. فأمر عليا فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه، وإن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار وكان ليلا. وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضا. وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل. قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار: بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة (٢) وهو سيد القارة، فذكرت ما كان من رده لابي بكر إلى مكة وجواره له

(١) برك الغماد: موضع بناحية اليمن مما يلي ساحل البحر، وقال ابن فارس: يضم الغين، وقيل: موضع بأقاضي هجر وقيل وراء مكة بخمس ليال. (٢) ابن الدغنة: ربيعة بن رفيع بن اهبان بن ثعلبة السلمى، سمي باسم امه - الدغنة - شهد حينئذ ثم قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني تميم. (*)

كما قدمناه عند هجرة الحبشة، إلى قوله فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله. قالت والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: " إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين: وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر مهاجرا قبل المدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " علي رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي " فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - (١) أربعة أشهر، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر. قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في حر (٢) الظهيرة، فقال قائل لابي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم [مقبلا] (٣) متفتحا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أخرج من عندك " فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: فإنه قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي، قال النبي صلى الله عليه

وسلم: " نعم " ! قال أبو بكر: فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن (٤). قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين (٥). قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكنا (٦) فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج (٧) من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كباث، لا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر

(١) كذا في الاصل، وفي النهاية لابن الاثير: السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح، وأما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها. (٢) في دلائل البيهقي: نحر الظهيرة: أي في أول وقت الحرارة، وهي المهاجرة، ويقال أول الزوال، وهو أشد ما يكون من حر النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها. (٣) من البيهقي. (٤) بالثمن: أي لا أخذها إلا بالثمن، وفي رواية ابن إسحاق: لا أركب بعيرا ليس هو لي، قال: فهو لك، قال: لا، ولكن بالثمن الذي ابتعته، قال: أخذته بكذا وكذا، قال: هو لك. وفي رواية الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر: قال بئمنها. وقد تقدم عن الواقدي أن ثمنها ثمانمائة اشتراها من نعم بني قشير. فأخذ إحداهما وهي القصواء. وأخرج ابن حبان: أنها الجذعاء. (٥) النطاق: كل شئ شددت به الوسط، وسميت ذات النطاقين: لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق، وقيل: كان لها نطاقان، تلبس أحدهما، وتحمل في الآخر الزاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار. (٦) في البخاري والبيهقي: فكما. (٧) يدلج: يخرج بالسحر، يقال أدلج: إذا سار في أول الليل، وأدلج: إذا سار في آخره. (*)

[٣٣٦]

منحة (١) من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدئل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا (٢) - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل (٣). قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم. يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقه إنني رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه. قال سراقه: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة (٤) ثم قمت فدخلت [بيتي] (٥) فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت، فخططت بزجه (٦) الارض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ففرت بي (٧) حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت بدا فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لاثر يديها غبار (٨) ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزام فخرج الذي أكره،

(١) منحة من غنم، أي غنم فيها لبن، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقا لا قرصا ولا عارية. (٢) قال الخطابي: الخريت مأخوذ من خرت الابرّة كأنه يهتدي لمثل خرتها من الطريق، وخرت الابرّة بالضم ثقبها، قال الكسائي: خرتنا الارض إذا عرفناها ولم تخف علينا طرقها. وقال ابن الأثير في النهاية: الخريت الماهر الذي يهتدي لأخوات المفازة، وهي طرقها الخفية. (٣) أخرجه البخاري بطوله في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٤٥ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرج جزءا منه في كتاب الصلاة، وفي كتاب الاجارة وفي كتاب الكفالة.. وفي مواضع أخر مقاطع مختصرة. (٤) وفي رواية البيهقي: ثم قل ما لبث في المجلس. (٥) من البيهقي. (٦) الزج: الحديد التي في أسفل الرمح. (٧) في البيهقي: فركبتها فرفعتها تقرب. والتقريب: السير دون العدو، وفوق العادة، وقيل: أن ترفع الفرس بديها (بيديها) معا، وتضعهما معا. (٨) في البيهقي: عثان، وهو الدخان. (*)

[٢٢٧]

فناديتهم الامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت من الحبس عنهم (١) أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قالوا: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من آدم. ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢). وقد روى محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالازلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالازلام ويخرج الذي يكره لا يضره. حتى ناداهم بالامان. وسأل أن يكتب له كتابا يكون أمانة (٣) ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فكتب لي كتابا في عظم - أو رقعة أو خرقه - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة (٤) مرجعه من الطائف، فقال له: " يوم وفاء وبر، أدنه " فدنوت منه وأسلمت. قال ابن هشام: هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيد. ولما رجع سراقة جعل لا يلقي أحدا من الطلب إلا رده وقال: كفيتم هذا الوجه، فلما ظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى المدينة. جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من قضية جواده، واشتهر هذا عنه. فخاف رؤساء قريش معرفته، وخشوا أن يكون ذلك سببا لاسلام كثير منهم، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أو جهل - لعنه الله - إليهم: بني مدلج إنني أخاف سفيهكم * سراقة مستغو لنصر محمد عليكم به ألا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسؤدد قال: فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا: أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي إذ تسوخ قوائمه عجبت ولم تشكك بأن محمدا * رسول وبرهان فمن ذا يقاومه (٥)

(١) في البيهقي: عنهما، والرواية بالمتنى. (٢) أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار (٤٥) باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ح ٣٩٠٦. ورواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٤٨٦ - ٤٨٧. (٣) في ابن هشام: آية. (٤) الجعرانة: بكسر أوله: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب. (٥) في السهيلي: علمت بدل عجبت، ببرهان: بدلا من وبرهان. (*)

[٢٢٨]

عليك فكف القوم عنه فإنني * أخال لنا يوما ستبدو معالمه (١) بأمر تود النصر فيه فإنهم * وإن جميع الناس طرا مسالمة (٢) وذكر هذا الشعر الاموي في مغازيه بسنده عن أبي اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتا تتضمن كفرا بليغا. وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام [إلى مكة] (٣)، فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أوا إلى بيوتهم أوفى (٤) رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمير ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبياضين يزول (٥) بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته: يا معشر العرب (٦) هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين (٧) من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة (٨) عشرة ليلة وأسسى المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مريدا للتمر لسهيل وسهل (٩) غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال

(١) في الروض الانف: أرى أمره يوما ستبدو معالمه. (٢) في الروض: صدره بأمر يود الناس فيه بأسرهم. (٣) من دلائل البيهقي. (٤) أوفى: صعد إلى مكان عال وأشرف منه على ما تحته. (٥) قال ابن حجر، يزول بسبب عروضهم له، وفي رواية: يلوح بهم. (٦) وفي رواية: يا بني قبيلة، وهي جدة الانصار: والدة الاوس والخزرج. (أنظر شرح المواهب ١ / ٢٥٠). (٧) منهم من يقول لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول، والحديث المعروف لاثنين عشرة خلت منه، وقيل لثمان خلون وقال أبو سعيد في شرح المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم: ثلاث عشرة من ربيع الاول، وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال. وعن عبد الرحمن بن عويم قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه لبث فيهم ثمان عشرة ليلة (البيهقي ٢ / ٥١٢). (٨) في رواية البيهقي: ثلاث ليال. وفي ابن سعد: أربع عشرة ليلة. وفي البيهقي عن ابن إسحاق: أقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس. (٩) وهما ابنا رافع بن أبي عمرو بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وفي البيهقي إنهما كانا في حجر معاذ = (*)

[٢٢٩]

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته: " هذا إن شاء الله المنزل"، ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمريد ليتخذ مسجدا، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما (١). ثم بناه مسجدا. فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول حين ينقل اللبن: هذا الحمال لا حمال خبير * هذا أبر ربنا وأطهر ويقول: لا هم إن الاجر أجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة (٢) فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الاحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه

الآيات. هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم (٣)، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتبا أولا فأولا. قال الامام أحمد: حدثنا عمرو بن محمد، أبو سعيد العنقري، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلي. فقال: لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فادلجنا فاحتثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهرية، فضربت بصري هل أرى ظلا ناوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية

= ابن عفراء وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها ومات في خلافة عمر، ولم يشهد سهيل بدرا وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل. وقال الواقدي: عن الزهري: كانا في حجر أسعد بن زرارة. وفي سيرة ابن هشام: قال معاذ: هما يتيمان لي. وفي رواية أخرى عنده: وهما في حجر معاذ بن عفراء. (١) في رواية البيهقي: قال معاذ بن عفراء: سارضيهما منه فاتخذ مسجدا، وقال قائلون: اشتراه. وقال الواقدي: ابتاعه منهما بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك. (٢) وفي السيرة لابن هشام: وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون: لا عيش إلا عيش الأخرة * اللهم ارحم الانصار والمهاجرة قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عيش إلا عيش الأخرة اللهم ارحم المهاجرين والانصار. (٣) أخرجه البخاري في ٦٢ كتاب مناقب الانصار ٤٥ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتح الباري ٧ / ٢٢٩ وإنظر في بناء هذا المسجد: طبقات ابن سعد ١ / ٢٢٩ سيرة ابن هشام: ٢ / ١٤١ صحيح البخاري الجزء الاول. الطبري تاريخه ٢ / ٢٩٥ وابن عبد البر في الدرر (٨٨) وسبل الهدى ٣ / ٤٨٥ ونهاية الارب للنويري ١٦ / ٣٤٤ وغيرها كثير. (*)

[٢٣٠]

ظلمها، فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحدا من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش - فسيماه فعرفته - فقلت هل في غنمك من لبن؟ قال نعم! قلت هل أنت حالب لي؟ قال نعم! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعني إداوة على فمها خرقة فحلب لي كنية (١) من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته وقد استيقظ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت، ثم قلت هل أن الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركننا أحد منهم إلا سراقبة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ قال: " لا تحزن إن الله معنا " حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح - أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة - قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ وبكيت، قال لم تبيكي؟ [قلت] أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " اللهم اكفناه بما شئت " فسلخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لاعمين على من ورأني من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستتمر بابلبي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا حاجة لي فيها " ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى قدمنا المدينة [ليلا] (٢) وتلقاه الناس فخرجوا في الطريق على الاناجير (٣) واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء محمد، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك " فلما أصبح غدا حيث أمر. قال

بكر، وعبد الله بن أرقد (١) كذا يقول ابن إسحاق، والمشهور عبد الله بن أريقط الدثلي. وكان إذ ذاك مشركا. قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج (٢)، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديدا (٣)، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار (٤) ثم أجاز بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقسفا (٥)، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبتن بهما مدلجة مجاج (٦) ثم سلك بهما مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين، ثم بطن ذي كشد (٧)، ثم أخذ بهما على الجداد (٨)، ثم على الاجرد (٩)، ثم سلك بهما ذا سلم، من بطن أعداء مدلجة تعهن (١٠)، ثم على العبايد، ثم أجاز بهما القاحة. ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيذة، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة - ويقال ثنية العائر فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قدم بهما] (١١) قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضياء وكادت الشمس تعتدل. وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدى نحو ما ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها والله علم قال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن حيلة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن السراج، حدثنا محمد بن عبادة بن موسى العجلي، حدثني أخي موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار، حدثني

(١) في ابن هشام: أرقط. وقد تقدم التعليق عليه. (٢) أمج: بلد من أعراض المدينة، وقيل واد يأخذ من حرة بني سليم. (معجم البلدان). (٣) قديدا: اسم موضع قرب مكة، وفي معجم ما استعجم: أن هذه القرية سميت قديدا لتعدد السيول بها، وهي لخراصة. (٤) الخرار: موضع بالحجاز، وقيل واد أو ماء في المدينة (معجم البلدان). (٥) لقف: ماء وأبار كثيرة، وقيل واد من ناحية السواريقية على فرسخ. (٦) مجاج: قال ياقوت والصحيح عندنا غير ذلك - قال الزبير بن بكار: وهو مجاج بفتح الميم. (٧) كشد: كذا بالأصل، وفي ياقوت كشر. بين مكة والمدينة. (٨) جدا جد: يجوز أن يكون جمع جدد، وهي البئر القديمة، وهي هنا الأرض المستوية الصلبة. (معجم البلدان). (٩) الاجرد: اسم جبل من جبال القبليّة، قال نصر: بين المدينة والشام (معجم البلدان). (١٠) تعهن: اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة. (١١) ما بين معكوفين سقط من الاصل واستدرك من سيرة ابن هشام. (*)

إياس بن مالك بن الاوس الاسلامي عن أبيه. قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لمن هذه الابل ؟ " فقالوا لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: " سلمت إن شاء الله، فقال ما اسمك ؟ " قال مسعود، فالتفت إلى أبي بكر فقال: " سعدت إن شاء الله ". قال فأتاه أبي فجمله على جمل يقال له ابن الرداء. قلت: وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين. والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لانه أقام بغار ثور ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة، قال ابن هشام. وقال يونس عن ابن إسحاق: اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم. وقال الاموي: هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس (٢) بن حرام بن

خبيسة بن كعب بن عمرو، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد، واسمه أكرم (٣) بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنييس، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا. وهذه قصة أم معبد الخزاعية: قال يونس عن ابن إسحاق: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف (٤) بن معبد بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القرى فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله، وحلب في العس حتى أرغى وقال: " اشربي يا أم معبد " فقالت: اشرب فأنت أحق به فرده عليها فشربت، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامرا، ثم تروح. وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا: أرأيت محمدا من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها. فقالت: ما أدري ما تقولون، قدمنا فتى حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذي نريد. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن عتبة، بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، ثنا أبي عن أبيه عن جابر. قال: لما

(١) في ابن سعد ضبييس وفي الاصابة خبييس. قال السهيلي: اسمها عاتكة بنت خلد إحدى بني كعب من خزاعة وهي أخت حبيش بن خلد، وولد الأشعر أبوهما هو بن خفيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبييس بن عزم بن حبشية بن كعب بن عمرو. وذكرها ابن سعد قال: عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبييس بن حرام.. من خزاعة: (٢) في ابن سعد: اسمه تميم، وهو ابن عمها عبد العزى وذكر تمام نسيهما وكان منزلهما بقديد. (٣) في البيهقي: خالد بن منقذ بن ربيعة. (*)

[٢٢٤]

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار، إذا في الغار حجر فآلقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء. فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فأرسلت إليه أم معبد إنني أرى وجوها حسانا، وإن الحي أقوى على كرامتكم مني، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أردد الشفرة وهات لنا فرقا " يعني القدح فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد. قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فلما القدح فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد. ثم قال البزار لا نعلمه يروي إلا بهذا الاسناد. وعبد الرحمن بن عتبة لا نعلم أحدا حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفا في النسب. وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الاصبهاني، سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه]. قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتبهنا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحيا فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبد الله ! إنما أنا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى، قال فلم يجيبها وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز [لها] يسوقها، فقالت: يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " انطلق بالشفرة وحنني بالقدح " قال إنها قد عزبت وليس بها لبن، قال انطلق، [فانطلق] فجاء بقدح فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها، ثم حلب حتى ملا القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رويت،

ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى. ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم [قال] فيتنا ليلتنا، ثم انطلقنا. فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال أو ما تدرين من هو؟ قالت: لا، قال هو نبي الله. قالت: فأدخلني عليه. قال: فأدخلها فأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهها - زاد ابن عبدان (١) في روايته - قالت فدلني عليه، فانطلقت معي وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من أقط ومتماع الاعراب. قال فكساها وأعطاهها. قال: ولا أعلمه إلا قال وأسلمت (٢). إسناد حسن. وقال البيهقي: هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد، والظاهر أنها هي والله أعلم (٣). وقال

(١) أحد إسناد رواية البيهقي. واسمه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان. (٢) قال الواقدي وغيره أنها تأخرت في إسلامها وبيعتهما إلى أيام عمر بن الخطاب، وكان ذلك بعد سنة ثمانين عشرة (الطبقات ٨ / ٢٨٩). (٣) دلائل البيهقي ٢ / ٤٩١ - ٤٩٢ وقال: وقد ذكر ابن اسحاق من قصة أم معبد شيئا يدل على أنها وهذه واحدة. (*)

[٢٢٥]

البيهقي (١) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي. قالوا: ثنا أبو العباس الاصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر (٢) بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبجر بن الصباح (٣) عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد امرأة بزة (٤) جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة (٥) فتطعم وتسقى، فسألوها هل عندها لحم أو لبن (لبن) يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك. وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى، وإذا القوم مرملون مستنون (٦). فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا شاة في كسر خيمتها، فقال: " ما هذه الشاة يا أم معبد؟ " فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: فهل بها من لبن؟ قالت هي أجهد من ذلك. قال تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بأناء لها يريض الرهط فتفاجت واجترت فحلب فيها ثجا حتى ملاه (٧) فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل، حتى إذا رويوا شربوا آخرهم وقال " ساقى القوم آخرهم " ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزنا عجافا يتساوكن (٨) هزلى لا نقى بهن، مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوية في البيت والشاء عازب (٩)؟ فقالت: لا والله

= وانظر الروض الأنف ٢ / ٨ وشرح السيرة لابي ذر ١ / ١٣٦ والسيرة الشامية ٢ / ٢٥٠. (١) في دلائل البيهقي - باب حديث أم معبد - روى البيهقي حديثا طويلا من طرق ثلاث كلها عن حبيش بن خالد أخو عاتكة - أم معبد ج ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ولم يرد في روايته من طريق أبي معبد، ولعل ابن كثير وهم في إسناد هذه الرواية إلى البيهقي، والرواية التالية - والتي رواها ابن سعد في الطبقات ١ / ٢٣٠ عن أبي معبد قريبة جدا من رواية البيهقي. (٢) في ابن سعد: محمد بن بشر بن محمد السكري. (٣) في ابن سعد: الحر بن الصباح. (٤) امرأة بزة: يريد أنها خلا لها سن فهي تبرز، ليست بمنزلة الصغيرة المحجوبة، والبرزة إذا كانت كهلة لا تحجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عاقلة تجلس للناس وتحدثهم، من البروز وهو الظهور. (٥) كذا في

الاصل وابن سعد وفي رواية البيهقي: القبة. (٦) مرملون: أصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل، يريد قد نفذ زادهم. مستنون، وتروى مشتون أي دخلوا في الشتاء. ومستنون: أي داخلون في السنة وهي الجذب والمجاعة. (٧) هكذا في الاصل حتى ملاء، وفي الكلام نقص، وفي ابن سعد: حتى عليه الشمال. وفي البيهقي: حتى علاه البهاء: أي بهاء اللين، وهو وبيص رغوته، يريد أنه ملاءها. (٨) في ابن سعد: ما تساوق. والتساوق: السير الضعيف، وقيل رداءة المشي قال الأزهرى: تقول العرب: جاءت الغنم تساوك: أي تتمايل من الهزال والضعف في مشيها. (٩) الشاء العازب: أي بعيدة عن المرعى لا تأوي المنزل في الليل.

[٢٣٦]

إنه مر بنا رجل ملوك كان من حديثه كيت وكيت. فقال صفيه لي فوالله إني لا راه صاحب قريش الذي تطلب. فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاعة. حسن الخلق مليح (١) الوجه لم تعيه تجلة (٢) ولم تزر به صعلة قسيم وسيم في عينيه دجج، وفي أشفاره وطف (٣)، وفي صوته صحل (٤). أحول أكحل أرح أقرن في عنقه سطع وفي لحيته كثائة. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر (٥) كأن منطقة خرزات نظم ينحدرون، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب. ربعة لا تنساه (٦) عين من طول، ولا تقتحمه (٧) عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنصر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدا (٨) له رفقاء يجفون به إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لامره. محفود (٩) محشود، لا عابس ولا معتد (١٠) فقال يعني بعلمها: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه، ولا جهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول: جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد (١١) هما نزلا بالبر وارتحلا به (١٢) * فأفلح من أمسى رفيق محمد

(١) في ابن سعد: متبلج الوجه، وفي البيهقي: أبلج الوجه. (٢) وفي البيهقي: نحلة. والنحلة: أي ضخم البطن. والنحلة والنحلة: بمعنى: الدقة والضمير والنحول. وصعلة: صغر الرأس. (٣) في البيهقي عطف، قال القتيبي: سألت عنه الرياشي فقال: لا أعرف العطف. وأحسبه قال عطف: وهو أن تطول الأشعار ثم تنعطف، وقال: وتروى وطف: وهو الطول. (٤) صهل، كما في ابن سعد وفي البيهقي صهل. هما واحد: أي كالبيحة وهو أن لا يكون حادا. (٥) فصل لانزر ولا هذر: أي وسط ليس بقليل ولا كثير. (٦) في ابن سعد: ربعة لا تنشؤه من طول. وفي البيهقي: ربعة لا بأس من طول: يحتمل أن يكون معناه: إنه ليس بالطويل الذي يؤسس مباره عند مطاولته، ويحتمل أن يكون تصحيفا، قال البيهقي: وأحسبه: لا بائن من طول. (٧) لا تقتحمه عين من قصر: لا تحتقره ولا تزدرية. (٨) في ابن سعد والبيهقي: فدرا. (٩) محفود: مخدوم، محشود: من حشد: أي إذا أردت أنك أعددت له وجمعت. وقيل: حشده أصحابه: أطافوا به. (١٠) في ابن سعد: لا عابث ولا مفند، وفي البيهقي: لا عابس ولا مفند. (١١) في البيهقي: قالا مكان حلا: من القيلولة. (١٢) في البيهقي: هما نزلاها بالهدى واهدت به فقد فار.

[٢٣٧]

فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسؤدد (١) سلوا أختكم عن شاتها وإناتها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مرید فغادره رهنا لديها لحالب * يدر لها في مصدر ثم مورد (٢) قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأجابه حسان بن ثابت: لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم (٣) * وقد سر (٤) من يسري إليهم ويغندي ترحل عن قوم فزال عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد [هداهم به بعد الضلالة ربههم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد] (٥)

وهل يستوي ضلال قوم تسفوها * عمى وهداة يهتدون بمهتد ؟ نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد (٦) وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصدقها في اليوم أو في ضحى الغد (٧) ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحته، من يسعد الله يسعد ويهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمسلمين بمرصد (٨) قال - يعني عبد الملك بن وهب - فبلغني أن أبا (٩) معبد أسلم وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رواه أبو نعيم (١٠) من

= وفي ابن هشام: هما نزلا بالبئر ثم تروحا.. (١٢) في ابن سعد: لا يجازى بدلا من لا تجارى. (١) في البيهقي: فغادرها بدلا من فغادره. ويردها بدلا من بدر لها وفي ابن سعد: تدر بها. (٢) في ابن سعد والسهيلي: غاب بدل زال. (٣) في ابن سعد والبيهقي وأبي ذر: وقدر: بمعنى طهر. (٤) سقط من الاصل واستدرك من البيهقي. (٥) في البيهقي: مسجد بدل مشهد. وقيله: وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد (٦) عجزه في ابن سعد: فتصدقها في ضحوة اليوم أو غد. (٧) في البيهقي: مقام بدل مكان. وللمؤمنين بدل للمسلمين. (٨) في ابن سعد: قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت. (٩) ورواه البيهقي من نفس طرق أبي نعيم: وأسانيده: مكرم بن محرز وليس بكر بن محرز. وحزام بن هشام بدلا من حرام. (*)

[٢٣٨]

طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهدي عن حرام بن هشام عن (٢) حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة خرج منها مهاجرا هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة (٣) أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء القبة، وذكر مثل ما تقدم سواء. قال وحدثناه - فيما أظن - محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا محمد بن يونس بن موسى - يعني الكديمي - ثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليل الأنصاري: حدثني أبي عن أبيه سليل البدري. قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها: " يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ " قالت: لا والله إن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة ؟ قالت خلفها الجهد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم. ثم قال البيهقي: يجتمل أن هذه القصص كلها واحدة، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ - إملأء - حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن غالب، ثنا أبو الوليد، ثنا عبد الله (٣) بن إباد بن لقيط، ثنا إباد بن لقيط عن قيس بن النعمان. قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين، مروا بعبد يرعى غنما، فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء، وقد أخذت (٤) وما بقي لها من لبن، فقال ادع بها، فدعا بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم جلس فشرب. فقال الراعي: بالله من أنت ؟ فوالله ما أريت مثلك قط. قال: أو تراك تكتم علي حتى أخبرك ؟ قال: نعم ! قال فإني محمد رسول الله. فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال: إنهم ليقولون ذلك. قال: فإني أشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنني قد ظهرت فأتنا. ورواه أبو يعلى الموصلي

عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبد الله بن إباد بن لقيط به. وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصة عبد الله بن مسعود فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود. قال: كنت غلاما يافعا أرى غنما لعقبة (٥) بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال: " يا

(١) من البيهقي: وفي الاصل بن وهو تحريف. (٢) في البيهقي: على خيمتي أم معبد. (٣) في دلائل البيهقي ج ٢ / ٤٩٧: عبيدالله بن إباد بن لقيط، عن قيس بن النعمان. (٤) في البيهقي أخرجت. وحدثت: ألفت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق، وأحدثت: ولده ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل. (٥) من البيهقي وابن سعد. وفي الاصل عتبة وهو تحريف. (*)

[٢٣٩]

غلام عندك لبن تسقيناً ؟ " فقلت إني مؤتمن ولست بساقيكما، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع فدعا فحفل الضرع، وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها. ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني، ثم قال للضرع: أقلص أقلص. فلما كان بعد، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك غلام معلم " فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد (١). فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة، إنما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة. فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم. [وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الله بمن مصعب بن عبد الله - هو الزبيري - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع [إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فأرسل [إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق ركوبه (٢) - فقال إبراهيم [أخبرني [ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال لها سعد: هذا الغائر (٣) من ركوبه وبه لسان من أسلم يقال لهما المهانان. فإن شئت أخذنا عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " خذ بنا عليهما " قال سعد فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه هذا اليماني. فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الاسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: " بل أنتما المكرمان " وأمرهما أن يقدموا عليه المدينة فخرج [نا [حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أين أبو أمامة أسعد بن زرارة ؟ " فقال سعد بن خيثمة. إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر هذا المنزل. رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بنى مدلج " انفرد به أحمد (٤)

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ١٧١، والامام أحمد في مسنده ١ / ٢٧٩ والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٣٧. (٢) من مسند أحمد ج ٤ / ٧٤ وفي الاصل ركوبة، وركوبة: ثنية بنى مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورفان. (٣) من مسند

[٢٤٠]

فصل في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله [بها] (١) قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة عند الظهر. قلت: ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزل على بني النجار أحوال عبد المطلب أكرمهم بذلك " وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدمه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهر وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا، فإن العشي من الزوال، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بني النجار إلا عشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم. وذكر البخاري عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء وأقام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحته في مكان مسجده، وكان مربدا لسلامين يتيمين وهما سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذ مسجدا. وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير] (٢) عن عبد الرحمن بن عويم (٣) بن ساعدة قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: لما بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكلنا فدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فوالله، ما نبرح حتى تغلينا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه من رجل من اليهود [وقد رأى ما كنا نضع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا] (٤) فصرخ بأعلا صوته: يا بني قيلة ! هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك: وركبه (٥) الناس وما يعرفونه من أبي بكر،

(١) زيادة من السيرة النبوية لابن كثير، (٢) من ابن هشام، (٣) في ابن هشام: عويمر، (٤) من ابن هشام، (٥) أي ازدحموا عليه. (*)

[٢٤١]

حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام أبو بكر فأطله بردائه، فعرفناه عند ذلك. وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه. وقال الامام أحمد: حدثنا هاشم ثنا سليمان [بن المغيرة]، عن ثابت عن أنس بن مالك. قال: إني لا سعى في الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، قال: حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر. فكنا في بعض خراب (١) المدينة، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الانصار حتى انتهوا إليهما

البخاري من طريق الزهري عن عروة أنه عليه السلام وأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وحكى موسى بن عقيب عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه. قال: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا - يعني في بني عمرو بن عوف بقاء - اثنتين وعشرين ليلة. وقال الواقدي: ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة. قال ابن إسحاق: فأدرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي - وادي رانواء (٢) - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة (٣). فاتاه عتيان بن مالك وعياض بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال: " خلوا سبيلها فإنها مأمورة " لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت (٤) دار بني

(١) من ابن هشام، وفي الأصل العزاب وهو تحريف. (٢) في رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق: بطن مهزور (دلائل البيهقي ٢ / ٥٠٤). (٣) قال ابن سعد: فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة. (٤) في ابن هشام: وازنت. (*)

[٢٤٢]

بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة؟ قال: " خلوا سبيلها فإنها مأمورة " فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا في العدد والمنعة. قال " خلوا سبيلها فإنها مأمورة " فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: " خلوا سبيلها فإنها مأمورة " فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله - دنيا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة (١) في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلي أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة؟ قال: " خلوا سبيلها فإنها مأمورة " فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكل يومئذ مربدا لغلामين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفراء. قلت: وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة أنهما كانا في حجر أسعد بن زارة والله أعلم. وذكر موسى بن عقيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في بيت. فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبد الله: أنظر الذين دعوك فأنزل عليهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار. فقال سعد بن عباد يعترضه: لقد من الله علينا بك يا رسول الله وأنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا (٢). قال موسى بن عقيب: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول صلى الله عليه وسلم: " دعوها فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلني الله " فلما انتهت [الناقة] إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابنتى مسجده ومساكنه.

(١) في الإصابة: أسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البدري، وفي ابن هشام: بن أبي خارجة. (٢) نقل الخير وفاة الوفا ١ / ١٨٤ ونقله البيهقي في الدلائل ٢ / ٥٠٠ وفيه: فقال له سعد بن عباد: إنا والله يا رسول الله لقد كنا قبل الذي خصنا الله به منك، ومن علينا بقدمك، أردنا أن نعقد على رأس عبد الله بن أبي التاج ونملكه علينا. (*)

[٢٤٤]

قال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضح لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت [إلى] خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت (١) ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عن المرید لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذة مسجدا، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومسكانه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار. وستأتي قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله. وقال البيهقي في الدلائل: وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدوري ثنا محمد بن سليمان بن اسماعيل بن أبي الورد ثنا إبراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونساءها فقالوا: إينا يا رسول الله. فقال: " دعوا الناقة فإنها مأمورة " فبركت على باب أبي أيوب، فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدقوف وهن يقلن: نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " أتحيونني؟ " فقالوا: أي والله يا رسول الله. فقال: " وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم " هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرجه الحاكم في مستدرکه كما يروى (٢). ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمی أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد، ثنا عمر بن الحسن الحلبي، حدثنا أبو خيثمة المصيصي، ثنا عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة عن أنس. قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحبي من بني النجار، وإذا جوار يضربن بالدقوف يقلن: نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يعلم الله أن قلبي يحبكم " (٣) ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به. وفي صحيح البخاري عن معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز،

(١) قال السهيلي: " وفسره ابن قتيبة على تلحج: أي لزم مكانه ولم يبرح. قال: وتلحج، معناه زال عن موضعه. وقال أبو ذر: تحلحلت معناه: تحركت وانزجرت. (٢) نقله السيوطي عن البيهقي في الخصائص ١ / ١٩٠ ورواه البيهقي في الدلائل ٢ / ٥٠٨. (٣) في البيهقي ٢ / ٥٠٨: يحبكن. (*)

[٢٤٥]

عن أنس قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيا مقبلين - حسبت أنه قال من عرس - فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلا فقال: " اللهم أنتم من أحب الناس إلي " قالها ثلاث مرات. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني

أبي، حدثني عبد العزيز بن صهيب ثنا أنس بن مالك. قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبو بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف (١)، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " اللهم اصبره " فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم، ثم قال: مرني يا نبي الله بما شئت. فقال: " قف مكانك ولا تترك أحدًا يلحق بنا ". قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخر النهار مسلحة له. قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرة ثم بعث إلى الانصار فجاؤوا فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين. فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبي الله. قال فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لاهله يحترف (٢) لهم، فعجل أن يضع الذي يحترف فيها فجاء وهي معه، وسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى أهله، وقال نبي الله: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بأبي قال فانطلق فبيئ لنا مقيلاً، فذهب فهياً [لهما مقيلاً] (٣) ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيات مقيلاً قوما علي بركة الله فقيلاً، فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقا، وأنتك جئت بحق ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم (٤)، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأنني جئت بحق أسلموا ". فقالوا: ما نعلمه، ثلاثا. وكذا رواه البخاري منفردا به عن محمد (٥) غير منسوب عن عبد الصمد به.

(١) يريد هنا: دخول الشيب في لحيته دونه لا السن. (٢) في دلائل البيهقي: يخترف، في الموضوعين. اخترف: جنى من الثمار. (٣) زيادة من البيهقي. (٤) زاد البيهقي في روايته للخبر: فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في، فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إليهم. الخ دلائل ج ٢ / ٥٢٧. (٥) أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب الانصار ٤٥ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ج ٧ / ١٩٩. قال ابن حجر في الفتح: محمد: هو ابن سلام، وقال أبو نعيم في المستخرج: أظنه أنه محمد بن المثنى أبو موسى. ورواه البيهقي من طريق أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج عن عبد الوارث. (*)

[٢٤٦]

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب. قال: لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فأظهر أنت فكن في العلو وتنزل نحن فنكون في السفلى، فقال: " يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت " فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حب (١) لنا فيه ماء، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا رد علينا فضلا تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه بنتغي بذلك البركة، حتى

بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا - أو ثوما - فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أر ليده فيه أثرا، قال فجتته فزعا فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: " إنني وجدت فيه ربح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه " قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد (٢). وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عمرو الحيري، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أحمد بن سعيد الدارمي، ثنا أبو النعمان، ثنا ثابت بن يزيد (٣) ثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل في السفلى، وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم! ففتحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم - يعني في ذلك - فقال [النبي صلى الله عليه وسلم]: " السفلى أرفق بنا " فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلو، وأبو أيوب في السفلى فكان يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما، فإذا جيئ به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له لم يأكل ففرغ وصعد إليه فقال أحرام؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ولكني أكرهه " قال فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه الملك (٤). رواه

(١) حب: الجرة الضخمة. (٢) سيرة ابن هشام ج ٢ / ١٤٤. والبيهقي في الدلائل ج ٢ / ٥١٠ وقال: رواه ابن إسحاق... غير أنه قال عن أبي أمامة الباهلي عن أبي أيوب. (٣) في البيهقي: بن زيد. (٤) رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٥٠٩، ومسلم في ٣٦ كتاب الاشربة ٣١ باب إباحة أكل الثوم ح ١٧١. وأخرجه الترمذي في كتاب الاطعمة ١٣ باب ح ١٨٠٧. عن محمود بن غيلان وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده ٤ / ٢٤٩، ٥ / ٩٤، ٩٦، ١٠٠ و ١٠٦. (*)

[٢٤٧]

مسلم عن أحمد بن سعيد به، وثبت في الصحيحين عن انس بن مالك قال: جيئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر (١) وفي رواية يقدر فيه خضروات من بقول، قال فسأل فأخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها، قال: " كل فإني أناجي من لا تناجي " وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده، وروي عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمني، فقال: " بارك الله فيك " ودعا أصحابه فأكلوا، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاة زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما يعيران وخمسائة درهم ليحنا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم

المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا خلف بن عمرو العكبري، ثنا سعيد بن منصور، ثنا عطاء بن خالد، ثنا صديق بن موسى، عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فانيعتت به راحلته فقال: " دعوها فإنها مأمورة " ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فأنقل رحلك إلي؟ قال: نعم! فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تجل؟ قال: " أن الرجل مع رحله حيث كان " وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، حيث نزل في داره رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابن عباس نائبا عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، وملكه كل ما أغلق عليها بابها. ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفا، وأربعين عبدا. وقد صارت دار أبي بعده إلى مولاة أفلح. فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وهي من بنيانها ووهبها لاهل بيت فقراء من أهل المدينة. وكذلك نزوله

(١) في النهاية لابن الاثير: بدر: طبق مستدير، شبهه باليدر لاستدارته. (*)

[٢٤٨]

عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقرى المتلاصقة، فاختار الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم دار بني مالك بن النجار. وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير دور الانصار بنو النجار، ثم بنو عبد الاشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الانصار خير " فقال سعد بن عبادة: ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم إلا قد فضل علينا فليل قد فضلكم علي كثير: هذا لفظ البخاري. وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبي حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله سواء. زاد في حديث أبي حميد، فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة: ألم تر أن النبي صلى الله عليه وسلم خير الانصار فجعلنا آخرا، فأدرك سعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله خيرت دور الانصار فجعلتنا آخرا؟ قال: " أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الاخير " قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم

ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون [الحشر: ٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا الهجرة لكنت أمرا من الانصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم، الانصار شعار والناس دثار " وقال: " الانصار كرشني وعييتي " وقال: " أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم " وقال البخاري حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " الانصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحبه الله ومن يبغضهم أبغضه الله " وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة به. وقال البخاري أيضا حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا شعبة عن عيد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " آية الايمان حب الانصار، وآية النفاق بغض الانصار " ورواه البخاري أيضا عن أبي الوليد [و] الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدي أربعهم عن شعبة به. والآيات والاحاديث في فضائل الانصار كثيرة جدا. وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الانصار في قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ونصرهم إياه ومواسياتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام:

[٢٤٩]

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واطمأنت به النوى (١) * وأصبح مسرورا بطيبة راضيا وألفى
صديقا واطمأنت به النوى * وكان له عوننا من الله بادي يقص لنا ما قال
نوح لقومه * وما قال موسى إذ أجاب المناديا فأصبح لا يخشى من
الناس واحدا * قريبا ولا يخشى من الناس نائيا بذلنا له الاموال من
جل مالنا * وأنفسنا عند الوعى والتأسيا (٢) نغادي الذي عادى من
الناس كلهم * جميعا ولو كان الحبيب المواسيا ونعلم أن الله لا شئ
غيره * وإن كتاب الله أصبح هاديا (٣) أقول إذا صليت في كل بيعة *
حنانك لا تظهر علينا الاعاديا (٤) أقول إذا جاوزت أرضا مخيفة *
تباركت اسم الله أنت المواليا فطا معرضا إن الحتوف كثيرة * وإنك لا
تبقى لنفسك باقيا (٥) فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه * إذا هو لم
يجعل له الله واقيا ولا تحفل النخل المعيمة ربها * إذا أصبحت ربا
وأصبح ثاويا (٦) ذكرها ابن إسحاق وغيره، ورواها عبد الله بن الزبير
الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الانصاري
عن عجز من الانصار قالت: رأيت عبد الله بن عباس يختلف إلى
صرمة بن قيس يروي هذه الابيات. رواه البيهقي. فصل وقد شرفت
المدينة أيضا بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفا لاولياء الله
وعباده

(١) في ابن هشام: فلما أتانا أظهر الله دينه. (٢) في ابن هشام: من حل، وتروى من حل بالجيم ومعناه: العظيم الكبير من الابل، أو معظم كل شئ. (٣) في ابن هشام: ونعلم أن الله أفضل هاديا. (٤) في ابن هشام: ورد البيت والذي بعده: أقول إذا أدعوك في كل بيعة * تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة * حنانك لا تظهر علي الاعاديا (٥) قال ابن هشام: هذا البيت والذي يليه لافنون التغلبي، وهو صريم بن معشر في آيات له وبعدهما: كفى حزنا أن يرحل الركب غدوة * وأترك في جنب الالهة ثاويا قالهما لما أحس بالموت، بعد أن بركت ناقته على حية فنهشته الحية فمات. (٦) في الاصل المقيمة، والتصويب من ابن هشام وشرح السيرة لابي ذر. والمعيمة: العاطشة. (*)

الصالحين، ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين، ودار هدى للعالمين. والإحاديث في فضلها كثيرة جدا لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله. وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها " (١) ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن شيابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. وفي الصحيحين أيضا من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت بقرية تأكل القرى، يقول: يثرب، وهي المدينة، تنقي الناس كما ينقي الكير خبث الحديد " (٢) وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة. وقد قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد، وأبو بكر بن عبد الله قالوا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الانصاري، ثنا سعيد بن سعيد، حدثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي فأسكنني أحب البلاد إليك " فأسكنه الله المدينة " (٣). وهذا حديث غريب جدا والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى. وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الامام أحمد: حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول: " والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت " وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه يونس عن الزهري به. ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، وحديث الزهري عندي أصح. قال الامام أحمد: حدثنا

(١) رواه مسلم في ١ كتاب الإيمان ٦٥ باب ح ٢٣٣. والبخاري في ٢٩ كتاب فضائل المدينة ٦ باب ح ١٨٧٦ فتح الباري ٤ / ٩٢ عن حبيب بن عبد الرحمن بن يساف. وأخرجه الترمذي في الإيمان وابن ماجه في المناسك وأحمد في المسند ١ / ١٨٤. (٢) أخرجه البخاري في ٢٩ فضائل المدينة (٢) باب فتح الباري ٤ / ٨٧ ومسلم في ١٥ كتاب الحج ٨٨ باب ح ٤٨٨ وأحمد في ٢ / ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٨٤. أمرت بقرية: أي أمرني ربي بالهجرة إلى قرية - يثرب - . تأكل القرى: تغلبها وتظهر عليها. - تنقي، وفي النهاية: تنفي: تخرجه عنها من النفي، وتنقي من إخراج النقي وهو المخ أو من التنقية وهي أفراد الجيد من الردئ. (٣) دلائل النبوة ج ٢ / ٥١٩. (*)

عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال: " علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت " (١) وكذا رواه النسائي من حديث معمر به. قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضا وهم والصحيح رواية الجماعة (٢). وقال أحمد أيضا حدثنا إبراهيم بن خالد، ثنا رباح، عن معمر. عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في سوق الحزورة: " والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى

الله ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت " ورواه الطبراني عن أحمد بن خليل الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به. فهذه طرق هذا الحديث، وأصحها ما تقدم والله أعلم. وقائع السنة الأولى من الهجرة اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة، أو ثمانين عشرة - في الدولة العمريّة على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر وفيه، إنه يحل عليه في شعبان. فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك. فقال قائل: أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحدا بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم. وكانوا يؤرخون بملك أسكندر بن فليس المقدوني فكره ذلك. وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل بمبعثه، وقال آخرون بل بهجرته، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره. واتفقوا معه على ذلك. وقال البخاري في صحيحه: التاريخ ومتى أرخوا التاريخ. حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد. قال: ما عدوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمة المدينة.

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب في فضل مكة ح ٣٩٢٥ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن ماجه في المناسك. والنسائي في المناسك في سننه الكبرى على ما ذكره المزني في تحفة الأشراف ٥ / ٣١٦ و ١١ / ٥٤. (٢) دلائل النبوة ج ٢ / ٥١٨. (*)

[٢٥٢]

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه. قال: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة. وقال أبو داود الطيالسي عن قرة (١) بن خالد السدوسي عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال أرخوا. فقال ما أرخوا؟ فقال شئ تفعله الاعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حسن فأرخوا، فقالوا من أي السنين نبدأ. فقالوا من مبعثه، وقالوا من وفاته، ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا وأي الشهور نبدأ؟ قالوا رمضان، ثم قالوا المحرم فهو مصرف (٢) الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا (٣) على المحرم. وقال ابن جرير: حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي (٤) عن عثمان بن محسن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى: (والفجر وليال عشر) هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن عمير. قال: إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسب البيت، ويؤرخ به الناس (٥)، ويضرب فيه الورك. وقال أحمد: حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار قال: إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في ربيع الأول وأن الناس أرخوا لأول السنة. وروى محمد بن إسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالوا: أرخ بنو اسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرخوا من بنيان إبراهيم واسماعيل البيت (٦)، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا من الفيل، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة - أو ثمانين عشرة - وقد ذكرنا هذا الفصل محررا بأسانيد وطرقه في السيرة العمريّة ولله الحمد، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة.

(١) من الطبري، وفي الاصل فروة وهو تحريف. (٢) في الطبري: منصرف. (٣) من الطبري وفي الاصل فاجتمعوا. (٤) في الطبري: ٢ / ٣٥٣: الطاحي. (٥) في الطبري: ويؤرخ التاريخ. (٦) في رواية الطبري: فكان كلما خرج قوم من تهامة أرحوا بمخرجهم ومن بقي بتهامة من بني اسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة وبني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي. وعلق الطبري على رواية ابن اسحاق قال: وهذا الذي رواه علي بن مجاهد عن ابن اسحاق غير بعيد من الحق لانهم لم يكونوا يؤرخون على أمر معروف يعمل به عامتهم وإنما كان المؤرخ منهم يؤرخ بزمان فحمة كانت في ناحية من نواحي من نواحي بلادهم. (*)

[٢٥٢]

وحكى السهيلي وغيره عن الامام مالك أنه قال: أول السنة الاسلامية ربيع الاول لانه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد استدل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أي من أول يوم حلول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سني التاريخ عام الهجرة. ولا شك أن هذا الذي قاله الامام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لان أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الاولى سنة الهجرة. وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم. فنقول وبالله المستعان: استهل سنة الهجرة المباركة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة، وقد باع الانصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة قبل سنة الهجرة، ثم رجع الانصار وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقاء فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قريبا من الزوال وقد اشتد الضياء. قال الواقدي وغيره: وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول. وحكاه ابن إسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور. وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة (١) ثلاث عشرة سنة في أصح الاقوال، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي حمزة (٢) الضبي عن ابن عباس. قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة. وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة. وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس: ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وقال الواقدي عن إبراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة:

(١) يعني هنا من أول الوقت الذي استنبت فيه، عن عروة عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم. (٢) من الطبري، وفي الاصل: أبي حمزة الضبي. وأبو حمزة الضبي، واسمه نصر بن عمران بن عصام الضبي، البصري نزيل خراسان مشهور بكنيته، ثقة ثبت من الثالثة مات سنة ثمان وعشرين. تقرب التهذيب ٢ / ٧٢ / ٣٠٠. (*)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدى خمس عشرة حجة، وهو قول غريب جدا، وأغرب منه ما قال ابن جرير: حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين بمكة، وعشرا بالمدينة. وكان الحسن يقول: عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس. قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرا وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال: قرن إسرافيل برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يلقى إليه الكلمة والشئ وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبريل. وقد حكى الواقدى عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا، وحاول ابن جرير (١) أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشرا، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم. فصل ولما حل الركاب النبوي بالمدينة، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فأقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة، وقيل ثمانين عشرة ليلة. وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليال. والاشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقاء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - علي ما ذكرناه - مسجد قباء، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه في أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) ورد قول من أعربها: من تأسيس أول يوم، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحيون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) [التوبة: ١٠٨] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذي في صحيح (٢) مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه. وذكرنا الحديث الذي رواه الامام أحمد: حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا

(١) قال ابن جرير في ٢ / ٢٥١: فلعل الذين قالوا كان مقامه بمكة بعد الوحي عشرا عدوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عزوجل وأظهر الدعاء إلى توحيد الله وعد الذين قالوا كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبى فيه وكان إسرافيل المقرون به وهي السنون الثلاث التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة. أنظر الحاشية قبل السابقة. (٢) صحيح مسلم في مناسك الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى عن أبي بكر بن أبي شيبة وسعيد بن عمرو الأشعبي كلاهما عن حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط. (*)

شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال: " إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ " قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا (١). وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر. وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس. وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: نزلت

هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين). قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه. قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم. وممن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير. ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوره فيما بعد ويصلي فيه، وكان يأتي قباء كل سبت تارة راكبا وتارة ماشيا وفي الحديث: " صلاة في مسجد قباء كعمرة " وقد ورد في حديث أن حيراثيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي صلى الله عليه وسلم إلى موضع قبلة مسجد قباء، فكان هذا المسجد أو مسجد بني في الاسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة. واحتزننا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لان ذلك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم. وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات، [و] أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئا فوضعه بين يديه وهو بقاء قال هذا صدقة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه، ثم جاء مرة أخرى ومعه شئ فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا. تقدم الحديث بطوله. فصل في إسلام عبد الله بن سلام قال الامام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا عوف، عن زرارة، عن عبد الله بن سلام. قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب. فكان أول شئ سمعته يقول: " [يا أيها الناس] (٢) افشوا السلام وأطعموا

(١) مسند أحمد ج ٣ / ٤٢٢. (٢) من دلائل البيهقي (*).

[٢٥٦]

الطعام [وصلوا الارحام] (١) وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام " (٢) ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة بن أبي أوفى به عنه. وقال الترمذي صحيح. ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورآه أول قدومه حين أتاه بقاء في بني عمرو بن عوف. وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أتاه عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم، فلعله رآه أول ما رآه بقاء، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار. والله أعلم. وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس. قال: فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنت جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأدعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا اني قد أسلمت قالوا في ما ليس في. فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم: " يا معشر اليهود وبلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأنني جئتكم بحق فأسلموا " قالوا ما نعلمه. قالوا [ذلك] للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار. قال: " فأني رجل فيكم عبد الله (٣) بن سلام؟ قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أفرايتم إن أسلم، قالوا حاش لله ما كان ليسلم (٤). قال: " يا ابن سلام اخرج عليهم " فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم (٥). هذا لفظه. وفي رواية (٦) فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا: شرنا وابن شرنا، وتقصوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني (٧) ثنا عبد الله بن أبي بكر، ثنا حميد. عن أنس. قال: سمع عبد الله بن سلام

(١) من المسند. (٢) رواه أحمد في المسند ٥ / ٤٥١، والترمذي في الزهد باب حديث افشوا السلام.. عن محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفي، وغندر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد أربعهم عن عوف بن أبي جميلة. وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة - باب ما جاء في قيام الليل عن بندار، وفي أول كتاب الاطعمة عن أبي بكر بن أبي شيبة. والبيهقي في الدلائل ٢ / ٥٢١ من طريق يعقوب بن سفيان، ومن طريق علي بن أحمد بن عبدان. كلاهما عن عوف. (٣) في ابن هشام: الحصين بن سلام. (٤) في الصحيح كررت العبارة: حاش لله ما كان ليسلم ثلاث مرات مؤكدا عليهم. (٥) أخرجه البخاري في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٤٥ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ح ٣٩١١ ورواه البيهقي من طريق عبد الوارث عن ابن صهيب عن أنس ٢ / ٥٢٦. (٦) في رواية حميد الطويل عن أنس. ونقلها البيهقي في الدلائل ٢ / ٥٢٨. (٧) في دلائل البيهقي: الصنعاني. (*)

[٢٥٧]

بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم. - وهو في أرض له - فأتى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله (١) أهل الجنة؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمه (٢)؟ قال: " أخبرني بهن جبريل أنفا " قال جبريل؟ قال: " نعم ! " قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: " من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله) [البقرة: ٩٧] قال: " أما أول أشرط الساعة: فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم (٣) إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد [إلى أبيه] (٤)، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد. فقال. أشهد أن لا إله إلا الله أو (و) أنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني. فجاءت اليهود. فقال: " أي رجل عبد الله [بن سلام] فيكم؟ " قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: " رأيتم إن أسلم؟ " قالوا أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. ورواه البخاري عن عبد بن منير (٦) عن عبد الله بن أبي بكر به ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به. قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام: قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبرا عالما - قال: لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيبته و [زمانه] الذي كنا نتوكف له، فكنت بقاء مسرا بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، المدينة فلما قدم نزل بقاء في بني عمرو بن عوف. فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت، فقالت [لي] عمتي حين سمعت تكبيرى: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت، قال: قلت لها: أي عمه. والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به. قال فقالت له: يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم! قالت فذاك إذا. قال فخرجت إلى

(١) سقطت من البيهقي. (٢) عبارة البيهقي: وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه. (٣) سقطت من البيهقي، وفي الصحيح: تحشرهم. (٤) من البيهقي. (٥) سقطت من الاصل والبيهقي واستدركت من الصحيح. (٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة ٦ باب فتح الباري ٨ / ١٦٥ عن عبد الله بن منير، ولعله تحريف من الناسخ والصواب عبد بن حميد. ورواه في ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٥١ باب حدثني حامد بن عمر فتح الباري ٧ / ٢٧٢. (*)

[٢٥٨]

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكنتمت إسلامي من اليهود وقلت (١): يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وإنني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني، وذكر نحو ما تقدم. قال فاطمته إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث [فحسن إسلامها] (٢). وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثني محدث عن صفية بنت حيي قالت: لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، لم ألقهما في ولد لهما قط اهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلبيين، فوالله ما جأنا إلا مع مغيب الشمس. فجأنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت (٣). وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا أبدا. فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أظعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال لا والله لا أظعك أبدا، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه. قلت: أما أبو ياسر واسمه وأما حيي بن أخطب فلا أدري ما آل إليه أمره، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبورا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل مقاتلة بني قريظة كما سيأتي، إن شاء الله. فصل ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلي بالمسلمين الجمعة هنالك، في وإد يقال له وادي رانواناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقا لانه والله أعلم لم يكن

(١) في ابن هشام: ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: (٢) من ابن هشام ٢ / ١٦٤ ونقل الخبر البيهقي عنه في الدلائل: ٢ / ٥٣٠. (٣) سيرة ابن هشام ٢ / ١٦٥ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٥٣٢. (*)

[٢٥٩]

يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له،

وأذيتهم إياه. ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قال ابن جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم: " الحمد لله أحمده واستعينه، وأستغفره وإستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، وذنو من الساعة، وقرب من الاجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد وغي وفرط وصل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا. وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة [من ربه] (١)، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر (٢) السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت، حين يفتر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لاخلف لذلك فإنه يقول تعالي: (ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه: (من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) (ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما) وإن تقوى الله تقوى مقتته، وتوقى عقوبته، وتوقى سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت (٣) فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه،

(١) من الطبري. (٢) في الطبري: من أمره في السر والعلانية. (٣) كذا في الاصل والقرطبي نقلًا عن ابن جرير، وفي الطبري: لما بعد اليوم. (*)

[٣٦٠]

الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال (١). وقال البيهقي: باب - أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة -: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الاصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والخنس (٢) بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: " أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليضعن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزي الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله (٣) ورحمة الله وبركاته " ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرة أخرى فقال: " أن الحمد لله أحمده واستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] (٤)، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] (٥) فإنه من (٦) يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الاعمال، وخيرته من العباد، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته، وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " (٧). وهذه الطريق أيضا مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الالفاظ.

(١) ذكر الخطبة القرطبي في تفسيره بنحوها مطولا بلا اسناد ج ١٨ / ٩٨. وانظر تاريخ الطبري ج ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦ دار القاموس الحديث. (٢) في البيهقي: بن الاخنس. (٣) في ابن هشام: والسلام عليكم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٤) من ابن سحاق والبيهقي. (٥) سقطت من الاصل واستدرت من ابن هشام والبيهقي. (٦) في ابن هشام: فإنه كل يختار. (٧) الخطبتان في ابن هشام ج ٢ / ١٤٦ - ١٤٧ ودلائل البيهقي ٢ / ٥٢٤ - ٥٢٥. (*)

[٣٦١]

فصل في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي أيوب وقد اختلف في مدة مقامه بها، فقال الواقدي: سبعة أشهر، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم. قال البخاري: حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الصمد، قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبوالتياح يزيد بن حميد الضبي، حدثنا أنس بن مالك. قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملا بني النجار فجاؤا متقلدي سيوفهم، قال: وكانني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي راحلته وأبو بكر ردفه، وملا بني النجار حوله حتى ألقى بغناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملا بني النجار فجاؤوا فقال: " يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا " فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل، قال (١): فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبتت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع. قال فصفاوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول (٢): " اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة * فانصر الانصار والمهاجرة " وقد رواه البخاري (٣) في مواضع أخر ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد. وقد تقدم في صحيح البخاري عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مربدا - وهو بيدر التمر - ليثيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل، فساومهما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا. قال وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو ينقل معهم التراب: هذا الحمال لا حمال خبير * هذا أبر ربنا وأطهر

(١) قال: أي أنس. (٢) في البخاري: ويقولون. (٣) أخرجه البخاري في ٦٢ كتاب مناقب الانصار ٤٦ باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة ح ٣٩٣٢

وأخرجه أيضا في كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ؟ وأخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. وأخرجه أبو داود في الصلاة عن مسدد. وابن (*) ماجة في الصلاة.

[٣٦٢]

ويقول: لا هم إن الأجر أجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له في بيضة، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: وذكر محمد بن إسحاق أن المرید كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فالله أعلم. وروى البيهقي: من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، حدثنا الحسن بن حماد الضبي، ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن. قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره، فقال: " ابنوه عريشا كعريش موسى " فقلت للحسن: ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - يعني السقف - وهذا مرسل. وروى من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس، عن عبادة: أن الانصار جمعوا مالا فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال: " ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى " (١) وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال أبو داود: حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن موسى عن سنان (٢) عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كانت سواربه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل، ثم إنها تخربت (٣) في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع وبجريد النخل، ثم إنها تخربت في خلافة عثمان فبناها بالأجر، فما زالت ثابتة حتى الآن. وهذا غريب. وقد قال أبو داود أيضا: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر، وبناه على بنائه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا. وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (٤) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وهكذا رواه البخاري عن علي بن المدني عن يعقوب بن إبراهيم به (٥).

(١) دلائل البيهقي: ج ٢ / ٥٤٠. (٢) في سنن أبي داود والبيهقي: عن عبد الله بن موسى، عن شيبان. (٣) في أبي داود والبيهقي نقلا عنه: نخرت بدل تخربت في الموضوعين. (٤) القصة: هي الجص كما في النهاية، وفي البيهقي: والفضة. (٥) رواه البخاري في ٨ كتاب الصلاة ٦٢ باب المساجد فتح الباري ١ / ٥٤ ورواه أبو داود في كتاب الصلاة باب بناء = (*)

[٣٦٢]

قلت: زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولا قوله صلى الله عليه وسلم: " من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة " ووافق الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمرة عمر بن عبد العزيز حين كان نائبا على المدينة

وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم. قال ابن إسحاق: ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومسكنه؟ وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه. فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين: لئن قعدنا والنبى يعمل * لذلك منا العمل المضلل وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون: لا عيش إلا عيش الآخرة * اللهم ارحم الانصار والمهاجرة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والانصار " قال فدخل عمار بن ياسر وقد اثقلوه باللين فقال: يا رسول قتلوني يحملون علي ما لا يحملون. قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ وفرته بيده - وكان رجلا جعدا - وهو يقول: " ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية " وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تقتل عمار الفئة الباغية " ورواه من حديث ابن علي عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار وهو ينقل الحجارة: " ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية " (١) وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بينون المسجد، جعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل واحد لبنة لبنة، وعمرا يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره. وقال " ابن سمية، للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة

= المساجد ح ٤٥١ و ٤٥٢ ج ١ / ١٢٣. ونقل الحديثان البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٥٤١. (١) - أخرج الحديث مسلم عن أم سلمة من طرق متعددة في كتاب الفتن ٤ / ٢٣٣٥ - ٢٣٣٦. (*)

[٣٦٤]

الباغية " (١) وهذا إسناد على شرط الصحيحين. وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري. قال: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين. فرأه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفذ التراب عنه ويقول: " ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار " قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن (٢). لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية. قال البيهقي: وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال أخبرني من هو خير مني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: " يؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية " (٣) وقد رواه مسلم أيضا من حديث شعبة عن أبي مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر " يؤس لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية " وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا وهيب عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة، وعمار - نافع من وجع كان به - فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد

فحدثني بعض أصحابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفذ التراب عن رأسه ويقول: " ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية " (٤). قال البيهقي: فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه (٥).

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق اسماعيل الصفار، وهو جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٨٩ وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٤ / ٣١٩. (٢) رواه البيهقي في الدلائل ج ٢ / ٥٤٦. ورواه البخاري في ٨ كتاب الصلاة ٦٣ باب فتح الباري ١ / ٥٤١ عن مسدد، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن إبراهيم بن موسى. وأخرجه مسلم في كتاب الفتن ٤ / ٢٣٣٥، والترمذي في مناقب عمار بن ياسر ٥ / ٦٦٩ وأحمد في مسنده ٢ / ١٦١. وقال البيهقي: وفي رواية البخاري عن إبراهيم بن موسى عن عبد الوهاب ترك لفظة " تقتلك الفئة الباغية " وكأنه إنما تركها لمخالفة أبي نضرة عن أبي سعيد عكرمة في ذلك. (٣) دلائل النبوة ج ٢ / ٥٤٨، ومسلم في كتاب الفتن ٤ / ٢٣٣٥. (٤) مسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخصلة ٤ / ٢٣٣٥ ورواه الامام أحمد في مسنده ٣ / ٥. (٥) العبارة في الدلائل: ٢ / ٥٤٩: وقد بين عن أبي نضرة، عن أبي سعيد في هذه الرواية ما سمع من غيره من هذا = (*)

[٣٦٥]

قال: ويشبه أن يكون قوله: الخندق وهما أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم. قلت: حمل اللبني في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم. وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه. وقد كان علي أحق بالامر من معاوية. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لانهم وإن كانوا بغاة في نفس الامر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم. وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فإن عمارا وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفة واجتماع الكلمة. وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالامر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر إمام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم. وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تاييده وتوفيقه والمقصود ههنا أنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم. وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل (١): حدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا عبيد بن شريك، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا حشر بن نباتة، عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: [لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد] (٢) جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هؤلاء ولاة الامر بعدي ". ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشر عن سعيد عن سفينة. قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجرا. ثم قال " ليضع أبو بكر حجرا إلى جنب حجري، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هؤلاء الخلفاء من بعدي " وهذا الحديث بهذا السياق غريب جدا، والمعروف ما رواه الامام أحمد عن أبي النضر عن

(١) = الحديث ونقل فيها حمل اللبنة واللبنتين كما نقلها عكرمة. (١) دلائل النبوة ج ٢ / ٥٥٣. (٢) سقطت من الاصل واستدركت من الدلائل. (*)

[٣٦٦]

حشرج بن نباتة العبسي (١) وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول: " الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون من بعد ذلك الملك " ثم قال سفينة أمسك، خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ست سنين، هذا لفظ أحمد. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن جمهان، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه " الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوا " وذكر بغيته. قلت: ولم يكن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو مستندا إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم. وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روي هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتموا إليه (٢) ؟ ! تنبيه علي فضل هذا المسجد الشريف قال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى، حدثني أبي. قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان رجل من بني خدره ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال: " هو هذا المسجد " لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال " في ذلك خير كثير " يعني مسجد قباء. ورواه الترمذي عن قتيبة، عن حاتم بن إسماعيل، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال حسن صحيح. وروى الامام أحمد عن إسحاق بن عيسى، عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه. قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى،

(١) كذا في الاصل، وهو حشرج بن نباتة الأشجعي. والحديث في مسند أحمد ٤ / ٢٧٢ و ٤٤٥ / ٥، ورواه أبو داود في كتاب السنة ٤ / ٢١١، والترمذي في كتاب الفتن ٤ / ٥٠٣. (٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٥٥٩. (*)

[٣٦٧]

وذكر نحو ما تقدم. وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد كيف سمعت أباك في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال أبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن المسجد الذي

أسس على التقوى فأخذ كفا من حصاء فضرب به الارض. ثم قال: " هو مسجدكم هذا " وقال الامام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي، عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد. قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد في الذي أسس على التقوى. فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال: " هو مسجدي هذا " وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا " فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، واختاره ابن جرير. وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه، وبين هذه الاحاديث. لان هذا المسجد أولى بهذه الصفة. من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس " وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " وذكرها. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " وفي مسند أحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله: " فإن ذلك أفضل " وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي " والاحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جدا وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. وقد ذهب الامام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لان ذلك بناه إبراهيم، وهذا بناه محمد صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام. وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لانه في بلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض، وحرمه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومحمد خاتم المرسلين، فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان. فضل وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن

[٣٦٨]

قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري - وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة - لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي صلى الله عليه وسلم بيدي. قلت: إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلا ضخما طويلا رحمه الله. وقال السهيلي في الروض: كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة (١) وسقوفها كلها م جريد. وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم. قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر. قال وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاذفير، فدل على أنه لم يكن لابوابه حلق. قال وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد. قال الواقدي وابن جرير وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الدثلي إلى مكة بعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتوا بأهاليهم

من مكة وبعثنا معهم بحملين وخمسماية درهم ليشتروا بها إبلا من قديد، فذهبوا فجاءوا ببنتي النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سوذة وعائشة، وأمها أم رومان وأهل النبي صلى الله عليه وسلم وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول: وإعروساه، وإبنتاه ! قالت عائشة: فسمعت قائلا يقول: أرسلني خطامه، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عزوجل. فتقدموا فنزلوا بالسنح. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة. فصل فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة قال البخاري: حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف، ثنا مالك عن (٢) هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبا بكر كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول: كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شرك نعله (٣)

(١) مرضومة: أي مضمومة بعضها فوق بعض - والرضام من الجبل دون الهضاب. (٢) صحيح البخاري ٥ / ١٦٨ باب ما جاء في هجرة النبي ح ٤٠٤ وفيه: مالك عن هشام وفي الاصل مالك بن هشام وهو تحريف. (٣) مصبح: أي مصاب بالموت صباحا. (*)

[٣٦٩]

وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقيرته (١) ويقول: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل (٢) وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل (٣) قالت عائشة: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدنها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة (٤). ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصرا. وفي رواية البخاري (٥) له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأميمة بن خلف كما أخرجونا [من أرضنا] (٦) إلى أرض الوباء (٧). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدنها (٨) وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة " قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بطحان يجري نجلا (٩) - يعني ماء أجنا - وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير [عن عروة بن الزبير] (١٠) عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه، قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم (١١) وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت [له] كيف تجدك يا أبا بكر؟ فقال (١٢): كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شرك نعله

(١) رفع الصوت بكاء أو غناء. (٢) هو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت. (٣) مجنة: على بريد من مكة. شامة وطفيل: جبلان يقرب مكة. (٤) الجحفة: ميفات أهل مصر والشام والمغرب. (٥) صحيح البخاري ج ٣ / ٥٥ ح ٤٦١. (٦) من البخاري، سقطت من الاصل. (٧) الوباء: المرض العام الذي أصاب المدينة. (٨) في البخاري: في صاعنا وفي مدنا. (٩) نجلا: أي نزا وهو الماء القليل كما في النهاية لابن الاثير. (١٠) ما بين

[٢٧٠]

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت [له] كيف تجدك يا عامر؟ قال: لقد وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه كل امرئ مجاهد بطوقه * كالتور يحمي جلده بروقه قال فقلت والله ما يدري ما يقول، قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطلع بغناء البيت ثم رفع عقيرته فقال: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفخ وحولي إذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل قالت عائشة: فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهدون وما يعقلون من شدة الحمى فقال: " اللهم حبب إلينا المدينة، كما حبيت إلينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل وباءها إلى مهية " ومهية هي الجحفة. وقال الامام أحمد: حدثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فأذن لها، فقالت لابي بكر كيف تجدك؟ فقال: كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شرك نعله وسألت عامرا فقال: إنني وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه (١) وسألت بلالا فقال: يا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفخ وحولي إذخر وجليل (٢) فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فنظر إلى السماء وقال: اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها، وانقل وباءها إلى مهية. وهي الجحفة فيما زعموا. وكذا رواه النسائي عن قتبية عن الليث به ورواه الامام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالوا: ثنا أبو العباس الاصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن

(١) في رواية: لقد وجدت، وفي رواية أخرى: قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه. (٢) في رواية: بواد، وفخ: قال الدينوري بالخاء المعجمة: موضع خارج مكة. (*)

[٢٧١]

أبيه، عن عائشة قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله، وواديها بطحان نجل [يجري عليه الأثل] (١). قال هشام: وكان وباؤها معروفا في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيننا فأشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي. وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة: لعمرى لئن عبرت من خيفة الردى * نهيق الحمار إنني لجزوع (٢) وروى البخاري (٣) من حديث موسى بن عقبة: عن سالم [بن عبد الله] عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهية - وهي الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهية - وهي الجحفة - " هذا لفظ البخاري ولم يخرج مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة. وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيئة، فذكر الحديث بطوله إلى

قوله وانقل حماها إلى الجحفة. قال هشام: فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى. ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٤). وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي وبيئة. فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء. فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا [الاشواط الثلاثة] (٥) وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم. قلت: وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة (٦) فأما أن يكون تأخر دعاؤه

(١) ما بين معكوفين سقط من الاصل واستدرك من دلائل النبوة ج ٢ / ٥٦٧. (٢) في الدلائل: عشرت بدلا من عبرت. (٣) صحيح البخاري ٢ / ٣٧ ونقله البيهقي من طريق فضيل بن سليمان. (٤) ج ٢ / ٥٦٨ وفيه: وبيئة بدل وبيئة. (٥) الخبر في البخاري عن سليمان بن حرب ٢٥ كتاب الحج ٥٥ باب ج ١٦٠٢ فتح الباري ٢ / ٣٦٨ وأعاده في المغازي باب عمرة القضاء. ورواه مسلم في ١٥ كتاب الحج ٢٩ باب من طريق حماد بن زيد عن أيوب بن أبي تيمية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. ج ٢٤٠. - ما بين معكوفين من الصحيحين. - وهنهم، وفي مسلم وهنتهم: أي أضعفتهم، قال الفراء وغيره: يقال وهنته وأوهنته الحمى لغتان. ويثرب كان اسم المدينة في الجاهلية. - يمشوا ما بين الركنين: أي حيث لا تقع عليهم عين المشركين، فإنهم لم يكونوا في تلك الجهة. (٦) في الكامل لابن الأثير: في ذي الحجة. وما أثبتناه عن الطبري ٢ / ١٠٠ وانظر في عمرة القضاء: الطبري = (*)

[٢٧٢]

عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل. أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم. وقال زياد عن ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم: " إعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم " فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل (١). فصل في عقده عليه السلام الالفة بين المهاجرين والانصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرره عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان نزولهم بالحجاز قبل الانصار أيام بخت نصر حين دوح بلاد المقدس فيما ذكره الطبري. ثم لما كان سيل العرم وتفرقت شذر مذر نزل الاوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الانبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدتهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، ثنا عاصم الاحول، عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك. وقد رواه الامام أحمد أيضا والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الاحول عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار في داري. وقال الامام أحمد: حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أرتأة - قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابا بين المهاجرين والانصار أن يعقلوا

= ٣ / ١٠٠ صحیح البخاری ٥ / ١٤١ طبقات ابن سعد ٣ / ١٢٠ سيرة ابن هشام ٣ / ٣١٩
عيون الاثر ٣ / ١٩٢ المغازي للواقدي ٢ / ٧٣١ أنساب الاشراف ١ / ١٦٩ المسيرة
الحلبية ٣ / ٧١. (١) سيرة ابن هشام: ٢ / ٢٢٠. (*)

[٢٧٣]

معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين. قال أحمد: وحدثنا سريح ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله، تفرد به الامام أحمد، وفي صحيح مسلم عن جابر. كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل بطن عقولة. [دستور المدينة] (١) وقال محمد بن إسحاق: " وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم. " بسم الله الرحمن الرحيم " هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. ١ - أنهم أمة واحدة من دون الناس (٢). ٢ - المهاجرون من قريش على ربعتهم (٣) يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم (٤) بالمعروف والقسط [بين المؤمنين] (٥). ٣ - وبنو عوف على ربعتهم يتعاقبون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تغدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين (٦). ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار وأهل كل دار: ٤ - [وبنو الحرث على ربعتهم] (٧) (حسب المقطع الثالث). ٥ - وبنو ساعدة على ربعتهم (حسب المقطع الثالث).

استدرك من كتاب محمد في المدينة - وات. قال وات: ص ٣٣٧: احتفظ ابن إسحاق بوثيقة قديمة تسمى عادة دستور المدينة، وهو بعد أن يقدم له بضع كلمات، لا يذكر شيئا عن الطريقة التي وصلت بها إليه الوثيقة، ولا متى وكيف طبق هذا الدستور. أما وضع الوثيقة في مطلع حديثه عن الفترة المدنية فليس له من سبب سوى التسلسل المنطقي. (٢) أي متميزين عن الناس، ويمكن أن يعني ذلك اليهود، ولكن هذا بعيد. (٣) يقول لين إن " على ربعتهم " تعني وضعهم الاول، ولا مجال للقول أن هذا إشارة إلى الربع بل يعني إما أن كل جماعة تبقى منفصلة أو أنها تستمر في اتباع عاداتها. وينص البند على وجوب اتباع تقسيم عادل بين مختلف الجماعات داخل القبائل. (٤) العاني: الاسير. (٥) ما بين معكوفين سقط من الاصل واستدرك من ابن هشام. (٦) على معاقلهم الاولى: أي دفع الديات يجري حسب القوانين السائدة سابقا، " وبين المؤمنين " يمكن أن تعني استبعاد غير المؤمنين المنتمين لبني عوف. (٧) من ابن هشام. (*)

[٢٧٤]

٦ - وبنو جشم على ربعتهم (حسب المقطع الثالث). ٧ - وبنو النجار على ربعتهم (حسب المقطع الثالث). ٨ - وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم (حسب المقطع الثالث). ٩ - وبنو النبيت على ربعتهم (حسب المقطع الثالث). ١٠ - [وبنو أوس على ربعتهم] (١) (حسب المقطع الثالث). إلى أن قال: ١١ - وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا (٢) بينهم وإن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. ١٢ - ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. ١٣ - وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى، دسيعة (٣) ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم. ١٤ - ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن. ١٥ - وإن ذمة الله واحدة: يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ١٦ - وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم. ١٧ - وإن سلم المؤمنين واحدة: لا

يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء
وعدل بينهم. ١٨ - وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا (٤).
١٩ - وإن المؤمنين بيئ (٥) بعضهم علي بعض بما نال دماءهم في
سبيل الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. ٢٠ -
وانه لا يجبر مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن.
٢١ - وانّه من اعتبط (٦) مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى
ولي القتل، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. ٢٢
- وانّه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وأمن بالله واليوم
الآخر أن ينصر محدثا (٧) ولا

(١) من ابن هشام. وقولنا حسب كل مقطع زيادة استدركانه للايضاح. (٢) مفرحا: قال
ابن هشام: المفرح المثقل بالدين، والكثير العيال. (٣) دسيعة: من ابن هشام، وفي
الاصل دسيعة ظلم، وعند وات: وسيقه ظلم. (٤) يمكن أن تطبق هذه الجملة على
ركوب البعير، راجع قلهوزن وابن هشام. أو على أي واجب عسكري، راجع كابتاني.
(٥) بيئ: من البواء أي المساواة. (٦) من ابن هشام، وفي الاصل اغتبطه. واعتبطه:
قتله بلا جناية أو ذنب يوجب قتله. (٧) محدثا: المحدث الشخص الذي يحدث اضطرابا
في الوضع القائم. (*)

[٢٧٥]

بأويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا
يؤخذ منه صرف ولا عدل. ٢٣ - وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء
فإن مردّه إلى الله عزوجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم. ٢٤ -
وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. ٢٥ - وان يهود بني
عوف امة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم
وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (١) إلا نفسه وأهل بيته. ٢٦
- وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. ٢٧ - وان ليهود بني
الحرث مثل ما ليهود بني عوف. ٢٨ - وان ليهود بني ساعدة مثل ما
ليهود بني عوف. ٢٩ - وان ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.
٣٠ - وان ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف. ٣١ - وان ليهود
بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا
نفسه وأهل بيته. ٣٢ - وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم (٢). ٣٣
- وان لبني الشطيبة (٣) مثل ما ليهود بني عوف وان البر دون الاثم
(٤). ٣٤ - وان موالى ثعلبة كأنفسهم. ٣٥ - وان بطانة يهود
كأنفسهم (٥) ٣٦ - وانّه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد وانّه لا
ينحجر (٦) على ثأر جرح وانّه من فتنك نفسه فتنك وأهل بيته إلا من
ظلم وان الله على ابر (٧) من هذا. ٣٧ - وان على اليهود نفقتهم
وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب أهل

(١) يوتغ: يهلك. (٢) من وات. (٣) في الاصل الشطنة، وفي فنسك الشطيبة راجع
السمهودي. وأثبتنا ما في ابن هشام. (٤) العبارة من رقم ٢٦ إلى ٢٣ من وات،
وجاءت العبارة في الاصل وابن هشام: وان ليهود بني النجار، وبني الحارث وبني
ساعدة وبني جشم وبني الاوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة (الشطيبة) مثل
ما ليهود بني عوف. (٥) معنى بطانة غامض، ربما تعنى الذين تربطهم روابط وثيقة مع
بعض يهود المدينة. وهذه روابط الصداقة وليس الدم راجع القرآن سورة ٣ / ١١٤ - ١١٨
الآغاني ج ١٧ / ٥٦، ٢٢ ويقول فنسك: إنها تعنى العرب الذين انضموا لليهود قبل
محن الاوس والخزرج. (٦) في ابن هشام: ينحجر وعند وات: ينجز، ومعنى ينحجر:
كما في النهاية: انحجر جرحه للبرء انفجر، يعني التأم بعد اجتماعه. (٧) في الاصل:
أثر هذا. (*)

[٢٧٦]

هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم، وانه لم يَأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم. ٣٨ - [وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين] (١). ٣٩ - وان يثرب حرام جوفها (٢) لاهل هذه الصحيفة. ٤٠ - وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. ٤١ - وانه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها. ٤٢ - وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد رسول الله وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره. ٤٣ - وانه لا تجار قريش ولا من نصرها. ٤٤ - وان بينهم النصر على من دهم يثرب. ٤٥ - وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه فانهم يصلحونه ويلبسونه وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين (٣) إلا من حارب في الدين، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم. [٤٦ - وان يهود الاوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة، وان البر دون الاثم. ٤٧ - لا يكسب كاسب إلا على نفسه (٤)، وان الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وابره] (٥) وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم واثم وان الله جار لمن بر واتقى، [ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٦) (٧). كذا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول.

(١) من ابن هشام، وكررها وات أيضا كما عند ابن هشام وقد ذكرت العبارة تحت بند رقم ٢٤. (٢) من ابن هشام، وفي الاصل حرفها، ولعل المناسب أكثر والاقرب للصواب ما في النهاية: حرفها، والجرف: موضع قريب من المدينة. (٣) ربما يعني ذلك: ان هذا دين على المؤمنين راجع ف. رأيت " النحو العربي ". (٤) أو يعني: عليهم أن يحكموا دون الاهتمام بالمؤمنين. (٥) ما بين معكوفين زيادة من ابن هشام، سقطت من الاصل. (٦) ما بين معكوفين سقط من الاصل واستدرك من ابن هشام. (٧) تنظيم وترقيم مواد الشروط التي شرطها رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود أخذت من كتاب " محمد في المدينة - وات ". (*)

[٢٧٧]

فصل في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كما قال تعالى [والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] [الحشر: ٩] وقال تعالى: [والذين عاقدت ايمانكم فأتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا] [النساء: ٢٣]. قال البخاري: حدثنا الصلت بن محمد، ثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس [ولكل جعلنا موالي] قال: ورثة (والذين عاقدت ايمانكم) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمة للاخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالي) نسخت ثم قال: (والذين عاقدت ايمانكم فأتوهم نصيبهم) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له. وقال الامام أحمد فرئ على سفيان سمعت عاصما عن انس قال: حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دارنا قال سفيان: كأنه يقول أخي. وقال محمد بن إسحاق: وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار، فقال: - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - " تأخوا في الله أخوين أخوين " ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال " هذا أخي " فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير (١) ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول

الله صلى الله عليه وسلم أخوين وإليه أوصي حمزة يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين. قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة (٢). قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزيبر بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين، ويقال بل كان الزيبر وعبد الله بن مسعود (٣) أخوين،

(١) خطير: النظير والمثل. (٢) قال الواقدي: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود لا اختلاف فيه عندنا، وأما في رواية ابن إسحاق خاصة فلم يذكره غيره. وقال الواقدي معلقا على روايته: كيف يكون هذا؟ وإنما كانت المؤاخاة بينهم بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل يوم بدر، وجعفر قد هاجر قبل ذلك من مكة إلى الحبشة، وقدم بعد ذلك بسبع سنين. هذا وهل من ابن إسحاق. راجع طبقات ابن سعد ٣ / ٥٨٤. (٣) في الطبقات ج ٣ / ١٠٢: كان الزيبر وطلحة أخوين، وفي رواية له عن عروة وأخرى عن بشير بن (*)

[٢٧٨]

وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين، وطلحة [بن عبيدالله] (٢) وكعب بن مالك أخوين، وسعيد (٢) بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين. ويقال بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين. قلت: وهذا السند من وجهين. قال: وأبو ذر بربر بن جنادة (٣) والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة (٤) وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء [عويم بن ثعلبة] أخوين وبلال وأبو رويحة (٥) عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع (٦) أخوين. قال فهؤلاء ممن سمي لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم. قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، أما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لاجل ارتفاع بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لاحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل مصلحة علي إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم. وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه، فكيف يؤاخي بينه وبين

= عبد الرحمن بن كعب بن مالك: كان الزيبر وكعب بن مالك أخوين. (١) من ابن هشام. (٢) في ابن هشام: سعد. وفي الطبقات لابن سعد: سعيد وقد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين رافع بن مالك الزرقبي. (٣) وقال ابن هشام: يقال أبو ذر: جندب بن جنادة. قال ابن سعد في الطبقات: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المنذر بن عمرو وطليب بن عمرو. وعلق محمد بن عمر على قول ابن إسحاق قال: كيف يكون هكذا، وإنما أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قبل بدر وأبو ذر يومئذ غائب عن المدينة ولم يشهد بدرًا ولا أحدًا ولا الخندق وإنما قدم المدينة بعد ذلك. (٤) واسم أبي بلتعة: عمرو بن أشد بن معاذ. قال الواقدي: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عويم وعمر بن الخطاب. (٥) في طبقات ابن سعد: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين بلال وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعلق الواقدي على رواية ابن إسحاق قال: ليس ذلك بثبت ولم يشهد أبو رويحة بدرًا. (٦) قال السهيلي: الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن

[٢٧٩]

معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أرصد لآخوته إذا قدم حين يقدم، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الامام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، ثنا ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة. وكذا رواه مسلم منفردا به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم (١). وقال البخاري باب كيف أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه. وقال عبد الرحمن بن عوف: أخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة. وقال أبو جحيفة: أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما: حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن حميد، عن أنس قال: قدم عبد الرحمن بن عوف [المدينة] فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن: بآرك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق. فربح شيئا من أقط وسمن، فراه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام وعليه ضر من صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مهيم يا عبد الرحمن ؟ " قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الانصار. قال: " فما سقت فيها ؟ " قال وزن نواة من ذهب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أولم ولو بشاة " تفرد به من هذا الوجه. وقد رواه ايضا في مواضع آخر، ومسلم من طرق عن حميد به (٢). وقال الامام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس: أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري، فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بآرك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه فذهب فأشترى وباع فربح فجاء بشئ من أقط وسمن. ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مهيم ؟ " فقال: يا رسول الله تزوجت امرأة، قال: " ما أصدقها ؟ " قال وزن نواة من ذهب، قال " أولم ولو بشاة ". قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجرا لرجوت أن

(١) قال في طبقات ابن سعد عن الواقدي: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي عبيدة ومحمد بن مسلمة. وفي رواية أخرى للواقدي عن محمد بن إبراهيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة. وقال الواقدي: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص. وبشأن أبي طلحة قال عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي طلحة وأرقم بن الأرقم المخزومي (راجع طبقات ابن سعد ٣ / ٤١٠ و ٤٢١ و ٥٠٥). (٢) وأخرجه البخاري من حديث حماد بن زيد في ٦٧ كتاب النكاح ٥٦ باب كيف يدعى للمتزوج وأخرجه مسلم في ١٦ كتاب النكاح ١٢ باب الصادق. (٣) كذا في الاصل: ودع زعفران، وفي البيهقي ردع: بفتح الراء وسكون الدال: أثر الطيب. (*)

[٢٨٠]

أصيب ذهبا وفضة (١). وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فإنه لا يعرف مسندا إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا يزيد، أخبرنا حميد عن أنس. قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنة، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله. قال: " لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم " هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح من (٢). وقال البخاري: أخبرنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد، عن الاعرج، عن أبي هريرة. قال قالت الانصار: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا. تفرد به. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار " إن إخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا إليكم " فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أو غير ذلك ؟ " قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: " هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر ". قالوا نعم ! وقد ذكرنا ما ورد من الاحاديث والآثار في فضائل الانصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى: (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) الآية. فصل في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة (٣) ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية في قول وكان شابا وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضعات في هزم النبي كما تقدم. قال محمد بن إسحاق: وهلك في تلك الاشهر (٤) أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد بينى أخذته الذبحة - أو الشهقة -. وقال ابن جرير في التاريخ: أخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن

(١) وأخرجه في كتاب النكاح - أبو داود - باب قلة المهرح ٢١٠٩ ص ٢ / ٢٣٥ عن موسى بن إسماعيل. (٢) بياض في الاصل قدر كلمة: ولعله: من غيره. (٣) يكنى أبا أمامة وأمه سعاد ويقال الفريضة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأيجر وهو ابن خالة سعد بن معاذ ولم يعقب ذكرا. (٤) قال الواقدي: مات أسعد بن زرارة في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة، وذلك قبل بدر وقال الطبري في تاريخه: مات أسعد في سنة مقدمه صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته قبل أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجده. (*)

[٢٨١]

زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة في الشوكة. رجاله ثقات. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بنس الميت أبو أمامة، ليهود ومناققي العرب، يقولون: لو كان نبيا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا " وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد زعم أبو الحسن بن الاثير في [أسد] الغاية أنه مات في شوال بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر. فالله أعلم. وذكر محمد بن إسحاق: عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني النجار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم لهم نقيبا بعد أبي أمامة أسعد بن زرارة فقال: " أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم " وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم. قال ابن الاثير: وهذا يرد قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن

زرارة كان نقيباً على بني ساعدة، إنما كان على بني النجار، وصدق ابن الأثير فيما قال. وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ (١): كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبيحة أو الشهقة. قلت: وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقاء نزل في منزل هذا في الليل، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع (٢) رضي الله عنهما إلي أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم. قال ابن الأثير: وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعده أسعد بن زرارة. ذكره الطبري (٣).

(١) تاريخ الطبري ج ٢ / ٢٥٦ دار القاموس الحديث. (٢) قال في الطبقات: وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة. (٣) راجع الكامل في التاريخ ٢ / ١١٠ وتاريخ الطبري ٢ / ٢٥٦ وطبقات ابن سعد ٣ / ٦٣٣ و ٢ / ٦١١. وقال ابن الأثير في أسد الغابة: قيل أنه أول من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة ولم يدرك شيئاً من مشاهدته. ٤ / ٢٥٣. (*)

[٢٨٢]

فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما. وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود. ورواه الواقدي: عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنمة، عن أبيه عن جده، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، والصحيح ما قدمنا. فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة ونزلت بقاء فولدته بقاء، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تغل في فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه. فكان أول مولود ولد في الاسلام. تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي حبلى. حدثنا فتية عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي صلى الله عليه وسلم فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله ورجال أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء حامل متم أي مقرب قد دنا وضعها لولدها، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا. فصل وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة في شوال من هذه السنة قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع [بن الجراح] ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى بي في شوال، فأبى نساء

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به (١). وقال

(١) روى ابن سعد عن محمد بن عمر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زبارة عن عائشة: الحديث بنحوه وفيه زيادة: وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر. (*)

[٢٨٣]

الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري فعلي هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وان دخوله بها كان بالسنة نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردا لما يتوهمه (١) بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشئ لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت: تزوجني في شوال، وبنى بي في شوال - أي دخل بي - في شوال، فأبي نساته كان أحظى عنده مني ؟ فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نساته إليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص: قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال: " عائشة " قلت من الرجال قال " أبوها ". فصل قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت، وقال: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه. قلت: قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري: من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وروى من طريق الشعبي عن مسروق عنها. وقد حكى البيهقي عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية [النساء: ١٠١].

(١) قال أبو عاصم: إنما كره الناس أن يدخلوا النساء في شوال لطاعون وقع في شوال في الزمن الأول. فإن صح قول أبي عاصم يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد رفع هذا الوهم والتوهم عند الناس في كراهية الدخول بالنساء في شوال. (راجع طبقات ابن سعد ٨ / ٦٠). (*)

[٢٨٤]

فصل في الاذان ومشروعيتها قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع كباثر (١) الانصار استحكم أمر الاسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها

إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين موافقتها بغير دعوة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بوقاً (٢) كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (٣) أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال قلت ندعو به إلى الصلاة، قال ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت وما هو؟ قال تقول، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها فإنه أئدى (٤) صوتاً منك" فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله فله الحمد [على ذلك]. قال ابن إسحاق: فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه. وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما. وعند أبي داود أنه علمه الإقامة قال: ثم تقول إذا أقمت

(١) في ابن هشام: أمر. (٢) في رواية البخاري بوقة وفي رواية لمسلم والنسائي قرناً وقيل القنق وقيل الشبور وهذه الالفاظ الاربعه (القنق - الشبور - البوقة - القرن) بمعنى واحد وهو الذي ينفخ فيه ليخرج منه الصوت. (٣) هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الانصاري الخزرجي المدني البديري، من سادة الصحابة، شهد العقبة وبدرا، وهو الذي أرى الأذان، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة له أحاديث كثيرة توفي سنة اثنتين وثلاثين (ترجمته في العبر للذهبي ١ / ٣٣ تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢٢ الاصابة ٢ / ٢١٢، طبقات ابن سعد ٣ / ٥٣٦ تاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ١ / ٣٦٠. (٤) أئدى: أقوى وأبعد. (*)

[٢٨٥]

الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. وقد روى ابن ماجه هذا الحديث: عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن إسحاق كما تقدم (١). ثم قال: قال أبو عبيد: وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الانصاري قال في ذلك: الحمد لله ذي الجلال وذي الا * كرام حمداً على الأذان كبيراً إذ أتاني به البشير من الا * ه فأكرم به لدي بشيراً في ليل والى بهن ثلاث * كلما جاء زادني توقيراً قلت: وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليل حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم. ورواه الامام أحمد من حديث محمد بن إسحاق قال: وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي، ثنا أبي، عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس لما يهمهم من الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصراني. فأرى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن به. قال

الزهرى: وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سيقني، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الاذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة. فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البزار: حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبي، عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الاسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الاذان وكلمنا قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأمر بأهل السماء وفيهم آدم ونوح. ثم قال السهيلي وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية (٢) وهو من المتهمين. ثم لو كان هذا قد سمعه

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ح ٤٩٩ وابن ماجه ح ٧٠٨ والامام أحمد في مسنده ٤ / ٤٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٧ / ١٧ - ١٨ والسنن الكبرى ١ / ٢٩٠ وابن إسحاق دون ذكر حديث الاقامة في السيرة ٢ / ١٥٤. (٢) قال الاسفرايني في الفرق بين الفرق: ص ٢٢: الجارودية فرقة من الفرق الزيدية من اتباع المنذر بن عمرو المعروف بابي الجارود كفروا الصحابة لتركهم بيعة علي، وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بالنص دون (*)

[٢٨٦]

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء لاوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة والله أعلم. قال ابن هشام: وذكر ابن جريج. قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [بالناقوس] (١) للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بما رأى وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك " قد سبقك بذلك الوحي " وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسجرتي، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم أحمك واستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت ثم يؤذن، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة - يعني هذه الكلمات - ورواه أبو داود من حديثه منفردا به (٢). فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال ابن جريج: وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين (٣) ليعترض لغيرات قريش وأن حمزة لقي أبا جهل (٤) في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي (٥).

الاسم. وافترقت الجارودية في الامام المنتظر فرقا: فمنهم من لم يعين واحدا بالانتظار ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة. (١) من ابن هشام. ح ٢ / ١٥٥. (٢) سنن ابن داود كتاب الصلاة

باب الأذان فوق المنارة ح ٥١٩ ص ١ / ١٤٣ وسيرة ابن هشام ج ٢ / ١٥٦. (٣) قال ابن سعد: قال بعضهم كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار. والمجتمع عليه أنهم كانوا جميعا من المهاجرين ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بهم بدر وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعون في دارهم، وهذا ثبت عندنا. (٤) التقى حمزة وأبو جهل سيف البحر، يعني ساحله من ناحية العيص، وكانت غير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة. (٥) أبو مرثد واسمه كناز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، قال ابن سعد: كانت راية حمزة أول راية = (*)

[٢٨٧]

فصل في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف] لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رايغ (١). وكان لواءه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وأنهم اتفقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء (٢) وكان بينهم الرمي دون المسابقة. قال الواقدي: وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا، وقيل كان عليهم مركز بن حفص (٣). فصل [في سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار] (٤) قال الواقدي: وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة (٥) - عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار (٦) لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود، فحدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه] (٧). قال: خرجت في عشرين رجلا على أقدامنا، أو قال أحد وعشرين رجلا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم. قال

= عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لآحد في الإسلام - وإلى ذلك ذهب ابن عبد البر - وقال بعضهم أن راية عبيدة كانت الأولى. وقال ابن سعد قال ابن إسحاق بل كانت راية عبيدة بن الحارث. وقال ابن الأثير في الكامل: قال بعضهم كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده، وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض. (١) بطن رايغ: وهي على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديد. (٢) أحياء: وفي رواية ابن إسحاق: ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة. (٣) في رواية ابن إسحاق: كان على القوم عكرمة بن أبي جهل. (٤) عنوان سقط من الأصل، زيادة استدر كناها للإيضاح. (٥) على راس تسعة أشهر من الهجرة. (٦) في الكامل لابن الأثير: إلى الأبواء، وفي ابن هشام أن غزوة قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة. (٧) من الطبري. (*)

[٢٨٨]

الواقدي: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن إسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ. قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب المغاري في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوما نحن فيه إن شاء الله، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى، وسنزيدها بسطا وشرحا إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى. والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالبا فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل والله الحمد والمنة. فصل وممن ولد في هذه السنة المباركة - وهي

الأولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى. قال ابن جرير: وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الأولى (١) فالله أعلم. وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة، كلثوم بن الهدم الأوسي الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسكنه بقاء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم، وبعده - - فيها أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبني المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وارضاهما. قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني الأولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بما له بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة. قلت: وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عزوجل.

(١) من الطبري، وفي الأصل: السنة الثانية وهو تحريف. (*)

[٢٨٩]

بسم الله الرحمن الرحيم ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغي. وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان كتاب المغازي قال الامام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أخبار اليهود ونصيبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات، فمنهم حيي بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي، وسلام (١) بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الأعور، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير، ومن بني ثعلبة بن الفطيمون عبد الله بن سوريا، ولم يكن بالحجاز - بعد - أعلم بالتوراة منه. قلت: وقيل إنه أسلم، وابن صلوبا ومخيريقي وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان حبر قومه، ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن شيخان (٢) وعزيز بن أبي عزيز وعبد الله بن ضيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص وأشيع ونعمان بن ضا، وبحري بن عمرو، وشاش بن عدى، وشاش بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمير (٣) وسكين بن أبي سكين، وعدى بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس، ومحمود بن

(١) سلام: يروي بتخفيف اللام كما يروي بتشديدها. ومن رواها بالتخفيف استشهد بقول الشاعر: سقاني فأرواني كميتا مدامة * على عجل مني سلام بن شكم (٢) في ابن هشام: محمود بن سبحة (٣) في ابن هشام: عمرو. (*)

[٢٩٠]

دحية، ومالك بن سيف (١) وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع، وخالد وازار بن أبي ازار. قال ابن هشام: ويقال أزر بن أبي أزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام. قلت: وقد تقدم إسلامه رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وكان حبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. قال ابن إسحاق: ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شموال وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الاحزاب وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينه، والنحام بن زيد، وكردم بن كعب (٢) ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع، [وأبو نافع] (٣) وعددي بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن زميلة (٤)، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهودا. قال ومن بني زريق، ليبد بن أعصم وهو الذي سحر (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يهود بني حارثة، كنانة بن صوريا. ومن يهود بني عمرو بن عوف قردم بن عمرو، ومن يهود بني النجار، سلسلة ابن برهام. قال ابن إسحاق: فهؤلاء أخبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعنت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لامر الاسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخبريق، ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام (٦) وإسلام عمته خالدة [بنت الحارث] كما قدمناه وذكر إسلام مخبريق يوم أحد كما سيأتي وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت - يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه وخرج

(١) ويروي: الضيف وهما روايتان فيه. (٢) في ابن هشام: قردم بن كعب. (٣) من ابن هشام، سقطت من الاصل. (٤) في ابن هشام: رميلة بالراء. (٥) في ابن هشام: أخذ، وأخذ من الاخذة وهو ضرب من السحر. قال السهيلي: وهذا الحديث مشهور عند الناس ثابت عند أهل الحديث غير أنني لم أجد في الكتب المشهورة لم ليث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك السحر حتى شفي منه. ووجدت في جامع معمر بن راشد: روى معمر عن الزهري قال: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة. والحديث أخرجه البخاري عن أنس بن عياض في ٨٠ كتاب الدعوات ٥٧ باب فتح الباري ١١ / ١٩٢ ورواه البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وأخرجه من أوجه أخر عن هشام ورواه البيهقي في الدلائل عن الكلبي عن أبي صالح، أبي النضر الكوفي، عن ابن عباس ج ٦ / ٢٤٧ - ٢٤٨. (٦) قال السهيلي: سلام بتخفيف اللام ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين ويقال سلام بالتشديد، وسلام بالتخفيف في اليهود. (*)

[٢٩١]

وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الاموال - ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغني " مخبريق خير يهود " (١). فصل ثم ذكر ابن إسحاق من مال إلى هؤلاء الاضداد من اليهود من المنافقين من الاوس والخزرج فمن الاوس زوى بن الحارث، وجلاس بن سويد بن الصامت الانصاري وفيه نزل: (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) [التوبة: ٧٤] وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير، فنامها ابن امرأته عمير بن سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك. قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد، وهو الذي قتل المجذر بن زياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد، خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلتهما ثم لحق بقريش. قال ابن

هشام: وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب (٢) الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد، كذا قال ابن هشام. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعث رماه بسهم فقتله. وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد، قال لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد. قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم. أمر عمر بن الخطاب بقتله أن هو ظفر به، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصة. قال: ويجاد بن عثمان بن عامر، ونبيل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا " وكان حسيما أدلم (٣) ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين، وكان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه بشئ صدقه.

(١) علل السهيلي قوله: مخيريق خير يهود قال: ومخيريق مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم: هو خير النصارى ولا خير اليهود، فإن قيل وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال: خير يهود، ولم يقل: خير اليهود، ويهود اسم علم كتمود.. (٢) تقدم التعليق على مقتلته، وكان ذلك يوم بعث. (٣) الأدلم: الأسود الطويل، وقيل هو المسترحي الشفتين. (*)

[٢٩٢]

فأنزل الله فيه: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) [التوبة: ٦١] الآية. قال: وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار، وتعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكفنا، فنزل فيهما ذلك، ومعتب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا فنزل فيه (١) الآية. وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه: (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا). قال ابن إسحاق: والحارث بن حاطب. قال ابن هشام. ومعتب بن قشير وتعلبة والحارث ابنا حاطب، وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم. قال وقد ذكر ابن إسحاق وتعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر (٢). قال ابن إسحاق: وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبخرج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام (٣) وعبد الله بن نبتل، وجارية بن عامر بن العطاف، وابناه يزيد (٤) ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلي بهم فيه، فلما خرب مسجد الضرار - كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك - وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فحلف بالله ما علمت بشئ من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم. قال ووديعه بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك (٥). قال وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره. قال ابن هشام مستدركا على ابن إسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد. قال ابن إسحاق: ومربع بن قيظي - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد: لا أحل لك إن كنت نبيا أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أنني لا

(١) نزل فيه قوله تعالى: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الأمر شيء...) (٢) ذكرهما الواقدي في المغازي في أهل بدر، وقال: الحارث بن حاطب رده من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره ١ / ١٥٩. (٣) في ابن هشام: عمرو بن خذام. (٤) في ابن هشام: زيد. (٥) نزل فيه قوله تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون). (*)

[٢٩٣]

أصيب بها غيرك لرميتك بها، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر " (١) وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشججه. قال وأخوه أوس بن قبيصة وهو الذي قال [لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق] (٢): إن بيوتنا عورة. قال الله: (وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) [الأحزاب: ١٣] قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسا (٣) في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة فإنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون: أبشر بالجنة يا ابن حاطب. قال: فنجم نفاق أبيه فجعل يقول: أجل جنة من حرمل، غررتم والله هذا المسكين من نفسه. قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه: (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآيات (٤). قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة (٥) نفر، ثم لما ألمته الجراحة قتل نفسه وقال: والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله. قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الأوس. قال ابن إسحاق: ومن الخزرج رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل، والجد بن قيس وهو الذي قال: [يا محمد] أئذ لي ولا تفتني، وعبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوهم عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شق اللعين بريقه وغاظه ذلك جدا، وهو الذي قال (٦): لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جدا، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوئل وسويد وداعس وهتم من رهطة نزل قوله تعالى: (لئن أخرجوا لا يخرجون

(١) في ابن هشام: أعمى البصيرة. (٢) من ابن هشام. (٣) عسا: أي كبر وأسن. (٤) وأما قصة نزول هذه الآيات فهي: أن بني أبيرق - بشر ومبشر وبشير، نهب أحدهم أو كلهم مشرية لرفاعة بن زيد وسرقوا له طعاما وأدراعا، فجاء ابن أخيه قتادة يشكو الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أحد بني الأبيرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغريا هذه التهمة ومدافعا ومنكرا وطالب بالبيئة وجعل يجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أغضبه على قتادة ورفاعة فأنزل الله تعالى (ولا تجادل) وكان البرئ الذي اتهم بالسرقة ليبد بن سهل وقد رماه بالسرقة بنو الأبيرق، فبرأه الله فهرب بنو الأبيرق - هرب من سرق منهم - إلى مكة ونزل على سلافة بنت سعد بن شبيب.. فقال فيها حسان شعرا، فأخرجته من بيتها فهرب إلى خيبر.. حيث مات وهو يسرق بيتا وقع حائطه عليه فقتله. (٥) في نسخة لابن هشام: تسعة. وفي نسخة أخرى: بضعة نفر. (٦) وكان ذلك في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها فيه وفي رهطة المنافقين. (*)

[٢٩٤]

معهم) الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير. فصل [في إسلام بعض أخبار يهود نفاقا] (١) ثم ذكر ابن إسحاق من أسلم من أخبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم، سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دنني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها " فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك. قال ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات - فيما بلغنا -: " قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين " ورفاعة بن زيد بن التابوت: وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك (٢) فقال: " إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار " فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا. فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب آلتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلبيه بردائه، ثم نثره نثرا شديدا (٣) ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقا خبيثا. وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما لدمة في صدره خر منها قال يقول: خدشتني يا عمارة، فقال عمارة. أبعذك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع

(١) زيادة استدركت لمزيد من التوضيح. (٢) في ابن هشام: من غزوة بني المصطلق.
(٣) في النهاية: النثر جذب فيه قوة وجفوة. (*)

في قفاه حتى أخرجه. وقام رجل من بني خدره (١) إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمرة - فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا (٢) الحارث، فقال: إنك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك نجس، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفا وأفف منه وقال: غلب عليك الشيطان وأمره، ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة، ومن سورة التوبة، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله (٣). أول المغازي وهي غزوة البواء أبو غزوة ودان وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي. قال البخاري " كتاب المغازي " (٤). قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم البواء. ثم بواط، ثم العشيبة. ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: تسع

عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة - أو العشييرة - .
وسياتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشييرة إن شاء الله وبه الثقة. وفي صحيح البخاري عن بريدة قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة، وفي رواية له عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثمانين منهن. قال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان، يوم بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقديد، وخيبر، ومكة، وحنين. وبعث أربعاً وعشرين سرية وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التنوخي ثنا الهيثم بن حميد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثمانية عشر غزوة، قاتل في ثمان غزوات، أولهن بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف (٥) قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر، والصحيح أنها بعد أحد كما سياتي. قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين عشرة غزوة، وسمعت مرة أخرى يقول أربعاً

(١) ذكر ابن هشام في السيرة اسم الرجل: عبد الله بن الحارث من بني الخزرج. (٢) في ابن هشام: يا بن الحارث. (٣) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ / ١٧٧ وما بعدها. (٤) في البخاري: كتاب المغازي - باب غزوة العشييرة أو العسيرة ج ٥ / ١٧٦. (٥) الغزوات المذكورة تسع لا ثمانين. (*)

[٢٩٦]

وعشرين. فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئاً سمعه بعد ذلك. وقد روى الطبراني عن الدبري (١) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد في مسنده: حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر. قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة. وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة: أن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين. ثم قال الحاكم: لعله أراد السرايا (٢) دون الغزوات، فقد ذكرت في الأكليل على الترتيب بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه زيادة على المائة. قال وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله بن نصر، السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين. وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر. وقد روى الامام أحمد: عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثلاث وأربعون: أربع وعشرون بعثاً، وتسع عشرة غزوة. خرج في ثمان منها بنفسه، بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وخيبر، وفتح مكة وحنين. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: هذه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان (٣)، ثم حج أبو بكر سنة تسع، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع سنة عشر، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزاة غزاها

(١) في الاصل: الدرّي، والصواب الدرّي وهو إسحاق بن إبراهيم الدرّي. (٢) اتفق أصحاب السير والرواة أن الغزوة هي الحرب التي يحضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ويقاوم فيها، وأما البعث أو السرية فيكلف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه أو طائفة منهم. وقد اختلف أصحاب السير في عدد غزواته وسراياه. والاقرب للصحة أنه خرج في سبع وعشرين غزوة قاتل في تسع منها - وقال ابن سعد ويقال قاتل في بني النضير ووادي القرى وقاتل في الغابة - وبلغ عدد بعوثه وسراياه سبعا وأربعين. وذكر الصالحى أسماء الغزوات في السيرة الشامية ٤ / ١٦ قال هي: غزوة الابداء - (ودان) - غزوة بواط - غزوة سفوان - بدر الاولى - غزوة العشيرة - غزوة بدر الكبرى - غزوة بني سليم - (فرقر الكدر) غزوة السويق، غزوة غطفان، غزوة الفرع، غزوة بني قينقاع، غزوة أحد، غزوة حمراء الاسد، غزوة بني النضير، غزوة بدر الموعد، غزوة دومة الجندل، غزوة المريسيع، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة، غزوة بني لحيان، غزوة الحديبية، غزوة ذي قرد، غزوة خيبر، غزوة ذات الرقاع، غزوة عمرة القضاء، غزوة فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف، غزوة تبوك. (٣) قال الواقدي في المغازي ١ / ٦: وحج الناس سنة ثمان، ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد على الحج، ويقال حج الناس أوزاعا (متفرقين) بلا أمير. (*)

[٢٩٧]

الابداء. وقال حنبل بن هلال عن إسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي (الرقى) عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر بن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكان أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان، إلى أن قال ثم غزا بني النضير، ثم غزا أحدا في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع (١)، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس (٢)، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست (٣)، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان (٤) سنة ثمان، وكانت حنين في رمضان (٥) سنة ثمان. وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها، فكانت أول غزوة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الابداء. ثم العشيرة، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة الابداء (٦) ثم غزوة بدر الاولى، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة الصفراء، ثم غزوة تبوك آخر غزوة. ثم ذكر البعوث، هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جدا، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتبا. وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن. قال الواقدي: وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا وقال محمد بن إسحاق (رح) في المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين، قال: وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فأقام بقية شهر ربيع الاول، وشهر ربيع الآخر وجماديين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون. والمجرم، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا في صفر على رأس اثني عشر (٧) شهرا من مقدمه المدينة. قال ابن

(١) في مغازي الواقدي: في ذي القعدة سنة خمس. (٢) في الواقدي: في ربيع الاول سنة ست. (٣) في الواقدي: في جمادى الاولى سنة سبع. (٤) في الواقدي: لثلاث عشرة مضت من رمضان. (٥) في الواقدي: في شوال. (٦) كذا في الاصل: كرر غزوة الابواء مرتين، وفي ابن هشام: الابواء، بواط، العشيرة.. الخ. (٧) في الواقدي: أحد عشر شهرا، وفي كامل ابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم عقد لسعد بن أبي وقاص وسيره إلى الابواء في ذي القعدة من السنة الاولى لمقدمه المدينة. وقال الطبري في تاريخه: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول جميع أهل السير فيها؟ - أي في السنة الثانية - في ربيع الاول بنفسه غزوة الابواء. وقال الواقدي: غاب خمس عشرة ليلة. (*)

[٢٩٨]

هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عبادة. قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان (١) وهي غزوة الابواء (٢)، قال ابن جرير: ويقال لها غزوة ودان أيضا، يريد قريشا وبنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه (٣) منهم مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك. ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول. قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها عليه السلام. قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة، وكان أبيض. [سرية عبدة بن الحارث] (٤) قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الاسلام. ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قال ابن إسحاق: وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل. وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء (٥) عن أبي عمرو المدني أنه قال: كان عليهم مكرز بن حفص. قلت: وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان، أحدهما أنه مكرز، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم. ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر [الصديق في هذه السرية التي أولها: أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث * أرقت وأمر في العشيرة حادث

(١) ودان: بفتح الواو: قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع، وقيل: واد على الطريق يقطع المصعدون من حجاج المدينة. وتبعد عن الابواء ستة أميال هي بحذائها: قاله الطبري. (٢) الابواء: قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. (٣) في مغازي الواقدي: وادعهم على ألا يكتروا عليه، ولا يعينوا عليه أحدا، ثم كتب بينهم وبينه كتابا. أنظر في غزوة الابواء ابن هشام ج ٢ وابن سعد ج ٢ والواقدي ج ١ والطبري ج ٢ والدرر لابن عبد البر ٩٦ وسبل الهدى ج ٤ ودلائل البيهقي ج ٢. (٤) سقط من الاصل، عنوان استدركناه من كتب السير والمغازي. لمزيد من التوضيح والتبويب. (٥) في سيرة ابن هشام: قال ابن هشام: حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء. (*)

[٢٩٩]

ترى من لؤي فرقة لا يصددها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث رسول
أناهم صادق فتكذبوا * عليه وقالوا لست فينا بماكث إذا ما دعوناهم
إلى الحق أدبروا * وهروا هرب المحجرات اللواهث (١) القصيدة إلى
آخرها، وذكر جواب عبد الله بن الزبيري في مناقضتها التي أولها: أمن

رسم دار أقفرت بالعتاثة * بكيت بعين دمعها غير لاث (٢) ومن عجيب الايام - والدهر كله * له عجب - من ساقيات وحادث لجيش أتانا ذي عرام يقوده * عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث لنترك أصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارث وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الامام عبد الملك بن هشام (رح) وكان إماما في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين (٣). قال ابن إسحاق وقال سعد بن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون: ألا هل أتى رسول الله أني * حميت صحابتي بصدر نبلي أذود بها أوائلهم ذيادة * بكل حزنه وبكل سهل فما يعتد رام في عدو * بسهم يا رسول الله قبلي وذلك أن دينك دين صدق * وذو حق أثبت به وفضل (٤) ينجي المؤمنون به ويخزي * به الكفار عند مقام مهل فمهلا قد غويت فلا تعيني * غوي الحي ويحك يا ابن جهل (٥) قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد. قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام لاحد من المسلمين. وقد خالفه الزهري وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول امراء السرايا عبد الله بن جحش الاسدي.

(١) هروا: وثبوا كما تنب الكلاب: المحجرات وفي ابن هشام: المحجرات: وهي الكلاب التي أبحرت أي ألجئت إلى مواضعها. (٢) العتاثة: واحدها عثت وهي أكداس الرمل التي لا تنبت شيئا. (٣) يرجح قول ابن هشام في نفيه القصيدة ونسبتها إلى أبي بكر، ما روى عروة عن عائشة ابنة أبي بكر أنها قالت: كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الاسلام. (٤) في ابن هشام: وعدل مكان وفضل. (٥) المراد عكرمة بن أبي جهل، وكان كما في رواية علي القوم سيدهم وأمرهم. (*)

[٢٠٠]

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابهاء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري. فصل [في سرية حمزة بن عبد المطلب] (١) قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار (٢) أحد فلقني أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين جميعا، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال. قال ابن إسحاق: وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشببه ذلك على الناس. قلت: وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابهاء. فلما قفل عليه السلام من الابهاء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم. وقد تقدم عن الواقدي أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الاولى، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم. وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعرا يدل على أن رايته أول راية عقدت في الاسلام، لكن قال ابن إسحاق: فان كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلا حقا، والله أعلم أي ذلك كان. فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول. والقصيدة هي قوله: ألا يا لقومي للتعلم والجهل * وللنقض من رأي الرجال وللعقل وللرا كبيننا بالمظالم لم نطأ * لهم حرمان من سوام ولا أهل كانا بتلناهم ولا بتل (٣) عندنا * لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل

(١) زيادة استدر كناها من كتب المغازي لما يقتضيه حسن التيوب. (٢) قال الواقدي: بعته في ثلاثين راكبا شطرين: خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الانصار وسمى من المهاجرين تسعة وذكر من الانصار: ابي بن كعب، وعمارة بن حزم، وعبادة بن الصامت، وعبيد بن اوس، واوس بن خولي، وأبو دجاجة، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك، وعبد الله بن عمرو بن حرام وقطية بن عامر بن حديدة. وما ذكره الواقدي بعيد، لان المجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث أحدا من الانصار حتى غزا بهم بدرًا، قال الواقدي في آخر حديثه: وهو المثبت عندنا. (٣) البتل: القطع، وفي ابن هشام: تبلناهم ولا تبل: التبل: العداوة، وتبلناهم: عاديناهم وتروى: تبلناهم = (*)

[٢٠١]

وأمر باسلام فلا يقبلونه * وينزل منهم مثل منزلة الهزل فما برحوا حتى انتدبت لغارة * لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل بأمر رسول الله أول خافق * عليه لواء لم يكن لاح من قبل لواء لديه النصر من ذي كرامة * إله عزيز فعله أفضل الفعل عشية ساروا حاشدين وكلنا * مراجله من غيظ أصحابه تغلي فلما تراءينا أناخوا ففعلوا * مطايا وعقلنا مدى غرض النيل وقلنا لهم حبل الاله نصيرنا * وما لكم إلا الضلالة من حبل فثار أبو جهل هنالك باغيا * فخاب ورد الله كيد أبي جهل وما نحن إلا في ثلاثين راكبا * وهم مائتمان بعد واحدة فضل فيال لؤي لا تطيعوا غوانكم * وفيئوا إلى الاسلام والمنهج السهل فإني أخاف أن يصب عليكم * عذاب فتدعوا بالندامة والتكل قال فأجاب أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال: عجت لاسباب الحفيظة والجهل * وللشاعيين بالخلاف وبالبطل وللتاركين ما وجدنا جدودنا * عليه ذوي الاحساب والسؤدد الجزل ثم ذكر تمامها. قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله عنه ولابي جهل لعنه الله. غزوة بواط (١) من ناحية رضوى قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول - يعني من السنة الثانية - يريد قريشا. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مطعون. وقال الواقدي: استخلف عليها سعد بن معاذ. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي راكب، وكان لواءه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير. قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فلبث

= ولا نبل: بالنون، يعني نزميهم بالنبل. (١) بواط: جبال من جبال جهينة، يقرب بينج بينها وبين المدينة نحو أربعة برد، وهي قريب من ذي خشب مما يلي طريق الشام. قال السهيلي: بواط: جبالان فرغان لاصل واحد، أحدهما جلسى والأخر غوري. (*)

[٢٠٢]

بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الاولى]. غزوة العشيرة (١) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد. قال الواقدي: وكان لواءه مع حمزة بن عبد المطلب. قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام. قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة بيطحاء ابن أزهري يقال لها: ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فرسوم أئافى البرمة معلوم هناك، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق (٢) بيسار وسلك شعبة عبد الله،

ثم صب للشاد (٣) حتى هبط ملل (٤)، فنزل بمجمعه ومجتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات الإمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها حمادى الأولى وليال من حمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيذا. وقد قال البخاري (٥): حدثنا عبد الله [بن محمد] ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي إسحاق. قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقبل له كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة؟ قال: سبع عشرة. قلت كم غزوت أنت معه؟ قال سبع عشرة غزوة، قلت فأيهن كان أول؟ قال العشير - أو العسير - فذكرت لقتادة فقال: العشير. وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة، ويقال بالسنين وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم. قال محمد بن إسحاق: ويومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ما قال. فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم (٦) عن محمد بن كعب القرظي، حدثني أبو يزيد محمد بن محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر. قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام

(١) العشيرة: من ناحية ينبع بين مكة والمدينة. (٢) الخلائق: البئر التي لا ماء فيها. وقال السهيلي: بالحاء المهملة: أبار معلومة. وقال ياقوت: وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بناوحي المدينة. (٣) في ابن هشام: لليسار. (٤) في ابن هشام: ليليل، وهي قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تسمى البحيرة. (٥) كتاب المغازي - باب غزوة العشيرة ح ١ ص ١٧٦ / ٥. (٦) في ابن هشام: ابن خثيم. في الموضعين. (*)

[٣٠٣]

بها شهرا فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة فوادعهم، فقال لي علي بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر - من بني مدلج يعملون في عين لهم - ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء (١) من الأرض فنمنا فيه. فوالله ما أهبنا إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: " يا أبا تراب " لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: " ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ " قلنا بلى يا رسول الله فقال: " أحيمر (٢) ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه - حتى تبل منها هذه - ووضع يده على لحيته - " وهذا حديث غريب من هذا الوجه له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب كما في صحيح البخاري: أن عليا خرج مغاضبا فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فقالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: " قم أبا تراب قم أبا تراب " (٣). غزوة بدر - الأولى (٤) قال ابن إسحاق: ثم لم يقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه. وقال الواقدي: وكان لؤلؤه مع علي بن أبي طالب. قال ابن هشام والواقدي: وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة. قال ابن إسحاق: فرجع رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعدا في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز. قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيدا. هكذا ذكره (١) دقعاء: التراب اللين. (٢) أحيمر ثمود: هو الذي عقر ناقة صالح واسمه قدار بن سالف وقد تقدم. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد عن سهل بن سعد. وأخرجه أيضا في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي - عن سهل بن سعد. وأخرجه في كتاب الأدب باب التكني بأبي تراب. (٤) قال الواقدي: غزوة بدر الأولى وقعت قبل غزوة العشيرة، وكانت في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا، وأما غزوة العشيرة فكانت في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا. (أنظر مغازي الواقدي ١ / ١٢ - ابن سعد ٢ / ٩ - الطبري ٢ / ٢٩١). (*)

[٢٠٤]

ابن إسحاق مختصرا وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة، أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عبدة في شوال، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى. وقد قال الامام أحمد: حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدثني يحيى بن سعيد، وقال عبد الله بن الامام أحمد: وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي، ثنا المجالد، عن زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص. قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا، فأوثق لهم فأسلموا قال فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير علي حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيرا فلجانا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون؟ فقال بعضنا نأتي نبي الله فنخبره، وقال قوم لا بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي لا بل نأتي غير قريش فنقتطعها. وكان الفئ إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه. فقال: "أذهبتم من عندي جميعا ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لابعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم علي الجوع والعطش" فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير في الإسلام. وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه: لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه. فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم (١). وهذا الحديث يقتضي أن أول سرايا عبد الله بن جحش الأسدي وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعبدة بن الحارث بن المطلب، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم. باب سرية عبد الله بن جحش التي كان سببها لغزوة بدر العظمى (٢) وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رثاب (٣) الأسدي في

(١) دلائل البيهقي ج ٣ / ١٤ - ١٥. (٢) كذا العبارة في الاصل، ولعل الصواب: التي كانت سببا لغزوة بدر العظمى. (٣) عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عاصم بن ثابت شهد بدرا وكان أحد أعظم أبطال غزوة أحد واستشهد فيها، قتله

أبو الحكم الاخنس بن شريق وقد مثل به، دفن هو وحمزة في قبر واحد، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب، كان له يوم قتل نيف وأربعون سنة. (*)

[٢٠٥]

رجب مقله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمة، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضا، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضا، وسهل بن بيضاء الفهري (١) فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه. وقال يونس عن ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فإله أعلم. قال ابن إسحاق: وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدا. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر في الكتاب قال: سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فإماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد. وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن، فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، قال ابن هشام: وأسم الحضرمي عبد الله بن عباد [أحد] (٢) الصدق (٣) وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما راهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه. فلما رآه أمنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم، وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم، وهابوا الأقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وقابل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش

(١) لم يأت الواقدي على ذكره، وفي رواية للطبري عن السدي ذكر عمار بن ياسر وعامر بن فهيرة، وقال كانوا سبعة نفر عليهم ابن جحش. وقال الواقدي: سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لم يشهدا الواقعة. وقال ابن سعد: بعثه في اثني عشر رجلا من المهاجرين. (٢) من ابن هشام. (٣) قال ابن هشام: وأسم الصدق: عمرو بن مالك. (*)

[٢٠٦]

أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فعزله، وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل

الخمسة. قال لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن إسحاق، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام " فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً (١) فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم أخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الاموال، وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود: تقاتل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) [البقرة: ٢١٧] أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) الآية. قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا نغد يكموهما حتى يقدم صاحباناً " يعني سعد بن أبي وقاص وعنتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما. فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم. فقدم سعد وعنتبة فافداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً. قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الاجر، فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) [البقرة: ٢١٨] فوصفهم (٢) الله من ذلك على أعظم الرجاء. قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك

(١) قال الواقدي عن أبي بردة بن نيار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف غنائم أهل نخلة، ومضى إلى بدر، حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر، وأعطى كل قوم حقهم. (٢) في ابن هشام: فوضعهم. (*)

[٢٠٧]

عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحواً من هذا وفيه، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين. وقال عبد الملك بن هشام: هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون (١). قلت: وقد تقدم فيما رواه الامام أحمد: عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الاسلام، وقد ذكرنا في التفسير لما

أورده ابن إسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح، أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب بكى صباية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن [لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وقال " لا تكرهن أحدا على المسير معك من أصحابك " فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله، فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان (٢) وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية. وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره: عن أبي مالك، عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله البربوعي حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه: أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص فإنني موص وماض لا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار وتخلف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما فأقاما (٣) يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة. فذكر قتل واقد لعمر بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والأسيرين فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وقال المشركون إن محمدا يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون إنما

(١) معاري الوافدي ١ / ١٣ / النويري ١٧ / ٦ ابن هشام ٢ / ٢٥٧ الدرر ص ٩٩. دلالت النبوة للبيهقي ٣ / ١٧. (٢) في الطبري: رجلا. وفي البيهقي عن الزهري: تخلف رجلان. (٣) في الطبري: فأتيا بحران يطلبانها. (*)

[٢٠٨]

قتلناه في جمادى. قال السدي (١): وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة. قلت: لعل جمادى كان ناقصا فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين، وقد كان الهلال رؤى تلك الليلة فالله أعلم. وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم. وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فأقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي فالله أعلم أي ذلك كان: قال الزهري عن عروة فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي (٢). قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام. قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش: تعدون قتلا في الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشيد راشد صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء

وشاهد وإخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى الله في البيت ساجد فانا وإن غيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد سقينا من ابن الحضرمي رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاند فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر وقال بعضهم: كان ذلك في رجب من سنة ثنتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق. وقد روى أحمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم. وقيل في شعبان منها. قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش: ويقال صرفت القبلة (٣) في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في الطبري: وقيل، متابعا للسدي كلامه. (٢) دلالات النبوة ٣ / ١٧. (٣) كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى صخرة بيت المقدس، وكان أول ما فرضت القبلة إليها والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة، وكان يجب = (*)

[٣٠٩]

المدينة. وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة. قال الجمهور الاعظم: إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون) [البقرة: ١٤٤]. وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الاسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله: (ما ننسخ من آية، أو ننسأها (١) نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) وقد قال البخاري: حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: (وما كان ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم) [البقرة: ١٤٣] رواه مسلم من وجه آخر (٢). وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) [البقرة: ١٤٤]. قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. فأنزل الله: (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً - أو سبعة شهراً - وهذا (*) = استقبال الكعبة وكان يصلي

بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك. وكان يؤثر أن يصرف إلى الكعبة فأمره الله أن يستقبل الكعبة. (١) ننسأها: كذا في الاصل، وهي قراءة أبي عمرو، وصورتها في القرآن الكريم: ننسها. (٢) أخرجه مسلم في (٥) كتاب المساجد ٢ باب ح ١١ و ١٣ والبخاري في ٨ كتاب الصلاة ٣١ باب التوجه نحو القبلة. والحديث رواه الشافعي في الرسالة، وأخرجه مالك في الموطأ في ١٤ كتاب القبلة (٤) باب ما جاء في القبلة ح ٦ ص ١ / ١٩٥. (*)

[٣١٠]

يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبليته نحو الكعبة قبله إبراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عزوجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلا ذلك فأنزل الله عزوجل: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) الآية. فلما نزل الامر بتحويل القبلة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر. وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم أت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك (١). والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والاغبياء قالوا ما ولاهم عن قبليتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال: (وإن الذين أورثوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم، ونعتهم فقال: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبليتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الانبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الامم وخلصنا العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالذ والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجتماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم كما ثبت في صحيح البخاري: عن أبي سعيد مرفوعا من استشهاد نوح بهذه الامة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاحرى. ثم قال تعالى مبينا حكمته في حلول نعمته بمن شك وأرتاب بهذه الواقعة. وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة. فقال: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول). قال ابن عباس: إلا لنرى من يتبع

[٣١١]

الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الامر إلا على الذي هدى الله أي فهم مؤمنون ويعملون لانهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه (إن الله بالناس لرؤف رحيم) والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في التفسير وسنزيد ذلك بيانا في كتابنا الاحكام الكبير. وقد روى الامام أحمد: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، عن محمد بن الاشعث، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني في أهل الكتاب -: " إنهم لم يحسدونا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وصلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وصلوا، وعلى قولنا خلف الامام أمين ". فصل في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وفاة بدر قال ابن جرير (١): وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض في شعبان (٢) منها، ثم حكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى [وغرق فيه آل فرعون] (٣). فقال: " نحن أحق بموسى منكم " فصامه وأمر (٤) الناس بصيامه، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥] وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الاحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والاحكام المستفادة منه والله الحمد.

(١) تاريخ الطبري ج ٢ / ٣٦٥. (٢) قال ابن سيد الناس: فرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا، وقال القرطبي: الصحيح سبعة عشر شهرا وهو قول مالك وابن المسيب وابن اسحاق وقال الواقدي: ثبت عندنا الاول. (٣) زيادة من الطبري. (٤) قال ابن الاثير: لما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم عنه. (*)

[٣١٢]

وقد قال الامام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا المسعودي، حدثنا عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن معاذ بن جبل. قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة. وقال وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) إلى قوله: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فكان من شاء صام ومن شاء أطلع

مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) إلى قوله: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان. قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله ف صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهد جهدا شديدا فقال: " مالي أراك قد جهدت جهدا شديدا " فأخبره، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم) إلى قوله: (ثم أتموا الصيام إلى الليل). ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدرکه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر. وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله. ولتحرير هذا، موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان. قال ابن جرير: وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر، وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل الفطر بيوم - أو يومين - وأمرهم بذلك، قال وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد وخرج بالناس إلى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاحها وخرجوا بين يديه بالحرية (١) وكان للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعياد. قلت: وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب (٢) كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) في الطبري وابن الأثير: العنزة وهي عصا في رأسها سنان مثل سنان الرمح. (٢) أي زكاة المال. (*)

[٢١٢]

بسم الله الرحمن الرحيم غزوة بدر العظمى * يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قال الله تعالى: (ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أدلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) [آل عمران: ١٢٣] وقال الله تعالى: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الانفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه. قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في غير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رجلا - أو أربعون - منهم مخزومة بن نوفل وعمرو بن العاص. قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين، قال وكان في العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس، كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث (١) بدر قالوا: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب

المسلمين إليهم وقال: " هذه غير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس فخفف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس (٢) من لقي من الركبان تخوفاً على أموال (٣) الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن

(١) بدر: اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر، قيل هو بدر بن قريش بن يخلد، وبه - في قول - سميت قريش، وقيل إن بدراً: رجل كانت له بئر بدر وهي على أربع مراحل من المدينة. قال ابن سعد: كانت بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلان. (معجم البلدان - شرح المواهب - الروض الأنف - طبقات ابن سعد). (٢) في ابن هشام والواقدي: يتحسس بالحاء. قال السهيلي: التحسس أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم هو أن تفحص عنها بغيرك. (٣) في ابن هشام: على أمر الناس. (*)

[٣١٤]

محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن (١) عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة. قال ابن أسحاق: فحدثني من لا أنهم عن عكرمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قالوا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤياً أفزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤياً أفزعتنني (٢) وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فآتكم علي ما أحدثك، قال لها وما رأيت؟ قالت رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالابطح، ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر (٣) لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها. ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فآتكميها لا تذكرها لاحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لآبيه (٤) عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش [في أندية]، قال العباس: فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط (٥) من قريش فعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبوة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قال: قلت: وما رأيت؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنأ رجالكم حتى تتنأ نساءكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فستنترى بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء (٦) إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، قال: ثم تفرقتما فلما

(١) في ابن سعد: وكان بلغ المشركين بالشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصد انصرافهم فبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام إلى قريش بمكة يخبرونهم بما بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) أفزعتنني: اشتدت علي، وفي ابن الأثير: أفزعته. (٣) في ابن هشام: بالصدر، وتروى يا أهل غدر شرحها السهيلي: جمع غدور، وهي بضم الغين والدال، وهي تحريض لهم، أي إن تخلقتم فأنتم غدر لقومكم. قال أبو عبيد تقول: يا غدر، أي يا غادر فإذا جمعت قلت: يا آل غدر.

(٤) من ابن هشام وابن الاثير، وفي الاصل: لابنه. (٥) ذكرهم ابن عقبة في روايته: أبا جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأميرة وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود وأبا البخترى في نفر من قريش. (٦) قال ابن عقبة أن العباس رد عليه قال: هل أنت منته، فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك، فقال من حضرهما: (*)

[٢١٥]

أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير، وإيم الله لا تعرضن له، فإذا عاد لاكفيكنه، قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيت، فوالله إنني لامشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلا خفيفا حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر، قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت في نفسي: ماله لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشاتمته؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ بطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره، وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (١)، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراجا وقالوا أيطن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ [كلا] (٢) والله ليعلمن غير ذلك، وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق. قال فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصعب والذلول. قال ابن إسحاق: فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها. قال ابن إسحاق: وحدثني ابن أبي نجيح: أن أميرة بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلًا، فأتاه عقبة بن أبي معيط (٣) وهو جالس في المسجد بين ظهرانتي قوميه بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي، استجمر وإنما أنت من النساء قال: قبحك الله وقبح ما جئت به، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة. وقد رواها البخاري على نحو آخر فقال: حدثني أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة، ثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه عن أبي إسحاق، حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لاميرة بن خلف وكان أميرة إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أميرة، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمرا فنزل على أميرة

= ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا. (١) اللطيمة: جميع ما حملت الابل للتجارة قاله أبو الزناد، وقال غيره: اللطيمة: العطر خاصة. (٢) من ابن هشام. (٣) قال الواقدي: أتاه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل، وعقبة معه مجمرة فيها بخور ومع أبي جهل مكحلة ومروء. فأدخلها عقبة تحته وقال: تيخر، وإنما أنت امرأة. وقال أبو جهل: اكتحل، وإنما أنت امرأة. (*)

[٢١٦]

بمكة، قال سعد لاميرة أنظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت، فخرج به قريبا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال يا [أبا] (١)

صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد. قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة أمنا وقد أو يتم الصباة وزعمتم أنكم تصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلِكَ سالما، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتني هذا لامنعك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد علي أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، قال سعد دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنهم قاتلوك " قال بمكة ؟ قال لا أدري ؟ ففزع لذلك أمية فرعا شديدا فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم تري ما قال لي سعد ؟ قالت: وما قال لك ؟ قال: زعم أن محمدا أخبرهم أنهم قاتلني، فقلت له بمكة. قال: لا أدري. فقال أمية والله لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر. استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني (٢) فوالله لاشتري (٣) أجود بغير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك البثري ؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بغيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله بيد. وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق به نحوه، تفرد به البخاري. وقد رواه الامام أحمد: عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امراته: والله إن محمدا لا يكذب (٤). قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان (٥) بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن لخص بن الاخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامرا

(١) من صحيح البخاري. (٢) في صحيح البخاري ودلائل البيهقي: إذ علبتني. (٣) قال الواقدي: ابتاعوا له جملا بثلاثمائة درهم من نعم بني قشير، فغنمه المسلمون يوم بدر، فصار في سهم خبيب بن اساف، وفي رواية يساف. (٤) رواه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي ٢ باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل بيد ح ٣٩٥٠ فتح الباري ٧ / ٢٨٢ وفي ٦١ كتاب المناقب ٢٥ باب ح ٣٦٣٢ فتح الباري ٦ / ٦٢٩ عن أحمد بن إسحاق. ورواه البيهقي من طريقه في دلائله ٣ / ٢٥. (٥) من ابن هشام، وفي الاصل: كانوا تحريف. (*)

[٢١٧]

وخاص بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم. قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة. فقال: أنا لكم جار من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه، فخرجوا سراعا. قلت: وهذا معنى قوله تعالى: " ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنني برئ منكم إنني أرى ما لا ترون إنني أخاف الله والله شديد العقاب) [الانفال: ٤٧ - ٤٨] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعابن جبريل نكص على عقبيه وقال إنني برئ منكم إنني أرى ما لا

ترون إنني أخاف الله. وهذا كقوله تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنني برئ منك إنني أخاف الله رب العالمين) [الحشر: ١٦] وقد قال الله تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) [الاسراء: ٨١] فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهبا فكان أول من هزم يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان إلا غورا. وقال يونس عن ابن إسحاق: خرجت قريش على الصعب والذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائتا فرس (١) يقودونها ومعهم القيان (٢) يضرين بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين. وذكر المطعمين لقريش يوما يوما، وذكر الاموي أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشرا (٣)، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعا، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشرا، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبه بن ربيعة تسعا، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشرا، ثم أصبحوا بالابواء فنحر لهم نبيه ومنيه ابنا الحجاج عشرا، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا، [ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعا] (٤) ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشرا، [ونحر لهم مقبس الجمحي

(١) في رواية الواقدي وابن الاثير: مائة فرس. (٢) ذكر الواقدي اسماءهن: سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، وعزة مولاة الاسود بن المطلب، ومولاة أمية بن خلف. (٣) نحر لهم بمر. (٤) زيادة من رواية موسى بن عقبة، دلائل البيهقي ٣ / ١٠٩. (*)

[٣١٨]

على ماء بدر تسعا] (١) ثم أكلوا من أزوادهم. قال الاموي: حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الهذلي قال: كان مع المشركين ستون فرسا وستمائة درع وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسان وستون درعا. هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيهم من مكة ومسيرهم إلى بدر. وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن إسحاق: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليل (٢) مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا ليابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب، والاخرى مع بعض الانصار. قال ابن هشام كانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مع الحباب بن المنذر. قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار. وقال الاموي: وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الاخرى الزبير بن العوام (٣) ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الاسود. وقد روى الامام أحمد من حديث أبي إسحاق: عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد (٤). وروى البيهقي: من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البلخي (٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عليا قال له: ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود - يعني يوم بدر - وقال الاموي: حدثنا أبي، حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال: كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فارسان، الزبير بن العوام على الميمنة، والمقداد بن الاسود على الميسرة (٦). قال ابن إسحاق: وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ومرثد بن

(١) زيادة من رواية ابن عقبة، دلائل البيهقي ٣ / ١١٠. (٢) قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان. وقال الواقدي: يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان، وفي ابن الأثير والطبري لثلاث ليال خلون من شهر رمضان. وعند ابن سعد يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره. (٣) العبارة غير مستقيمة في الأصل. ورواية البيهقي عن ابن عقبة - ولعلها أصوب - على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الآخر سعد بن خيثمة، ومرة الزبير بن العوام، ومرة المقداد بن الأسود. (٤) وفي رواية للنسائي: على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة يصلي ويكفي حتى أصبح. رواه في الصلاة تحفة الأشراف ٧ / ٢٥٧. ورواه البيهقي في الدلائل ج ٣ / ٤٩. والمقداد بن الأسود من أول من أظهر الإسلام، وكان من الفضلاء النجباء الخيار الكبار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. (٥) دلائل النبوة ج ٣ / ٣٩ وفيه: البيهقي بدل البيهقي. (٦) في رواية للواقدي: كان معهم فرسان: فرس للمقداد - ولا اختلاف عندنا أن المقداد له فرس - وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي وقبل للزبير (ابن الأثير) وكان اسم فرس المقداد: سيحة وفرس مرثد: السيل. وفي رواية لقتيبة عند ابن سعد: كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس وذكر الفرسان الثلاثة. والاول أرجح (*)

[٣١٩]

أبي مرثد يعتقدون بعيرا، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة (١) يعتقدون بعيرا. كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وقد قال الامام أحمد: حدثنا عفان، عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زرين حبيش عن عبد الله بن مسعود. قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا نحن نمشي عنك. فقال: " ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأعنى عن الآخر منكما " وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به (٢). قلت: ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء، ثم كان زميلا علي ومرثد بدل أبي لبابة (٣) والله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الأبل يوم بدر، وهذا على شرط الصحيحين. وإنما رواه النسائي عن أبي الأشعث، عن خالد بن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. قال شيخنا الحافظ المزي في الاطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة. وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فالله أعلم. وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب. قال سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أنني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد تفرد به (٤). قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة، على نعب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تريان (٥) ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السبالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة، وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان يعرق الظبية لقي رجلا من الأعراب، فسأله عن الناس، فلم يجدوا عنده خيرا، فقال له الناس: سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: نعم! فسلم عليه ثم قال: لئن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه، قال له سلمة بن

(١) أبو كبشة وأنسة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) رواه البيهقي في الدلائل ج ٣ / ٣٩ والنسائي في السير تحفة الأشراف ٧ / ٢٦ والحاكم في المستدرک ج ٣ / ٢٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين. (٣) المشهور عند أهل المغازي أن أبا لبابة

رده النبي صلى الله عليه وسلم من الروحاء واستخلفه على المدينة، وعده ابن سعد من المتخلفين في المدينة ولم يذكر مسيرة إلى الروحاء، وفي ابن الأثير أن زميلي النبي صلى الله عليه وسلم علي وزيد بن حارثة. (٤) أخرجه البخاري مطولا في كتاب الأحكام باب هل للامام أن يمنع المجرمين، وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه؟ وللحديث طرق أخرى ذكرها المزني في تحفة الأشراف / ٨ - ٣١١ - ٣١٢. (٥) تريان: بالضم دار بين الحفير والمدينة. (*)

[٣٢٠]

سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علي فأنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على الرجل، ثم أعرض عن سلمة. ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف (١) ترك طريق مكة ببسار، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا؟ فسلك في ناحية منها حتى إذا جزع (٢) واديا يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسيس (٣) بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان (٤) الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وغيره. وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس إليها فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم. قال ابن إسحاق رحمه الله: ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سألت عن جبلها ما أسماؤهما (٥)؟ فقالوا: يقال لاحدهما: مسلح وللآخر: مخرئ، وسألت عن أهلها فقيل بنو النار، وبنو حراق، بطنان من غفار، فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما واسماء أهلها فتركهما والصفراء ببسار وسلك ذات اليمين على واد، يقال له: ذفران فجزع فيه، ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشيروا علي أيها الناس" وإنما يريد الانصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين يابعوها بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى: عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال:

(١) المنصرف: موضع بين مكة وبدر وبينهما أربعة برد (معجم البلدان). (٢) جزع الوادي: قطعه عرضا، ولا يجزع الوادي إلا عرضا. (٣) في مصنف أبي داود: بسيسة: قاله السهيلي ونسبه ابن الأثير لجهينة وغيره إلى ذبيان وقال: هو بسيس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان. (٤) وفي رواية: يتجسسان تقدم شرحها. (٥) كذا في الاصل، وهو تحريف، وفي ابن هشام: ما أسماهما؟ وهو أصح. (*)

" أجل " قال فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وميثاقنا، على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله. قال: فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ثم قال: " سيروا وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم " هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه: حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه [كان] أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، [قال] فأرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرف وجهه [لذلك] وسره انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به (١) ورواه النسائي من حديثه وعنده: وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فذكره. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال: استشار النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار. فقال بعض الأنصار: يا رسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك. وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. وقال أحمد أيضا: حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور (٢) حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة، إيانا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها (٣) إلى برك الغماد لفعلنا، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس. قال فانطلقوا

(١) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي (٤) باب فتح الباري ٧ / ٢٨٧، وأعادته في التفسير مرتين، مرة عن أبي نعيم، ومرة عن حمدان بن عمر، تفسير سورة المائدة باب قوله: (فأذهب أنت وربك فقاتلا..) وما بين معكوفين في الحديث زيادة من الصحيح. (٢) في الحديثين مشاورة النبي للناس: قال فيها العلماء إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار، لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعه، فلما عرض الخروج لأبي سفيان - في بدر - أراد أن يعلم موقفهم من الموضوع المطروح، وهل أنهم يوافقون على ذلك أم لا ؟ فكانت إصابتهم له كاملة، واستعدادهم للقتال حسن. (٣) كناية عن ركضها، فإن الفارس إذا أراد ركض مركوبه يحرك رجليه من جانبيه، ضاربا على موضع كبده (*)

حتى نزلوا بدرا، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذه وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول مالي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأميرة بن خلف فإذا قال ذلك ضربه فإذا ضربه. قال: نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فإذا تركوه فسألوه قال مالي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة

وشيبة وأميه، فإذا قال هذا أيضا ضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسي بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبتكم. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا مصرع فلان يضع يده على الارض ههنا وههنا، فما أطاق أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه. وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه - واللفظ له - من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة: " إني أخبرت عن غير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ " فقلنا نعم ! فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا: " ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ " فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكننا أردنا العير، ثم قال: " ترون في قتال القوم ؟ " فقلنا مثل ذلك. فقام المقداد بن عمرو [فقال]: إذا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، قال فتمنينا معشر الانصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عزوجل على رسوله: (كما أخرجك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث. وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، عن أبيه، عن جده. قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: " كيف ترون ؟ " فقال أبو بكر يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال ثم خطب الناس فقال: " كيف ترون ؟ " فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال: " كيف ترون ؟ " فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون، ولعل أن تكون خرجت لامر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت وإقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد: " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات. وذكره الاموي في مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت. وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لامرك

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب الاسير ينال منه ويضرب. وأخرجه مسلم في ٣٢ كتاب الجهاد ٣٠ باب غزوة بدر ح ٨٣ ص ١٤٠٣ / ٣ (*).

[٢٢٢]

فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك (١). قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصارف، ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدية (٢) وترك الحنان بيمين وهو كئيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه (٣). قال ابن هشام هو أبو بكر. قال ابن إسحاق - كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال: نعم ! قال الشيخ فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني أن قريشا

خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتم؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء " ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء آمن ماء العراق؟ قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري. قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام (٤) وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج (٥) وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقالوا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لابي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما (٦) قالوا: نحن لابي سفيان فتركوهما، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجديته وسلم. وقال: " إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟ قالوا: هم [والله] وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة

(١) نقله البيهقي في الدلائل ٣ / ١٠٧ بنحوه في باب سياق قصة بدر عن مغازي موسى بن عقبة. (٢) كذا في الأصل، وفي ابن هشام والواقدي وتاريخ الطبري ومعجم البلدان: الدية؛ وهي بلد بين الأصافر وبدر. (٣) في الواقدي: معه فتادة بن النعمان، ويقال عبد الله بن كعب المازني، ويقال: معاذ بن جبل. (٤) في الواقدي: بسيس بن عمرو بدلا من الزبير بن العوام، وفي روايته أنه صلى الله عليه وسلم أنه التقى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بسيس فأخبره خبر قريش. وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعث بسيس وعدي بن أبي الزغباء يتحسسان أخبار قريش (الطبري - ابن الأثير - سيرة ابن هشام طبقات ابن سعد). (٥) في ابن الأثير: الحجاج، وفي الواقدي ذكر ثلاثة: أسلم غلام منبه بن الحجاج، ويسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص، وأبو رافع غلام أمية بن خلف. (٦) أذلقوهما: بالغوا في ضربهما وأذوهما. (*)

[٢٢٤]

القصوى، والكتيب العنقل. فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم؟ قال كثير. قال ما عدتكم، قالوا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: يوما تسعا ويوما عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " القوم ما بين التسعمائة إلى الالف " ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف، ونبيه ومنبه أينا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود. قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: " هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها ". قال ابن إسحاق: وكان بسيس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأنخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذنا شنا لهما يستقيان فيه. ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسيس جاريتين من جواربي الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهما، ثم أفضيك الذي الذي لك. قال مجدي: صدقت ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسيس فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء. فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدا؟ قال ما رأيت أحدا أنكره، إلا أنني قد رأيت راكبين قد أنخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه غيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار

وانطلق حتى أسرع. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا. فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، واني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأميمة بن خلف، وفلان وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخية العسكر إلا أصابه نضح من دمه. فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا. قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابونا أبدا فامضوا وقال الاخنس بن

[٢٢٥]

شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفا لبني زهرة - وهم بالجحفة (١): يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جنبها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة (٢) لا ما يقول هذا. قال فرجعوا فلم يشهدوا زهري واحد، أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد (٣). قال: ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب (٤) - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة. فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال في ذلك: لا هم إما يغزون طالب * في عصبة محالف محارب (٥) في مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوب غير السالب (٦) وليكن المغلوب غير الغالب قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، خلف العقنقل وبطن الوادي وهو ليل، بين بدر وبين العقنقل، الكتيب الذي خلفه قريش، والقيب بيدر في العدو الدنيا من بطن ليل إلى المدينة. قلت: وفي هذا قال تعالى: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أي من ناحية الساحل (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا) الآيات [الانفال: ٤٢]. وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا (٧) فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجحفة: كانت قرية كبيرة على طريق المدينة، من مكة على أربع مراحل (معجم البلدان ٢ / ٦٢). (٢) في السيرة الحلبية وفي الواقدي: في غير منفعة. (٣) في الواقدي: وكانوا مائة، والاثبت أقل من مائة. وأما بنو عدي فرجعوا من الطريق، وقيل من مر الظهران. وقال ابن سعد: كانت بنو عدي بن كعب مع النفيير فلما بلغوا ثنية لفت عدلوا في السحر إلى الساحل منصورين إلى مكة. (٤) في رواية للطبري عن ابن الكلبي أن طالب أخرج كرها مع المشركين. وأنه رجع إلى مكة فيمن رجع قبل بدر. ج ٢ / ٢٧٦. وفي رواية لابن الأثير والطبري: أنه لم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة. (٥) في رواية ابن عتبة: إما يخرج طالب * في نفر مقاتل محارب وفي الطبري الشطر الأول: يا رب إما يغزون طالب (٦) مقنب: المقنب الجماعة من الخيل، نحو ثلاثمائة. (٧) الدهس: كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا. (*)

[٢٢٦]

وأصحابه منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه. قلت وفي هذا قوله تعالى: (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) [الانفال: ١٢] فذكر أنه طهرهم ظاهرا وباطنا، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر، وهذا تثبيت الباطن والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله: (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق) [الانفال: ١٣] أي على الرؤوس (واضربوا منهم كل بنان) أي لئلا يستمسك منهم السلاح (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) [الانفال: ١٤]. قال ابن جرير: حدثني هارون بن إسحاق ثنا مصعب بن المقدم ثنا اسرائيل ثنا أبو إسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب. قال: أصابنا من الليل طش من المطر - يعنى الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني قائما يصلي - وحرص على القتال. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي (١). قال: ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، وسيأتي هذا الحديث مطولا. ورواه النسائي عن بنادر عن غندر عن شعبة به (٢): وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار وتلبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم. قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول " يا حي يا قيوم " يكرر ذلك ويلط به عليه السلام. قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ييادهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به. قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح. قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٢٦٩. (٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، في الصلاة، عن محمد بن المثنى، عن محمد، عن شعبة، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب تحفة الاشراف ٧ / ٣٥٧ (*)

[٢٣٧]

عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأمض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور (١) ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أشرت بالرأي ". قال الاموي: حدثنا أبي قال: وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الاقمام (٢) وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هو السلام ومنه السلام وإليه السلام " فقال الملك (٣) إن الله يقول لك أن الامر [هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وأنه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر

بالقلب فعورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الأنية. وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الرأي ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان. وذكر الاموي (٤) أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ. قال: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك، ثم تلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست علي ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبالك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً كان فيه. قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في الاصل وابن هشام والواقدي نعور: نفسد قاله أبو ذر في شرح السيرة، وفي ابن سعد وكامل ابن الأثير نعور: أي ندفن. (٢) كذا في الاصل، ولم نعثر في أي من الكتب التي بأيدينا على هذا النص، ولعلها الأقباص: جمع قبص والقبص الجماعة من الناس. (٣) في ابن سعد: إن جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: الرأي ما أشار به الحباب. (٤) أنظر دلائل البيهقي ج ٣ / ١١٠. (*)

[٢٣٨]

تصوب من العفنقل - وهو الكتيب الذي جاؤا منه إلى الوادي - قال: " اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك (١) وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحثهم (٢) الغداة ". وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له أحمر " إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر " إن يطيعوه يرشدوا قال: وقد كان خفاف بن أيماء بن رخصة أو أبوه أيماء بن رخصة الغفاري، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر أهداها لهم. وقال: " إن أحببتم أن نمدمكم بسلاح ورجال فعلنا " قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتكم رحم، وقد قضيت الذي عليكم، فلعمري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، وإن كنا إنما نقاتل الله، كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة. قال: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر. قلت: وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتي بيان ذلك في فصل نعهده بعد الواقعة، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله. ففي صحيح البخاري عن البراء. قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة ويضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزه معه إلا مؤمن (٣). وللبخاري أيضاً عنه. قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين، والانصار نيفا وأربعون ومائتان (٤). وروى الامام أحمد: عن نصر بن رباب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال: كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة

مضين من شهر رمضان يوم الجمعة. وقال الله تعالى: (إذ يريكمهم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتهم في الامر ولكن الله سلم) [الانفال: ٤٣] الآية. وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا. ذكره الاموي (٥) وهو غريب جدا. وقال تعالى:

(١) تحادك: تعاديك. (٢) أحنهم: أي أهلكهم. (٣) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي ٦ باب عدة أصحاب بدر ح ٣٩٥٩ وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد عن أبي عامر العقدي. (٤) رواه البخاري من طريقين فتح الباري ٦٤ كتاب المغازي ٦ باب ح ٣٩٥٨، ٧ / ٧ عن مسلم بن إبراهيم، وعن ابن أبي شيبة فتح الباري ٧ / ٧. ٣٩١. (٥) نقله البيهقي في الدلائل ٣ / ١١٣. (*)

[٢٣٩]

(وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا) [الانفال: ٤٤]. فعندما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليحتري هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) فإن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة على الصحيح أيضا، وذلك عند التحام الحرب والمساابقة (١) أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولا بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلا، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا. ولهذا قال: (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار). قال إسراييل عن أبي إسحاق عن أبي عبيد (٢) وعبد الله [قال]: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل إلى جنبي أترأهم سبعين؟ فقال أراهم مائة. قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا: لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا القوم أصحاب محمد، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة (٣) رجل يزيدون قليلا، أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مدد. قال: ف ضرب في الوادي حتى أبعث فلم ير شيئا، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئا، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا (٤) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت النافع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم، حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم [يا معشر قريش] (٥)؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال وما ذاك يا حكيم؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلت. أنت علي بذلك، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله. فأت ابن الحنظلية (٦) - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر (٧) أمر الناس غيره، ثم قام عتبة

(١) في الاصل: السابقة وهو تحريف. (٢) في دلائل البيهقي ج ٣ / ٦٧: أبي عبيد. (٣) في رواية البيهقي: عنه: ثلاثمائة وخمسون. (٤) البلايا: جمع بلية، قيل هي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت. وفي ابن الاثير:

الولايا وهي جمع ولية: البرذعة. (٥) من دلائل البيهقي ٣ / ٦٥ والخبر في سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٤ وكامل ابن الأثير ٢ / ١٢٣. (٦) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبي جهل، وهي أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن (=*)

[٣٣٠]

خطيبا فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه - أو ابن خاله - أو رجلا من عشيرته فأرجوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك أفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعا فهو يهنتها (١) فقلت له يا أبا الحكم إن عتبه أرسلني إليك بكذا وكذا. فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما يعتبه ما قال، ولكنه رأى محمدا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي. فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فأنشد خفرتك ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فأكتشف ثم صرخ: واعمره واعمره. قال: فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا (٢) على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبه. فلما بلغ عتبه قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال: سيعلم مصفر أسننه من انتفخ سحره أنا أم هو، ثم التمس عتبه بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له (٣). وقد روى ابن جرير: من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال: حكيم بن حزام يستأذن، قال: ائذن له فلما دخل قال: مرحبا يا أبا خالد أدن، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال: حدثنا حديث بدر. فقال: خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدرا، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله تعالى، فجئت عتبه بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال أفعل ماذا؟ قلت إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك، فتحمل بديته ويرجع الناس. فقال أنت علي بذلك وأذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم فقلت له: يقول لك عتبه بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك؟ قال أما وجد رسولا غيرك؟ قلت: لا! ولم أكن لآكون رسولا لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادرا إلى

= مالك بن زيد بن مائة بن تميم. (٧) من ابن هشام وفي الاصل: يسجر. (١) يهنتها: أي يتفقدتها قاله أبو ذر. وفي الكامل لابن الأثير: يهنتها: يتفقدتها ويصلحها (٢) في ابن هشام: استوسقوا: اجتمع أمرهم. (٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٥ والبيهقي في الدلائل ٣ / ٦٥ وابن الأثير ٢ / ١٢٤. (*)

[٣٣١]

عتبة لنلا يفوتني من الخبر شئ وعتبة متكئ على ايماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر. فطلع أبو جهل

الشر في وجهه فقال لعتبة: انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة: ستعلم، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة بنس الفأل هذا، فعند ذلك قامت الحرب (١). وقد صف رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعباهم أحسن تعبية فروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف. قال: صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ليلاً. وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول: صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " معي معي " تفرد به أحمد وهذا إسناد حسن. وقال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي ابن النجار وهو مستنزل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال " استويا سواد " فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير صلى الله عليه وسلم وقاله. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال: " غمسه يده في العدو حاسرا " فنزع درعا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره. وقال ابن إسحاق: وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفا على باب العريش متقلدا بالسيف ومعه رجال من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهياة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ. وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إنني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريب فهدأ يحاده، وهذا يتلته ويقولون أنت جعلت الآلهة إلها واحدا فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلته هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم

(١) تاريخ الطبري ج ٢ / ٢٧٨. (*)

[٢٢٢]

رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتنم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار لا نعلمه يروي إلا من هذا الوجه. فهذه خصوصية للصدق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهاج والتضرع والدعاء

ويقول فيما يدعو به " اللهم إنك أن تهلك هذه العصاة لا تعبد بعدها في الأرض " وجعل يهتف بربه عزوجل ويقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك " ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه. وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهاج: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي بأنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف والصديق في مقام الرجاء وكان مقام الخوف في هذا الوقت - يعني أكمل - قال لان الله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة. قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم. هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الانبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الاسد المخزومي. قال ابن إسحاق: وكان رجلا شرسا سئ الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن (١) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى افتحم فيه يريد - زعم - أن تبر يمينه (٢) واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. قال الاموي: فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبه وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفيين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء،

(١) أطن: أطار (شرح أبي ذر). (٢) في الواقدي: زحف الاسود حتى وقع في الحوض فهدمه برجله الصحيحة، وشرب منه. وقال موسى بن عقبة في روايته: فأقبل يحيو حتى وقع في جوف الحوض فهدم منه واتبعه حمزة حتى قتله (أنظر دلائل البيهقي ٢ / ١١٣ - مغازي الواقدي ١ / ٦٨). (*)

[٢٢٢]

والثالث عبد الله بن رواحة (١) - فيما قيل - فقالوا من أنتم؟ قالوا رهط من الانصار. فقالوا مالنا بكم من حاجة. وفي رواية فقالوا: أكفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمنا، ونادى مناديتهم: يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي " وعند الاموي أن النفر من الانصار لما خرجوا كره (٢) ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أول موقف واجه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه فأحب أن يكون أولئك من عشيرته فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج. قال ابن إسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ - وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح - فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا نعم! أكفاء كرام. فبارز عبيدة وكان أسن القوم، عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز علي الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيا فهدما على عتبة فذففا عليه، واحتملا

صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما (٣) رضي الله عنه. وقد ثبت في الصحيحين: من حديث أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي ذر: أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) [الحج: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبه، وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر (٤). هذا لفظ البخاري في تفسيرها. وقال البخاري: حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب. أنه قال: أنا أول من يجتو بين يدي الرحمن عزوجل في الخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، تفرد به البخاري (٥). وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة. وقال الاموي: حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي. قال: برز عتبة وشيبة والوليد وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلي. فقالوا تكلموا نعرفكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب. فقال كفؤ

(١) قال الواقدي: ثبت عندنا، بنو عفراء الثلاثة: معاذ ومعوذ وعوف. (٢) في الواقدي وابن سعد: استخى من ذلك. (٣) في ابن هشام: إلى أصحابه. وقال ابن الأثير في تاريخه: وقد قطعت رحله، فلما أتوا به النبي صلى الله عليه وسلم قال: أئست شهيدا يا رسول الله؟ قال: بلى. (٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣ باب (هذان خصمان..) فتح الباري ٨ / ٤٤٣. (٥) أخرجه البخاري عن محمد بن عبد الله الرقاشي عن معتمر في كتاب المغازي باب قتل أبي جهل. (*)

[٣٣٤]

كريم. وقال علي: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وقال عبيدة: أنا الذي في الحلفاء (١)، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله. فقالت هند [بنت عتبة] في ذلك: أعينني جودي بدمع سرب * على خير خندق لم ينقلب (٢) تداعى له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلب يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعد ما قد عطب (٣) ولها نذرت هند أن تأكل من كبء حمزة. قلت: وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضجعه إلى جانب موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشرفه (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رأيته لو رأيته أبو طالب لعلم أنني أحق بقوله: ونسلمه حتى نصرع دونه * ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٥) ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشهد أنك شهيد " رواه الشافعي رحمه الله. وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع (٦) مولى عمر بن الخطاب رمي بسهم فقتله. قال ابن إسحاق فكان أول من قتل، ثم رمي بعده حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فمات. وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل

(١) في الواقدي: وقال عتبة: وأنا أسد الحلفاء.. يعني بالحلفاء الاجمة. علق ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ / ٣٣٤ قال: قد رويت هذه الكلمة على صيغة أخرى " وأنا أسد الحلفاء " وروى " وأنا أسد الاخلاف " أراد أنه سيد حلف المطيبين. ورد قوم هذا التأويل فقالوا: إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء ولا الاخلاف، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم. وقال قوم: إنما عنى حلف الفضول وكان بعد حلف المطيبين، بزمان وهذا التفسير بعيد وغير صحيح لأن بني عبد شمس لم يكونوا في حلف الفضول. فقد بان أن ما ذكره الواقدي أصح وأثبت. (٢) في رواية البيهقي: أيا عيني بدل أعيني. (٣) البيت في رواية ابن عتبة: يذيقونه حر أسيافهم. يعلونه بعد ما قد ضرب (٤) في السيرة الحلبية وأنسان العيون: فأفرشه. (٥) في الواقدي وابن الأثير: حوله بدلا من دونه. وقيله في الواقدي: كذبتهم وبيت الله نخلى محمدا * ولما نطعن دونه

ونناظر (٦) في ابن سعد: قتله عامر بن الحضرمي. وكان حارثة أول قتيل من الانصار
قتله حيان العرقه. ويقال عمير بن الحمام وقد قتله خالد بن الاعلم العقيلي. وفي
رواية ابن عقيبة ان عمير أول قتيل قتل (دلائل البيهقي ٣ / ١١٣ - ابن سعد ٢ / ١٢،
ابن الاثير ٢ / ١٣٦). (*)

[٢٣٥]

يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله، فجاءت أمه فقالت
يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين
الله ما أصنع - يعني من النياح - وكانت لم تحرم بعد. فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم " ويحك أهبلت، إنها جنات ثمان وان ابنك
أصاب الفردوس الأعلى ". قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا
بعضهم من بعض. وقد (١) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال إن اكنتمكم القوم
فانضحوهم عنكم بالنبل. وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد. قال:
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إذا اكتبوكم - يعني
المشركين فارموهم واستبقوا نيلكم (٢). وقال البيهقي: أخبرنا
الحاكم أخبرنا الاصب حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير
عن ابن (٣) إسحاق حدثني عبد الله بن الزبير. قال: جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن،
وشعار الخزرج يا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيدالله، وسمى
خيله خيل الله. قال ابن هشام: كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد.
قال ابن إسحاق: ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه
أبو بكر رضي الله عنه - يعني وهو يستغيث الله عزوجل - كما قال
تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من
الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم
وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) [الانفال: ٩ - ١٠]. قال
الامام أحمد: حدثنا أبو نوح فراد، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا سماك
الحنفي أبو زميل، حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال:
لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه
وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة
فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم
قال: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من
أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الارض أبدا " فما زال يستغيث بربه
ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من
ورائه ثم قال: يا رسول الله كفاك (٤) مناشدتك ربك فإنه سينجز لك
ما وعدك فأنزل الله: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم
بألف من الملائكة مردفين) [الانفال: ٩] وذكر تمام الحديث كما
سيأتي (٥) وقد رواه مسلم

(١) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي ١٠ باب فتح الباري ٧ / ٣٠٦ وأخرجه أبو
داود في الجهاد وأحمد في مسنده ٢ / ٤٩٨. (٢) من دلائل البيهقي، وفي الاصل أبي
وهو تحريف. وفيه: ابن إسحاق: حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير.
(٣) من ابن هشام، وفي الاصل: وقال وهو تحريف. (٤) في الاصل ورواية البيهقي:
كذلك والتصحيح من مسند أحمد. (٥) أخرجه الامام أحمد في مسنده: ج ١ / ٣٠
ومسلم في كتاب الجهاد (٣٢) (١٨) باب الامداد بالملائكة ج (٥٨) ص ٣ / ١٢٨٣
والبيهقي في الدلائل ٢ / ٥١. (*)

[٢٣٦]

وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار
اليمني وصححه على ابن المدني والترمذي، وهكذا قال غير واحد
عن ابن عباس والسدي وابن جرير وغيرهم إن هذه الآية نزلت في

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وقد ذكر الاموي وغيره أن المسلمين عجزوا إلى الله عزوجل في الاستغاثة بجنايه والاستعانة به وقوله تعالى: (بألف من الملائكة مردفين) أي ردفا لكم ومددا لفتنكم رواه العوفي عن ابن عباس. وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم. وقال أبو كدينة عن قابوس عن ابن عباس (مردفين) وراء كل ملك ملك. وفي رواية عنه بهذا الاسناد (مردفين) بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة. وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة، وهذا هو المشهور. ولكن قال ابن جرير: حدثني المثني حدثنا إسحاق، ثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيعي، عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي. قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة على ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيهما أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الميسرة، ورواه البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد: ونزل اسرافيل في الف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحرية حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة، وهذا غريب وفي إسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الاقوال ويؤيدها قراءة من قرأ (بألف من الملائكة مردفين) بفتح الدال والله أعلم. وقال البيهقي أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عبيدالله (١) بن عبد المجيد أبو علي الحنفي، حدثنا عبيدالله بن عبد الرحمن بن موهب، أخبرني إسماعيل بن عوف (٢) بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده [عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه] (٣) قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت مسرعا لانظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل، قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: " يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم " لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا، فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضا، حتى فتح الله على يده (٤). وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن بندار عن عبيدالله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي. وقال الاعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. قال ما سمعت مناشدا ينشد [حقا له] (٥) أشد من مناشدة

(١) في البيهقي: عبد الله. (٢) في البيهقي: اسماعيل بن عون عن عبيدالله، وفي ابن سعد: اسماعيل بن عون بن عبيدالله. (٣) من البيهقي. (٤) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ / ٤٩. والخبر في طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦. (٥) من دلائل البيهقي ج ٢ / ٥٠. (*)

[٢٢٧]

محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر، جعل يقول: " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد " ثم التفت وكأن شق وجه القمر. وقال " كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشية " (١) رواه النسائي من حديث الاعمش به. وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت مناشدا ينشد حقا له أشد مناشدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره. وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم، وسياتي في صحيح مسلم أيضا عن عمر بن الخطاب، ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر، وإن يخبر به قبل

ذلك بساعة يوم الواقعة والله أعلم. وقد روى البخاري (٢): من طرق عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر: " اللهم أشدك عهدك ووعدك، الله إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا " فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) [القمر: ٤٥ - ٤٦] وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد، عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر: أي جمع يهزم وأي جمع يغلب؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة - وإنني لجارية العب - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر). قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق النبي صلى الله عليه وسلم [خفقة] (٣) وهو في العريش ثم انتبه فقال: " أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثنياه النقع " يعني الغبار. قال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم. وقال: " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة " قال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: يخخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٣ / ٥٠ ومسلم مطولا في ٣٢ كتاب الجهاد (١٨) باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ح ٥٨ وأحمد في مسنده ١ / ٣٠ - ٣٢. (٢) في ٦٥ كتاب التفسير - تفسير سورة القمر (٥) باب قوله: (سيهزم الجمع) ح ٤٨٧٥ فتح الباري ٨ / ٦١٩ وأخرجه في كتاب الجهاد. باب: ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم. وفي كتاب المغازي باب: إذ تستغيثون ربكم. (٣) من ابن اسحاق، وخفق: نام نوما سريعا. (*)

[٣٣٨]

قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله (١). وقال الامام أحمد: حدثنا هاشم بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيسا (٢) عينا ينظر ما صنعت غير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أدري ما استتني من بعض نساته، قال فحدثه الحديث. قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فقال: " إن لنا طلبه فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا " فجعل رجال يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة قال " لا إلا من كان ظهره حاضرا " وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سيقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يتقد من أحد منكم إلي شئ حتى أكون أنا دون " فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض " قال: يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض؟ قال: نعم! قال يخخ؟ فقال رسول الله: " ما يملكك على قول يخخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها " قال فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال فرمى ما كان

معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله (٣). ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة عن أبي النصر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به، وقد ذكر ابن جرير (٤) أن عميرا قاتل وهو يقول رضي الله عنه: ركضا إلى الله بغير زاد* إلا التقى وعمل المعاد والصبر في الله على الجهاد* وكل زاد عرضة النفاذ غير التقى والبر والرشاد وقال الامام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاحتو بناها (٥) وأصابنا بها وعك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحيز (٦) عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر - وبدر

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ج ٢ / ٢٧٩. (٢) عند مسلم: بسيسة، وفي كتب السيرة بسيس وهو بسيس بن عمرو، ويقال ابن بشر من الانصاري. قال النووي: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له، والآخر لقباً. (٣) ورواه البيهقي من طريق أبي النصر ٣ / ٦٨ ومسلم في ٣٣ كتاب الامارة ٤١ باب ثبوت الجنة ح ١٤٥ ص ١٥٠٩ وأبو داود مختصراً في كتاب الجهاد باب بعث العيون عن هارون بن عبد الله. (٤) تاريخ الطبري ج ٢ / ٢٨١. (٥) اجتوبناه: أصابنا الجوى، وهو المرض والتعب والارهاق، وقد أصاب بعض الصحابة مرض من جو المدينة بعد الهجرة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا للمدينة وأهلها. (٦) في البيهقي: يتخير: أي يتعرف. (*)

[٣٢٩]

بئر - فسبقنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين: رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فانفلت، وأما المولى فوجدناه فجعلنا نقول له كم القوم؟ فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له كم القوم؟ قال هم والله كثير عددهم شديد بأسهم. فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم كم ينحرون من الجزر فقال عشرا كل يوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها " (١) ثم إنه أصابنا من الليل طيش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف (٢) نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: " اللهم إنك إن تهلك هذه الفتن لا تعبد " فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله (٣) فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فضلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال ثم قال " إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل " فلما دنا القوم منا وصافناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا علي ناد حمزة " وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهي عن القتال ويقول لهم يا قوم أعصوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست باجبنكم (٤). فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك والله لو غيرك يقوله لا عضضته (٥) قد ملات رثتك جوفك رعبا. فقال: إياي تعير يا مصفر استه (٦)؟ سيعلم اليوم أينما الجبان فيرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا: من يبارز فخرج فتية من الانصار مشيبة فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قم يا حمزة، وقم يا علي، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب " فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين، وأسروا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجها على فارس أبلق ما أراه في القوم، فقال الانصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: " اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم " قال: فأسرنا من بني عبد

المطلب العباس وعقبلا ونوفل بن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٨٦ و ١٣٦ و ١ / ١٥٦ دون ذكر بدر. ورواه البيهقي من طريق الحسن بن محمد الزعفراني وفيه: أخذنا رجلين: أحدهما عربي والآخر مولى. وروى ابن هشام بنحوه في السيرة ٢ / ٣٥٥ - ٣٥٦. (٢) في رواية البيهقي: والجحف. (٣) في رواية البيهقي: الصلاة جامعة. (٤) زاد البيهقي، يا قوم إنني أرى أقواما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير. (٥) أي قلت له: أعرض بأير أبيك. (٦) يا مصفر استه: قال في النهاية: رماه بالابنة، وإنه كان يزعر استه! وقيل كلمة تقال للمتعم المترف الذي لم تحنكه التجارب. (*)

[٢٤٠]

وقد تفرد بطوله الامام أحمد (١). وروى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به، ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش وحرص الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكين الله كثير كما قال الله تعالى أمرا لهم: " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) الآية [الانفال: ٤٥]. وقال الاموي: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق. قال: قال الاوزاعي: كان يقال فلما ثبت قوم قياما، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء. وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جثيا على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات - أو قال الافاعي -. قال الاموي في مغازيه: وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حين حرص المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب. وقال " والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة " وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالا شديدا بدينه، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال وقتلا بالابان جمعا بين المقامين الشريفين. قال الامام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا اسرائيل، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. ورواه النسائي من حديث أبي إسحاق عن حارثة عن علي قال: كنا إذا حمى البأس ولقى القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢). وقال الامام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي عن علي. قال: قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وأسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف (٣) - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر كان في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلا كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة فوقفوا في المسيرة وكان علي بن أبي طالب فيها (٤) وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي. قال: كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم

(١) الحديث بطوله في مسند أحمد ١ / ١١٧ وذكره الهيثمي في الزوائد ٦ / ٧٥ وقال: رواه أحمد والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة. وروى أبو داود بعضه في كتاب الجهاد باب: في المبارزة. (٢) مسند أحمد ١ / ١٣٦ وأعادته في ١ / ١٥٦ واختصره في ١ / ٨٦. (٣) مسند أحمد ٢ / ٢٥٥ ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى ١ / ٢٠١ والصالح في السيرة الشامية وعزاه للامام أحمد والبخاري والحاكم: في ٤ / ٦٣. (٤) رواه البيهقي في الدلائل ٣ / ٥٥ وأبو يعلى والحاكم عن علي رضي

[٢٤١]

أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك أبو بكر، واسرافيل في ألف في الميسرة وأنا فيها، وجبريل في ألف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطي وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفرح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت: ويئثر بدر إذ يكف مطيهم * جبريل تحت لواننا ومحمد وقد قال البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقعي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة. انفرد به البخاري. وقد قال الله تعالى: " إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق - يعني الرؤس - واضربوا منهم كل بنان) وفي صحيح مسلم: من طريق عكرمة بن عمار، عن أبي زميل حدثني ابن عباس. قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس [يقول:] أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو حطم [أنفه] وشق وجهه كضربة السوط واخضر (١) ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة " فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين (٢). قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن حدثه عن ابن عباس عن رجل من بني غفار. قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرا ونحن على شركنا، وأنا لفي جبل (٣) ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة (٤)، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا منها حممة الخيل، وسمعنا قائلا يقول: (قدم حيزوم، فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا لكدت أن أهلك ثم انتعشت (٥). بعد ذلك. وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض

(١) واخضر: من مسلم، وفي الاصل وحضر وهو تحريف. (٢) رواه مسلم في ٢٣ كتاب الجهاد (٢٨) باب: الامداد بالملائكة في غزوة بدر ح ٥٨ ص ١٢٨٢. - حيزوم: اسم فرس الملك، وهو منادى يحذف حرف النداء، أي: يا حيزوم. - أبو زميل: وهو سماك الخنفي. - ما بين معكوفين في الحديث من صحيح مسلم. (٣) الخبر في الواقدي ١ / ٧٦: ونحن على احدى عجمتي بدر العجمة الشامية - العجمة من رمل. (٤) في ابن هشام: الديرة، وهي الدائرة. (٥) العبارة في ابن هشام وأبي نعيم والواقدي: وأما أنا فكدت أن أهلك ثم تماسكت. (*)

[٢٤٢]

بني ساعدة (١)، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدرا - قال - بعد أن ذهب بصره - لو كنت اليوم ببدر ومعني بصري لاربتكم الشعب (٢) الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى. فلما نزلت الملائكة ورأها إبليس وأوحى الله إليهم: (أنبي معكم فثبتوا الذي آمنوا). وتثبتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشروا فإنهم ليسوا بشئ والله معكم كروا عليهم. وقال الواقدي: حدثني ابن أبي حبيبة عن داود (٣) بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون [من الناس يثبتونهم] (٤) فيقول: إني قد دنوت منهم وسمعتهم

يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشئ، إلى غير ذلك من القول فذلك قوله: (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) الآية [الانفال: ١٢]. ولما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال: إني بريئ منكم إني أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقاة وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقاة إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال: واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمدا وأصحابه في الجبال (٥) فلا تقتلوهم وخذوهم أخطأ. وروى البيهقي: من طريق سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبو أسيد - بعدما ذهب بصره - يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت بيدر ثم أطلق الله بصري لاريتك الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمار. وروى البخاري (٦) عن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهاب، عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر " هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب ". وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه. وحدثني عابد (٧) بن يحيى عن أبي الحويرث عن عمارة بن أكيمة الليثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا: لما حضر القتال ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) روى الخبر البيهقي في الدلائل ٣ / ٥٣ عن سهل بن سعد عن أبي أسيد الساعدي وذكره. (٢) في الواقدي: وهو الملقب، وهو موضع بعينه، أنشد أبو حنيفة: اللسان ٧ / ٩٥. فما زال يسقى بطن ملص وعرعرا * وأرضهما حتى أطمان حسيهما (٣) من الواقدي ١ / ٧٩ وفي نسخ البداية المطبوعة: دواد، وهو تحريف. (٤) من الواقدي. (٥) عبارة البيهقي: حتى نفرق محمدا وأصحابه في الجبال. (٦) في ٦٤ كتاب المغازي (١١) باب ح ٣٩٩٥ فتح الباري ٧ / ٣١٢. (٧) في الواقدي: عائد بن يحيى. الخبر في المغازي ج ١ / ٨١: وفيه عمارة بن أكيمة عن حكيم بن حزام، وسقط من الاسناد اسم: عكرمة. (*)

[٢٤٢]

رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول " اللهم إن ظهروا علي هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين " وأبو بكر يقول: والله لينصرك الله وليبيضن وجهك، فأنزل الله ألفا من الملائكة مردفين عند اكتشاف العدو. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء أخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة ثم طلع وعلى ثنياه النقع يقول أتاك نصر الله إذ دعوته ". وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه. قال: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف (١). وقال ابن إسحاق: حدثني والدي، حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد (٢) الليثي قال: إني لاتبع رجلا من المشركين لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله. وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس. قال: كان الناس [يوم بدر] يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنات مثل سمة النار وقد أحرق به (٣). وقال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن مقسم (٤) عن ابن عباس. قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء. وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون (٥). وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن موسى [بن عبد الله] بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجلا بيضا علي خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون. وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب

بصره. قال: لو كنت معكم الآن بيدر ومعني بصري، لاربتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري. قال: وحدثني خارجة بن إبراهيم عن أبيه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: " من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم؟ " فقال جبريل: يا محمد ما كل أهل السماء أعرف (٦). قلت: وهذا الاثر مرسل، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم. وقال الواقدي حدثني إسحاق بن

(١) دلائل النبوة ٣ / ٥٦ ونقله الصالح في السيرة الشامية ٤ / ٦٣ عن البيهقي وأبي نعيم. (٢) كذا في الاصل والبيهقي عن ابن إسحاق، وفي السيرة لابن هشام: أبي داود المازني، قال السهيلي: اسم أبي داود هذا: عمرو، وقيل: عمير بن عامر. (٣) رواه البيهقي في الدلائل ج ٣ / ٥٦ ونقله الصالح في السيرة الشامية ٤ / ٦٣ عن البيهقي. (٤) مقسم: وهو مولى عبد الله بن الحارث. (٥) سيرة ابن هشام ج ٢ / ٢٨٦. (٦) مغازي الواقدي ١ / ٧٦ و ٧٧. (*)

[٢٤٤]

يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما ادري كم يد مقطوعة وضربة جائفة (١) لم يدم كلمها وقد رأيتها يوم بدر. وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل (٢) [عن رافع بن خديج] عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فأني رأيت رجلا طويلا [ضربه فتدهى أمامه] فأخذت رأسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ذاك فلان من الملائكة " وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه. قال: كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمن عمر يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال فمن؟ يقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها فأدركني رجل أشعر طويل على فرس أبيض (٣) فأوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا فنادى في العسكر من أسر هذا؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أسرك؟ قلت: لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أسرك ملك من الملائكة " اذهب يا ابن عوف بأسيرك. وقال الواقدي: حدثني عابد بن يحيى (٤) حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن أكيمة عن حكيم بن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد (٥) من السماء قد سد الافق فإذا الوادي يسيل نهلا فوق وقع في نفسي أن هذا شئ من السماء أيد به محمد، فما كانت إلا الهزيمة ولقي الملائكة وقال إسحاق بن راهويه: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني أبي عن جبير بن مطعم. قال: رأيت قبل هزيمة القوم - والناس يقتتلون - مثل البجاد الاسود قد نزل من السماء مثل النمل الاسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم ولما تنزلت الملائكة للنصر ورأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال: " أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع " يعني من المعركة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش في الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والايامن، كما قال: " (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس في المصاف من الايمان. والنعاس في الصلاة من النفاق. وقال الله تعالى: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فتكم شيئا ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين) [الانفال: ١٩]. قال

(١) جافة: طعنة تبلغ الجوف (قاموس). (٢) في الواقي: أبي عفير، وما بين معكوفين سقط من الاصل واستدرك من المغازي ١ / ٧٨. (٣) في الواقي: فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض. (٤) في الواقي: عائد. (٥) الجاد: كساء، وفي النهاية: وفي حديث جبير بن مطعم: نظرت والناس يقتتلون يوم حنين إلى مثل الجاد: الأسود يهوي من السماء، أراد الملائكة (ج ١ / ٦٠). (*)

[٢٤٥]

الامام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، ثنا محمد بن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال - حين التقى القوم - اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري (١)، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضا ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الاموي حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله: [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح] قال: قال أبو جهل: اللهم [اعن] أعز الفتين، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين. فنزلت: [إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: [وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم] [الانفال: ٧] قال أقبلت غير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول صلى الله عليه وسلم يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم. فنزل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دغصة فأصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأتمم كذا (٢) ! فأمر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبدا (٣) ومشي الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة. فكان

الاستفتاح: طلب النصر، وكان للمسلمين، وقد بان الامر للكفار وانكشف الحق لهم. وفي ذلك ثلاثة أقوال: أ - يكون خطابا للكفار، لانهم استفتحوا - قول أبي جهل - فقالوا: اللهم أقطعنا الرحم. وقول النصر: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء.. فقتل يوم بدر. قال القاضي: إذا حملنا الفتح على البيان والحكم والقضاء فقد يراد به الكفار. ب - يكون خطابا للمؤمنين: أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وفتح الله عليكم. قال القاضي: وهذا القول أولى لان قوله (فقد جاءكم النصر) لا يليق إلا بالمؤمنين. ج - يحتمل كونه خطابا للمؤمنين، ثم للكفار وهو توعدده لهم إن عادوا إلى الايقاع بالمسلمين والتعدي عليهم نعد إلى مثل بدر. قال القشيري: والصحيح أنه خطاب للكفار. وقاله الحسن ومجاهد والسدي. (أنظر تفسير الرازي ج ١٥ / تفسير الآية) (٢) في رواية أن بعضهم كانوا محدثين من الاحتلام. (٣) في رواية البيهقي: كذا.

[٢٤٦]

جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة (١) مجنبة وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذرئته (٢) وهم في صورة رجال من بني مدلج والشياطين في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، وقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم

اليوم من الناس، وإنني جار لكم، فلما اصطف الناس قال أبو جهل:
 اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يديه، فقال: " يا رب إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض أبداً ".
 فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى
 بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخره
 وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس
 فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده
 ثم ولى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سراقاً أما زعمت أنك لنا جار
 ؟ قال: (إنني أرى ما لا ترون، إنني أخاف الله والله شديد العقاب) [
 الانفال: ٤٨] وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل (٣).
 وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر
 الحزامي، ثنا عبد العزيز بن عمران، ثنا هشام بن سعد، عن عبد ربه
 بن سعيد بن قيس الأنصاري عن رفاعة بن رافع. قال: لما رأى إبليس
 ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص إليه، فتشبت
 به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقاً بن مالك، فوكر في صدر
 الحارث ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه فقال:
 اللهم إنني أسألك نظرتك إياي وخاف أن يخلص القتل إليه. وأقبل أبو
 جهل فقال: يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقاً بن مالك فإنه
 كان على ميعاد من محمد، ولا يهولنكم قتل شيبه وعتبة والوليد
 فإنهم قد عجلوا، فوللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجمال، فلا
 ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء
 صنيعهم من مفارقتهم إياكم ورغبتهم عن اللات والعزى. ثم قال أبو
 جهل متمثلاً: ما تنقم الحرب الشموس مني * بازل عامين حديث
 سني لمثل هذا ولدني أمي وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب
 الزمعي [عن عمه] عن أبي بكر بن أبي سليمان بن (٤) أبي حنمة
 سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل
 الشيخ يكره ذلك، فألح عليه فقال حكيم: التقينا فاقتلنا فسمعت
 صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصى

(١) في رواية البيهقي: في خمسمائة مجنية. (٢) في البيهقي: معه راية في صورة.
 (٣) دلائل النبوة ج ٣ / ٧٨ - ٧٩ عن طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن
 علي بن ابن عباس. (٤) في الاصل تحريف، الصواب أثبتناه من الواقدي. والعبارة في
 الاصل: موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حنمة. (*)

[٢٤٧]

في الطست، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم القبضة التراب
 فرمى بها فانزمتنا. قال الواقدي: وحدثنا [أبو] (١) إسحاق عن
 محمد عن (٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (٣) عن عبد الله
 بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلمي يقول: انهزمتنا يوم
 بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطاس في أفندتنا ومن
 خلفنا (٤)، وكان ذلك من أشد الرعب علينا. وقال الاموي: حدثنا أبي،
 ثنا ابن أبي إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير
 أن أبا جهل حين التقى القوم قال: اللهم اقطعنا للرحم وأتانا بما لا
 نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح. فبينما هم على تلك الحال
 وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم في أعينهم
 حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة في
 العريش ثم انتبه فقال: " أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتمر بعمامته
 أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع أتاك نصر الله وعدهته " وأمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفاً من الحصى بيده ثم خرج
 فاستقبل القوم فقال: " شاهت الوجوه " ثم نفحهم بها ثم قال
 لأصحابه " احمّلوا فلم تكن إلا الهزيمة " فقتل الله من قتل من
 صناديدهم، وأسر من أسر منهم. وقال زياد عن ابن إسحاق ثم إن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها

قريشا ثم قال: " شأهت الوجوه " ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: " شدوا " فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم. وقال السدي الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يوم بدر " أعطني حصاء من الأرض " فناوله حصاء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شئ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك: " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم إن هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدر، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة. وذكر ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى سعد إلى العريش أيضا ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: " كأنني بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ " قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الاثنان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال. قال ابن إسحاق: وحدثني

(١) من الواقدي، وفي الاصل إسحاق وهو تحريف. (٢) من الواقدي، وفي الاصل ابن. (٣) في المغازي: ابن عبد. (٤) في الواقدي: في الطساس بين أيدينا ومن خلفنا. (*)

[٢٤٨]

العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ: " إنني قد عرفت أن رجلا من بني هاشم وغيرهم ؟ قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها " فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس، والله لئن لقيته لالحنه بالسيف. فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر: " يا أبا حفص " قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص، أيضا وجه عم رسول الله بالسيف ؟ " فقال عمر: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق. فقال أبو حذيفة: ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا رضي الله عنه. مقتل أبي البخترى بن هشام قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة (١). كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شئ يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقبه المجذر بن زياد البلوي حليف الانصار فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتلك ومع أبي البخترى زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث. قال وزميلي ؟ فقال له المجذر (٢) لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، قال لا والله إذا لاموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة. وقال أبو البخترى وهو ينازل المجذر: لن يترك (٣) ابن حرة زميله * حتى يموت أو يرى سبيله قال: فاقتلا فقتله المجذر بن زياد وقال

في ذلك: إما جهلت أو نسيت نسبي * فأثبت النسبة إنني من بلى الطاعنين برماح اليزني * والطاعنين الكيش حتى ينحني (٤)

(١) قال الواقدي: كان أبو البخترى قد لبس السلاح يوما بمكة في بعض ما كان بلغ من النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى وقال: لا يعترض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح. (٢) الواقدي روى القصة وسمى الرجل صاحب القصة مع أبي البخترى: أبا داود المازني. (٣) في ابن هشام: لن يسلم ابن حرة زميله. (٤) في ابن هشام: والضاربين يدل والطاعنين. (*)

[٢٤٩]

بشر بيتهم من: أبوه البخترى * أو بشرن بمثلها مني بني أنا الذي يقال أصلي من بلى * أظعن بالصعدة حتى تتشني وأعبط القرن بعصب مشرفي * أزرم للموت كإرزام المري (١) فلا يرى مجذرا يفري فري ثم أتى المجذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته. فصل في مقتل أمية بن خلف قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف. قال: كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟ قال: فأقول: نعم! قال: فأني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم! قال: فكنت إذا مررت به قال يا عبد الإله فأجيبه فأحدثت معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو أخذ بيده، قال: ومعني أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها فلما رأني. قال يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال يا عبد الإله فقلت: نعم! قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم ها الله (٢)، قال: فطرح الأدراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاللوم قط، أما لكم حاجة في اللبن (٣)؟ [قال]: ثم خرجت أمشي بهما. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن (٤) عبد الرحمن بن عوف. قال: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه أخذا بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة

(١) قال ابن هشام: المري: الناقة التي يستنزل لينها على عسر، وقيل: هي الناقة الغزيرة اللبن. القرن: المقاوم في الحرب. العضب: السيف القاطع. (٢) في السيرة وشرح السيرة لابي ذر والسهيلي: ها الله ذا. قال السهيلي: أي هذا قسمي، فكأنه قال: ها أنذا مقسم. (٣) قال ابن هشام: يريد باللبن: أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن. (٤) كذا في الاصل: والظاهر أن كلمة " عن " مقحمة. (*)

[٢٥٠]

في صدره؟ قال: قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن فوالله إنني لاقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على [ترك] الإسلام - فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أسيري، قال لا نجوت إن نجا، ثم قال صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله! رأس الكفر أمية

بن خلف لا نجوت إن نجا، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة (١) فأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف ف ضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قال: قلت: انج بنفسك ولا نجا [بك]، فوالله ما أغني عنك شيئا. قال فهبر وهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما. قال فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالا فجعني بأدراعي وبأسيري. وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريبا من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العزيز - هو ابن عبد الله - حدثنا يوسف - هو ابن الماجشون - عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظني في صاعيتي بمكة وأحفظه في صاعيتي بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبت عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لآخره حين نام الناس فابصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الانصار فقال: أمية بن خلف ؟ ! لا نجوت إن نجا أمية بن خلف فخرج معه فريق من الانصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تعونوا وكان رجلا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه سمع يوسف صالحا وإبراهيم أباه. تفرد به البخاري من بينهم كلهم. وفي مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذي قتل أمية بن خلف (٢). مقتل أبي جهل لعنه الله قال ابن هشام: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز [وهو يقاتل] ويقول: ما تنقم الحرب العوان مني * بازل عامين حديث سني لمثل هذا ولدتني أمي قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى،

(١) أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحرقوا بنا. (٢) في الواقدي، قتله خبيب بن يساف، وقد ضرب أمية خبيب حتى قطع يده من المنكب، وتزوج خبيب بابنة أمية بعد مقتله. ٨٣ / ١. (*)

[٢٥١]

وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد (١) عن عكرمة، عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك قالا. قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة (٢) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى (٣) حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي، واجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما أدتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان. ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق. وقاتل معوذ (٤) حتى قتل، فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس في القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - أنظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته فإني ازدحمت أنا وهو يوما على مادبة لعبدالله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه ببسير، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش (٥) في أحدهما جحشا لم يزل أثره به. قال ابن مسعود: فوجدته بأخر رمق فعرفته. فوضعت رجلي على عنقه. قال وقد كان ضبث بي مرة بمكة فأذاني ولكزني ثم قلت له: هل أخزأك الله يا

عدو الله ؟ قال وبماذا أجزاني ؟ قال: أعمد من رجل قتلتموه (٦)
أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال: قلت لله ولرسوله. قال ابن إسحاق:
وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد
ارتقيت مرتقى صعبا يا ربيعة الغنم، قال: ثم احتزرت رأسه ثم جئت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:

(١) في السيرة: ابن يزيد. (٢) قال ابن هشام: الحرجة الشجر الملتف. وفي الحديث
عن عمر بن الخطاب: أنه سأل أعرابيا عن الحرجة، فقال: هي شجرة من الأشجار لا
يوصل إليها. (السيرة ٢ / ٢٨٧). (٣) مرضخة: جمعها مرضخ، والمرضخة حجر يرضخ به
النوى أي يكسر. عن النهاية. (٤) ذكر السهيلي الغلامين اللذين قتلأ أبا جهل معاذ بن
عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء، وفي مسلم أنهما: معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو
بن الجموح. وفي رواية ابن إدريس عن ابن إسحاق كما في رواية مسلم. وقال أبو
عمرو: أن ابني عفراء قتلاه عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أنس. وقال الواقدي:
قتله معاذ بن عمرو بن الجموح. وفي رواية أخرى عنده: قتله ابنا الحارث. وهما ابنا
عفراء. (٥) جحش جحشا أي خدش خدشا. وفي الصحاح: الجحش: سحج الجلد أي
قشره (الصحاح)، وفي الأصل: جحش. (٦) أعمد من رجل قتلتموه ويقال: أعمد من
رجل قتله قومه قال ابن هشام: أي ليس عليه عار إن قتلتموه أو قتله قومه. وقال أبو
ذر: يريد: أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعالهم به.

[٢٥٢]

يا رسول الله هذا رأس عدو الله. فقال: " الله الذي لا إله غيره ؟ ".
وكان يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم ! والله الذي
لا إله غيره ثم ألقى رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحمد الله. هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله. وقد ثبت في
الصحيحين (١) من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون، عن صالح
بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن
عوف. قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني
وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثا أسنانهما، فتمنيت
أن أكون بين اطلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا
جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك إليه ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادني
سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال
لي أيضا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في
الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسالان عنه فابتدراه
بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبراه فقال: " أيكما قتله ". قال كل منهما أنا قتلته. قال:
هل مسحتما سيفيكما ؟ " قال: لا. قال فنظر النبي صلى الله عليه
وسلم في السيفين فقال: " كلاهما قتله " وقضى بسلبه لمعاذ بن
عمرو بن الجموح - والآخر معاذ بن عفراء. وقال البخاري حدثنا يعقوب
بن إبراهيم ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده. قال: قال عبد
الرحمن: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن
يساري فتیان حديثا السن فكانني لم آمن بمكانهما إذ قال لي
أحدهما سرا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت يا ابن أخي ما
تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيت أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي
الأخر سرا من صاحبه مثله، قال فما سرني أنني بين رجلين مكانهما
فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا
عفراء. وفي الصحيحين أيضا: من حديث أبي (٢) سليمان التيمي
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من
ينظر ماذا صنع أبو جهل " قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله فانطلق
فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: فأخذ بلحيته قال فقلت:
أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه - أو قال قتله قومه (٣)
- وعند البخاري: عن أبي أسامة عن إسماعيل بن قيس (٤) عن ابن
مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزأك الله ؟ فقال: هل أعمد من
رجل قتلتموه. وقال الاعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن
عبد الله قال انتهيت إلى أبي جهل وهو

(١) أخرجه البخاري عن مسدد في كتاب الخمس - باب من لم يخمس الاسلاب. وأخرجه أيضا في المغازي عن ابن المديني ويعقوب بن إبراهيم. وأخرجه مسلم في ٣٢ كتاب الجهاد ١٣ باب ح ٣٢ ص ١٣٧٢. عن يحيى بن يحيى. (٢) في البخاري والبيهقي: سليمان. (٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٨ باب قتل أبي جهل فتح الباري ٧ / ٣٩٣ وفيه عن سليمان التيمي. ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير - باب قتل أبي جهل ٣ / ١٤٢٥. (٤) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي ٨ باب قتل أبي جهل ح ٣٩٦١ فتح الباري ٧ / ٣٩٣. وفيه: عن أبي أمامة عن اسماعيل عن قيس عن ابن مسعود. وليس كما في الاصل: اسماعيل بن قيس فهو تحريف. (*)

[٢٥٢]

صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد. ومعني سيف رديء فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفا كان ينقف رأسي بمكة حتى ضعفت يده فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألست رويينا بمكة ؟ قال: فقتلته، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قتلنا أبا جهل، فقال الله الذي لا إله إلا هو ؟ فاستحلقتني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم (١). وقال الامام أحمد: حدثنا وكيع، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله. قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، فجعلت أتأوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر (٢) سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أقل من الارض فأخبرته فقال " الله الذي لا إله إلا هو ؟ " فرددها ثلاثا، قال: قلت الله الذي لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال: " الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة " وفي رواية أخرى قال ابن مسعود فنفلني سيفه. وقال أبو إسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقلت: قد قتلنا أبا جهل فقال: " الله الذي لا إله إلا هو ؟ " فقلت الله الذي لا إله إلا هو مرتين - أو ثلاثا - قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده " ثم قال: " انطلق فأرنيه " فانطلقت فأرنيته فقال: " هذا فرعون هذه الامة " (٣). ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي إسحاق السبيعي به. وقال الواقدي وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرع ابني عفراء فقال: " رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الامة ورأس أمة الكفر " فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال " الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله " رواه البيهقي (٤). وقال البيهقي أخبرنا الحاكم، أخبرنا الاصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن أبي إسحاق قال: لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم البشير يوم بدر يقتل أبي جهل استحلقتني ثلاثة أيام بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت قتيلا ؟ فحلف له فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا. ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم، عن سلمة بن رجاء، عن الشعثاء - امرأة من بني أسد (٥) - عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جئ

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٣ / ٨٨. (٢) ندر: سقط. (٣) رواه البيهقي في الدلائل ٣ / ٨٨ وأبو داود في كتاب الجهاد ١٤٢ عن محمد بن العلاء عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه.. والنسائي في السير - في السنن الكبرى - تحفة الاشراف ٧ / ١٦٢. (٤) دلائل النبوة ج ٣ / ٨٩ عن الواقدي، والخبر في المغازي ١ / ٩١. (٥) دلائل النبوة ج ٣ / ٨٩ وفيه قالت: دخل علي عبد الله بن أبي أوفى، فأرنيته صلى الضحى ركعتين فقالت له = (*)

برأس أبي جهل. وقال ابن ماجه حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا هشام (١) أخبرنا مجالد، عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنني مررت بدير فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمة معه حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة " (٢). وقال الاموي في مغازيه: سمعت أبي، ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال إنني رأيت رجلا جالسا في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة " وقال البخاري حدثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه قال قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدحج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بعزة قطعته في عينه فمات قال هشام فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعته، وقد انثنى طرفها، قال عروة فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل. وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومرو به - إنني أراك كأن في نفسك شيئا أراك تظن أنني قتلت أباك إنني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكنني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فأما أبوك فإنني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله (٣). قال ابن إسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جدلا (٤) من حطب فقال: " قاتل بهذا يا عكاشة " فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض

= امرأته: إنك صليت ركعتين فقال.. وذكر تمام الحديث. (١) في البيهقي: هشيم. (٢) الخبر في دلائل البيهقي ٢ / ٩٠، ونقله الصالح في السيرة الشامية ٤ / ٨٠ وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب " من عاش بعد الموت " عن الشعبي. (٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٩٠ ورواه الواقدي في المغازي ١ / ٩٢ وقال في أوله: وأقبل العاص بن سعيد يبحث للقتال، فالتقى هو وعلي فقتله علي. (٤) في الواقدي: عودا. (*)

الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى: العون. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله: عشية غادرت ابن أقرم ثاوي * وعكاشة الغنمي عند مجال (١) وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه. قال ابن إسحاق: وعكاشة هو الذي قال حين بشر

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله أن يجعلني منهم قال: " اللهم اجعله منهم " وهذا الحديث مخرج في الصحاح والحسان وغيرهما. قال ابن إسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - " منا خير فارس في العرب " قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال " عكاشة بن محصن " فقال ضرار بن الأزور: ذاك رجل منا يا رسول الله، قال ليس منكم ولكنه منا للحلف. وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي: حدثني عمر بن عثمان الخشني (٢) عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك. وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل عدة قالوا: انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضييا كان في يده من عراجين ابن طاب (٣) فقال: اضرب به فإذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم حسر أبي عبيد (٤). رده عليه السلام عين قتادة قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد [عبد الله] بن عدي حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز (٥) بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن

(١) ابن أقرم: قال ابن هشام: هو ثابت ابن أقرم الانصاري وانظر الخبر في سيرة ابن هشام ٢ / ٣٩٠ ومغازي الواقدي ١ / ٩٣. (٢) في البيهقي والواقدي: الجحشي. (٣) ابن طاب: ضرب من الرطب. وعراجين: جمع عرجون. والعرجون: العذق أو إذا يبس وأعوج. (٤) من ابن سعد، وفي الأصل أبي عبيدة وهو تحريف. والخبران في المغازي الواقدي ١ / ٩٣ والبيهقي في الدلائل ٣ / ٩٩ عنه. - وعكاشة بن محصن بن حريش من السابقين الأولين شهد بدرا له ترجمة في الإصابة ٢ / ٤٩٢. - سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة، يكنى أبا سعد. شهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها قتل يوم حسر أبي عبيد سنة ١٤ هـ له ترجمة في ابن سعد ٢ / ٤٤٦. (٥) في البيهقي: عبد الرحمن. (*)

[٢٥٦]

قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان: أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدفته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " لا " فدعاه فغمز حدفته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيب (١) - وفي رواية فكانت أحسن عينيه - . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك: أنا ابن الذي سألت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فأنشده عمر في موضعه حقا: تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا فصل قصة أخرى شبيهة بها قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن صالح، أخبرنا الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا عبد العزيز بن عمران، [حدثني رفاعة بن رافع بن مالك] (٢). قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية (٣) بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة، ورميت بسهم يوم بدر، ففقتت عيني فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما أداني منها شيء. وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيد ولم يخرجوه (٤). ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر. قال ابن هشام (٥): ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال: أين مالي يا خبيث فقال عبد الرحمن: لم يبق إلا الشكة ويعبوب * وصارم يقتل ضلال الشيب يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصان

وهو اليعسوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره.
وقد روينا في مغازي الاموي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل يمشى هو وأبو بكر الصديق بين

(١) دلائل النبوة ٣ / ١٠٠. (٢) من البيهقي، والعبارة في الاصل: حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك. (٣) من الدلائل. وفي الاصل أبي، وقد تقدم في قصة قتل أمية، - في رواية - أن رفاعة بن رافع هو الذي قتلته. (٤) الخبر في دلائل البيهقي ٣ / ١٠٠، ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ / ٨٢ وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والاوسط، وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف. (٥) سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٩١. (*)

[٢٥٧]

القتلى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " نفلق هاما " فيقول الصديق: من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلمنا طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليخرجوه فتزابل [لحمه] فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، فلما أقاهم في القليب، وقف عليهم فقال: " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربي حقا فأني قد وجدت ما وعدني ربي حقا " قالت فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال: " لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق " قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد علموا (١) قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله من جوف الليل وهو يقول: " يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام - فعدد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعد ربي حقا فأني قد وجدت ما وعدني ربي حقا " فقال المسلمون: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنادي قوما قد جيفوا ؟ فقال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني " وقد رواه الامام أحمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه. وهذا على شرط الشيخين قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يا أهل القليب بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربي حقا فأني قد وجدت ما وعدني ربي حقا " (٢). قلت: وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قد جمع ما كانت تتأوله من الاحاديث في جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله: (وما أنت بمسمع من في القبور) وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للاحاديث الدالة نضا على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاها. وقال البخاري: حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الميت يعذب في قبره بكاء أهله فقالت: رحمه الله، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن " قالت وذلك مثل قوله

(١) قال السهيلي معارضاً قول عائشة: وعائشة لم تحضر، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام. (٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ٢٩٢، والكامل لابن الاثير ٢ / ١٢٩. (*)

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال، قال إنهم ليسمعون ما أقول وإنما قال إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق، ثم قرأت: (وإنك لا تسمع الموتى) [النمل: ٨١] (وما أنت بمسمع من في القبور) [فاطر: ٢٢] تقول حين تبوءوا مفاعدكم من النار (١). وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة به، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله. ثم قال البخاري: حدثني عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال: " هل وجدتم ما وعد ريكم حقا " ثم قال: " إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم " وذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت (إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية. وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة. وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، سماع روح بن عبادة، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فخذفوا في طوى من أطواء بدر حيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بيدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي (٢) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ريكم حقا ". فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ". قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما (٣): وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبي عروبة، ورواه الامام أحمد: عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال: حدث أنس بن مالك فذكر مثله. فلم يذكر أبا طلحة وهذا إسناد صحيح، ولكن الاول أصح وأظهر والله أعلم. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: " يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ريكم حقا ؟ فإنني قد وجدت ما وعدني ربي حقا " قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى: (إنك لا

(١) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي (٨) قتل أبي جهل ح ٣٩٧٩ وأخرجه مسلم في الجنائز عن أبي كريب عن أبي أسامة، والنسائي في الجنائز عن محمد بن آدم. (٢) شفة الركي: على طرف البئر. وفي رواية: شفير. (٣) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي (٨) باب قتل أبي جهل ح ٣٩٧٦ ومسلم في صفة الجنة والنار (١٧) باب ح ٧٨. (*)

تسمع الموتى) فقال: " والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا ". ورواه مسلم عن هدية بن

خالد عن حماد بن سلمة به. وقال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت: عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحي في الورق القشيب (١) تداولها الرياح وكل جون * من الوسمي منهمر سكوب فأمسى رسمها خلقا وأمست * بيابا بعد ساكنها الحبيب فدع عنك التذكر كل يوم * ورد حرارة القلب الكثيب (٢) وخبر بالذي لا عيب فيه * بصدق غير إخبار الكذوب بما صنع المليك غداة بدر * لنا في المشركين من النصيب غداة كأن جمعهم حراء * بدت أركانه جنح الغروب فلاقبناهم منا يجمع * كأسد الغاب مردان وشيب أمام محمد قد وازروه * على الاعداء في لفح الحروب بأيديهم صوارم مرهفات * وكل مجرب خاطي الكعوب بنو الاوس الغطارف أزرتها * بنو النجار في الدين الصليب فغادرنا أبا جهل صريعا * وعتبة قد تركنا بالجبوب وشيبة قد تركنا في رجال * ذوي حسب إذا نسبوا حسيب يناديهم رسول الله لما * قذفناهم كباكب في القليب (٣) ألم تجدوا كلامي كان حقا * وأمر الله يأخذ بالقلوب فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا: * صدقت وكنت ذا رأي مصيب قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة بن ربيعة، فسحب في القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال: " يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا. وقال

(١) القشيب: الجديد. قال السهيلي: أراد حسان بالقشيب هنا: الذي خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم. يقال طعام مقشيب: إذا كان فيه السم. (٢) في ابن هشام: الصدر. (٣) كباكب: جماعات (*).

[٣٦٠]

البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس (الذين بدلوا نعمة الله كفرا) قال: هم والله كفار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال: النار يوم بدر. قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت: قومي الذين هم أووا نبهم * وصدقوه وأهل الأرض كفار إلا خصائص أقوام هم سلف * للصلحين من الانصار أنصار مستبشرين بقسيم الله قولهم * لما أتاهم كريم الاصل مختار أهلا وسهلا ففي أمن وفي سعة * نعم النبي ونعم القسيم والجار (١) وقاسموهم بها الاموال إذ قدموا * مهاجرين وقسم الجاهل النار (٢) سرنا وساروا إلى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا والاهم بغرور ثم أسلمهم * إن الخبيث لمن والاه غرار (٣) وقال إنني لكم جار فأوردهم * شر الموارد فيه الخزري والعار ثم التقينا فولوا عن سراتهم * من منجدين ومنهم فرقة غاروا وقال الامام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكر. وعبد الرزاق. قالوا: حدثنا إسرائيل، عن عكرمة عن ابن عباس. قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شئ، فناداه العباس وهو في الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال لم ؟ قال لان الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك. وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين، هذا مع حضور ألف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم أن سيسلم منهم بشر كثير. ولو شاء الله لسلط عليهم ملكا واحدا فأهلكهم عن آخرهم، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعا فيهن من الامم والدواب والاراضي والمزروعات، وما لا يعلمه إلا الله،

فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط، كما تقدم. وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض) [محمد: ٤] الآية. وقال

(١) القسم: بالكسر: الخط والنصيب، ويعدده في ابن هشام: فأنزله بدار لا يخاف بها * من كان جارهم دارا هي الدار (٢) قوله الجاهل: في ابن هشام الجاحد. (٣) قوله والاهم: في ابن هشام دلاهم. (*)

[٣٦١]

تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء) الآية [التوبة: ١٤ - ١٥]. فكان قتل أبي جهل على يدي شباب من الانصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وضد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقى صعبا يا رويحي الغنم، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم. وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ولكنه خرج معهم تقية منهم لانه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم، الحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] (١) وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج. قال وفيهم نزل قوله تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك ماوأهم جهنم وساءت مصيرا) [النساء: ٩٧] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيرا كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس بن عبد المطلب، وابن عمه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد استدل الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرّم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة في ذلك فالله أعلم. وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم. فصل وقد اختلف الصحابة في الاسارى أيقتلون أو يفادون علي قولين، كما قال الامام أحمد: حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجل - عن الحسن. قال استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال: " إن الله قد أمكنكم منهم " قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق فقال يا رسول نرى أن تغفو عنهم وأن نقبل منهم الفداء. قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فجعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال وأنزل الله تعالى: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم) الآية، انفرد به أحمد (٢). وقد روى الامام أحمد - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا علي بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا

(١) سقط من الاصل، واستدرك من ابن هشام، (٢) مسند أحمد ج ٣ / ٢٤٣. (*)

سماك الحنفي - أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله: فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمراً، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وإنني أرى أن تأخذ منهم الغدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما ترى يا ابن الخطاب ؟ " قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هواده للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " [أبكي] (١) للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة " لشجرة قريبة - وأنزل الله تعالى: " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن (٢) في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم [الانفال: ٦٧] من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث (٣). وقال الامام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة، عن [أبي] (٤) عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قريتهم فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله أنظر وإديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم ناراً. قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس يأخذ يقول أبي بكر، وقال ناس يأخذ يقول عمر، وقال ناس يأخذ يقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال: إن الله ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: (فمن تعني فإنه مني ومن عصاني فإنك

(١) من دلائل البيهقي، (٢) يثخن في الأرض: أي يكثر قهر عدوه وقتله. (٣) أخرجه مسلم في حديث طويل في ٣٢ كتاب الجهاد (١٨) باب الامداد بالملائكة ح ٥٨ وأخرجه أبو داود في الجهاد باب فداء الأسير بالمال عن أحمد بن حنبل عن أبي نوح عن عكرمة. (٤) من المسند، وأبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود. (*)

غفور رحيم) [إبراهيم: ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة: ١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) [نوح: ٢٦] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) [يونس: ٨٨] أنتم عالة فلا يبقين (١) أحد إلا

بغداء أو ضربة عنق قال عبد الله: فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء (٢) فإنني قد سمعته يذكر الاسلام قال فسكت، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال: " إلا سهيل بن بيضاء " قال فأنزل الله: (ما كان لنيبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم) إلى آخر الآيتين. وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية. وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك. وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه (٣). وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک من حديث عبيدالله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار قال وقد أوعده الانصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إنني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه " قال عمر أفأتيهم؟ قال: نعم فأتى عمر الانصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن كان له رضى فخذ، فأخذه عمر فلما صار في يده قال له عمر: يا عباس أسلم فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم، ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: (ما كان لنيبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) الآية. ثم قال الحاكم في صحيحه هذا حديث صحيح

(١) في المسند والبيهقي: بنقلتن. (٢) قال الواقدي في المغازي ١ / ١١٠ " قال ابن وافد: هذا وهم، سهيل بن بيضاء من مهاجرة الحبشة، ما شهد بدرا، إنما هو أخ له يقال له سهل. قال ابن سعد: وسهيل شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما لا شك فيه شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات عمره أربعون سنة. أما سهل فأسلم بمكة وكنتم إسلامه وأخرجه المشركون معهم قال: والذي روى هذه القصة في سهيل فقد أخطأ: وسهيل أسلم قبل عبد الله بن مسعود ولم يستخف بإسلامه. (طبقات ابن سعد ٣ / ٤١٥ و ٤ / ٢١٢). (٣) أخرجه الترمذي في كتاب الجهاد باب في المشورة ٤ / ٢١٢ وكذا في تفسير سورة الانفال ح ٣٠٨٤ ومسند أحمد ١ / ٣٨٢ والبيهقي في الدلائل ج ٣ / ١٣٨ - ١٣٩. والحاكم في المستدرک ٣ / ٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأضاف: صحيح سمعه جرير بن عبد الحميد. (*)

[٣٦٤]

الاسناد ولم يخرجاه، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفیان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال خير أصحابك في الاسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل على أن يقتل عاما قابلا منهم مثلهم، قالوا الفداء أو يقتل منا. وهذا حديث غريب جدا، ومنهم من رواه مرسلًا عن عبيدة والله أعلم. وقد قال ابن إسحاق: عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس في قوله: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول لولا أنني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. وهكذا روى عن ابن أبي نجیح عن مجاهد أيضا واختاره ابن إسحاق وغيره وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحدا شهد بدرا. وهكذا روى عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبیر وعطاء بن أبي رباح، وقال مجاهد والثوري: (لولا كتاب من الله سبق) أي لهم بالمغفرة. وقال الوالبي عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الاول أن المغانم وفداء الاسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده: (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبیر

وعطاء والحسن وقتادة والاعمش، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحدا من الانبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة ". وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا " ولهذا قال تعالى: (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الاسارى وقد قال أبو داود: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي (١) ثنا سفيان بن حبيب، ثنا شعبة، عن أبي العنيس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعين ألف درهم (٢)، وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم (٣). وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة فقال تعالى: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى إن يعلم الله في قلوبهم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم) الآية [الانفال: ٧٠]. وقال الواقدي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادي نفسه بالاربعةين أوقية من ذهب قال العباس، فأتاني الله أربعين عبدا - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه (٤). وقال ابن إسحاق: حدثني العباس بن

(١) العيشي: من سنن أبي داود ودلائل البيهقي. وفي الاصل: العيسبي وهو تحريف.
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فداء الاسير بالمال ح ٢٦٩١ ج ٢ / ٦١ - ٦٢.
(٣) قال الواقدي: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل. وفي رواية له: أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى الفين إلى ألف إلى قوم لا مال لهم من عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٤) دلائل البيهقي ٣ / ١٤٣.
(*)

[٣٦٥]

عبد الله بن مغفل (١) عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والاسارى محبوبون بالوثاق، بات النبي صلى الله عليه وسلم ساهرا أول الليل، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ [وقد أسر العباس رجل من الانصار] (٢) فقال: " سمعت اثنين عمي العباس في وثاقه " فأطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن إسحاق: وكان رجلا موسرا ففادي نفسه بمائة أوقية من ذهب. قلت: وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم باسلامك وسيجزيك " فادعى أنه لا مال عنده قال: " فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها: إن أصبت في سفري فهذا لبني الفضل وعبد الله وقتم ؟ " فقال والله إنني لاعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس. وثبت في صحيح البخاري من طريق موسى بن عقبة: قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال: إن رجلا من الانصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا إيدن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه. فقال: " لا والله لا تزدون منه درهما " (٣) قال البخاري وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين فقال: " انثروه في المسجد " فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني إنني

فاديت نفسي وفاديت عقيلًا فقال " خذ " فحثا في ثوبه ثم ذهب
 بقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي. قال " لا " قال فارفعه
 أنت علي، قال " لا " فنثر منه ثم ذهب بقله فلم يستطع فقال مر
 بعضهم يرفعه إلي قال " لا " قال فارفعه أنت علي، قال " لا " فنثر
 منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق. فما زال يتبعه بصره حتى
 خفي علينا عجا من حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وثم منها درهم. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم
 عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل
 بن عبد الرحمن السدي. قال: كان فداء العباس وابني أخويه عقيل
 بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمئة
 دينار (٤)، ثم توعد تعالى الآخرين فقال: (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا
 الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم). فصل والمشهور أن
 الاسارى يوم بدر كانوا سبعين، والقنلى من المشركين سبعين كما
 ورد في غير ما

(١) في دلائل البيهقي: بن معبد. وهو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن
 عبد المطلب الهاشمي المدني. (٢) من البيهقي. (٣) أخرجه البخاري في كتاب
 العتق (٤٩)، ١١ باب إذا أسر أخو الرجل ح ٢٥٣٧ وأعادته في الجهاد - باب فداء
 المشركين. (٤) دلائل النبوة ج ٣ / ٤٠ (*)

[٣٦٦]

حديث مما تقدم وسيأتي إن شاء الله، وكما في حديث البراء بن
 عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا
 سبعين. وقال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من
 قريش ستة ومن الانصار ثمانية (١)، وقتل من المشركين تسعة
 وأربعين، وأسر منهم تسعة وثلاثين. هكذا رواه البيهقي عنه. قال:
 وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة في عدد من
 استشهد من المسلمين وقتل من المشركين (٢). ثم قال أخبرنا
 الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير
 عن محمد بن إسحاق. قال واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد
 عشر رجلا، أربعة من قريش وسبعة من الانصار وقتل من المشركين
 بضعة وعشرون (٣) رجلا وقال في موضع آخر: وكان مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أربعون (٤) أسيرا، وكانت القنلى مثل ذلك. ثم
 روى البيهقي: من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل
 عن الزهري قال: وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر،
 ورجل من الانصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين،
 وأسر منهم مثل ذلك، قال ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن
 الزهري عن عروة بن الزبير قال: قال البيهقي - وهو الاصح - فيما
 روينا في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم، ثم استدل على
 ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضا من طريق أبي إسحاق عن البراء
 بن عازب قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم
 أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين [يعني يوم أحد] (٥).
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أصابوا من المشركين
 يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرا، وسبعين قتيلا (٦). قلت
 والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد
 صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا، وكأنه أخذه من هذا
 الذي ذكرناه والله أعلم. وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة
 على الالف، والصحيح الأول لقوله عليه السلام: " القوم ما بين
 التسعمائة إلى الالف " وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمئة وبضعة
 عشر رجلا كما سيأتي التنصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء
 الله، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر
 كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، وقاله أيضا عروة بن
 الزبير وقتادة وإسماعيل

(١) في الدرر في اختصار المغازي: الجميع أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار: ستة من الأوس واثنتان من الخزرج. (٢) في دلائل البيهقي: الكفار ج ٣ / ١٢٢ - ١٢٣. (٣) في دلائل البيهقي: وأربعون. (٤) في دلائل البيهقي: أربعة وأربعين. وفي رواية ابن هشام قال: كان قتلى قريش: خمسين رجلا. وقال عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: القتلى سبعون والأسرى كذلك. (راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣٧٢ - دلائل النبوة ٣ / ١٢٢). (٥) من دلائل البيهقي ح ٣ / ١٢٤. (٦) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي باب ١٠ ح ٣٩٨٦ وأعادته في التفسير - سورة آل عمران - وأخرجه أبو داود في الجهاد في باب أي وقت يستحب اللقاء ورواه البيهقي في الدلائل ٣ / ١٢٤. (*)

[٣٦٧]

والسدي الكبير وأبو جعفر الباقر. وروى البيهقي من طريق قتبية عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال: " تحروها لاحدى عشرة بقين فإن صبحتها يوم بدر " (١). قال البيهقي: وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. قال البيهقي: والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان. ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق ثنا أبو نعيم ثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول: سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال: إما لسبع عشرة خلت، أو ثلاث عشرة خلت أو لاحدى عشرة بقيت، وإما لسبع (٢) عشرة بقيت، وهذا غريب جدا. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش بالنساء (٣) ردت محمدا وأصحابه. فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلي ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الإسلام، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد في ملا من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت. فقال: يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء، فقلت: أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط، ولا ترمزمت (٤) به إلا شيئا حدثت به نفسي، فلولا أنك نبي ما أطلعك [الله] (٥) عليه، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت. فصل وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون، ففرقة أهدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم تحرسه خوفا من أن يرجع

(١) دلائل النبوة ٣ / ١٢٨، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٠ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي رواية للأسود عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان، وليلة إحدى وعشرون وليلة ثلاث وعشرون (أبو داود - الصلاة - دلائل البيهقي ٣ / ١٢٨). (٢) في البيهقي ٣ / ١٢٩: لتسع عشرة. (٣) من سيرة ابن كثير، وفي الأصل: بالها وهو تحريف، والنساء: جمع سهوة، وهي القوس المواتية. (٤) في الواقدي: ترمزمت ترمزمت: أي حرك فاه للكلام (الصحاح). (٥) من مغازي الواقدي ١ / ٩٨. (*)

[٣٦٨]

أحد من المشركين إليه. وفرقة ساقط وراء المشركين يقتلون منهم وبأسرون، وفرقة جمعت المغنم من متفرقات الاماكن. فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الامر المهم. قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين عن بواء، يقول عن سواء. وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم. بل قد تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذو الفقار من مغنم بدر (١). قال ابن جرير: وكذا اصطفى جملاً لابي جهل كان في أنفه برة من فضة، وهذا قيل إخراج الخمس أيضاً. وقال الامام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، ثنا ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، عن سليمان بن موسى، عن أبي سلام، عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة علي المغنم يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم، نحن حويناها وليس لاحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمتناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به، فأنزل الله: (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله ولرسوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) [الانفال: ١ - ٥] فقسمها رسول الله بين المسلمين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال. وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن. ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث عبد الرحمن، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم، قال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفتتم

(١) رواه البيهقي عن ابن عباس ٣ / ١٣٦، والترمذي في السير، باب في النفل. وابن ماجه في الجهاد باب: السلاح. (*)

إلينا، فتنازعوا فأنزل الله تعالى: (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله ولرسوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (١). وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الانفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى: (قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم

وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الامر حتى انتهى إلى قوله: (واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل) الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الانفال الذي جعل مرده إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخمسها. ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخا لما تقدم، وهكذا روى الوالبي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر. والله أعلم. فإن سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضا، ثم في الصحيحين: عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شار فيه اللذين اجتب أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخميس يوم بدر ما يرد صريحا على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم. بل خمست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح. والله أعلم. فصل في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الامور في مسيره إليها مؤيدا منصورا عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة،

(١) أخرجه البيهقي من طريق وهب بن بقة، وزاد في آخره: يقول: فكان ذلك خيرا لهم، فكذلك أيضا أطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم. وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في النفل ج ٢٧٢٧ عن وهب وح ٢٧٢٨ عن زياد بن أيوب عن هشيم عن داود.. وح ٢٧٢٩ عن هارون بن محمد بن بكر بن بلال. وأخرجه النسائي في التفسير عن المعتمر بن سليمان. ونقله الصالح في السيرة الشامية ٤ / ٨٩ عن ابن حبان وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر. (*)

[٢٧٠]

وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين، فركب ناقته ووقف على قليب بدر ففرع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدم ذكره، ثم سار عليه السلام ومعه الاسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحد به وكفر، أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة، والثاني زيد بن حارثة (١) إلى السافلة. قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سويتنا [التراب] على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر. قال أسامة: فلما قدم أبي - زيد بن حارثة - جثته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البخترى العاص بن هشام، وأميمة بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. قال قلت: يا أبة أحق هذا؟ قال إي والله يا بني. وروى البيهقي: من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان وأسامة بن زيد على [رقية] (٢) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [أيام بدر] (٣)، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيئة (٤) فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الاسارى. وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بسهمه (٥) وقال الواقدي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من بدر العصر بالاثيل (٦)

فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال: مر بي (٧) ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلي وقال: إني كنت في طلب القوم، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر، على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنبيه الغبار، فقال: يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت ؟ قال: نعم. قال الواقدي قالوا: وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل فجاء يوم الأحد حين

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أبو أسامة الكلبي، الأمير الشهيد، سيد الموالي وأسبغهم إلى الإسلام. وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابيا باسمه إلا زيد بن حارثة وعيسى بن مريم عليه السلام. عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس وقدمه على الأمراء في غزوة مؤتة فقاتل وقتل فيها طعنا بالرمح. (٢) من دلائل البيهقي. (٣) من دلائل البيهقي. (٤) الهبة: كل ما أفرغ من صوت، قال أبو عبيد: هي صيحة الفزع. (٥) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣ / ١٣٠ - ١٣١. والحاكم في المستدرک ٢ / ٢١٧ عن أبي أمامة قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر بعث بيشرين.. الخ وقال في آخره: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (٦) الأثيل: موضع بالصفراء، قال الواقدي: واد طوله ثلاثة أميال وبينه وبين بدر ميلان. (٧) من الواقدي، وفي الأصل: يرى وهو تحريف. (*)

[٣٧١]

اشتد الضحى، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته، يا معشر الانصار، أبتشروا بسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وقتل زمعة بن الاسود، وأميمة بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو. قال عاصم بن عدي: فقمتم إليه فنحوته فقلت: احقا يا ابن رواحة ؟ فقال إي والله وغدا يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسرى مقرنين. ثم تتبع دور الانصار بالعالية يبشروهم دارا دارا والصبيان ينشدون معه يقولون: قتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء يبشرو أهل المدينة، فلما جاء المصلى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البخترى وزمعة بن الاسود، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير، فجعل بعض الناس لا يصدقون زيدا ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا (١) حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا. وقد زيد حين سوبنا [التراب] على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع، وقال رجل من المنافقين لاسامة: قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لابي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون فيه أبدا وقد قتل عليه أصحابه وقتل محمد وهذه نافته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب، وجاء فلا فقال أبو لبابة: يكذب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلا. قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إي والله حق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرحف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك، فقال إنما هو شئ سمعته من الناس يقولونه. قال فجئ بالاسرى وعليهم شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد شهد معهم بدرا وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أحصوا. قال الواقدي: وهم سبعون في الاصل مجتمع عليه لا شك فيه. قال ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الروحاء رؤوس الناس يهنتونه بما فتح الله عليه. فقال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفني عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوا، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال له رسول الله " صدقت " (٢). قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الاسارى وفيهم عقبه بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدي بن أبي الزغباء -: أقم لها صدورها يا بسبس * ليس بذى الطلح لها معرس ولا بصحراء عمير محبس * إن مطايا القوم لا تحبس

(١) الفل: القوم المنهزمون ويقع على الواحد والاثنتين والجمع. عن النهايه. (٢) الخبر في مغازي الواقدي ١ / ١١٤ - ١١٥ وفي دلائل البيهقي من طريق الحسين بن الفرج عن الواقدي. ج ٣ / ١٣١ - ١٣٣. (*)

[٢٧٢]

فحملها على الطريق أكييس * قد نصر الله وفر الاخس قال: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كتيب بنى المضيق وبين النازية يقال له سير إلى سرحة به. فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمرو ويزيد بن رومان ما الذي تهنئوننا به. والله إن لقينا إلا عجايز صلعا كالبدن المعقلة فنحرنها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " أي ابن أخي أولئك الملا " قال ابن هشام: يعني الاشراف والرؤساء (١). مقتل النضر بن الحارث وعقبه بن أبي معيط لعنهما الله قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء (٢) قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الطيبة (٣) قتل عقبه بن أبي معيط. قال ابن إسحاق: فقال عقبه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله: فمن للصبية يا محمد ؟ قال " النار " وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. وكذا قال موسى بن عقبه في مغازيه وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الاسارى أسيرا غيره. قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت. قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله. وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عقبه قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟. قال: " نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي " قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبه علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم. قلت: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وهجاء للاسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل. قال ابن هشام: فقالت قتيلة بنت الحارث أخت (٤) النضر بن

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ج ٢ / ٢٩٧. (٢) الصفراء: قال ابن سعد وإد من المدينة على ثلاث ليال. وقيل: كثير النخل والزرع وهو على مرحلة من بدر. (٣) في الواقدي: قتل عقبه صبيرا في الصفراء. وفي روايته أن النضر قتله علي بن أبي طالب في الاثيل صبيرا بالسيف بأمر النبي مغازي الواقدي ١ / ١٣٨ و ١٤٩. والاعنادي ١ / ١٩. (٤) في معجم البلدان - أثيل -: إنها ابنته (*).

الحارث في مقتل أخيها: يا راكبا أن الأثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق أبلغ بها ميتا بأن تحية * ؟ إن تزال بها النجائب تخفق (١) مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوابلها وأخرى تخنق (٢) هل يسمعن النضر إن ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق (٣) أمحمد يا خير ضئ كريمة * من قومها والفحل فحل معرق (٤) ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز ما يعلو به ما ينفق (٥) والنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم إن كان عتق يعتق ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هنالك تشقق صبرا يقاد إلى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق قال ابن هشام: ويقال والله أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال: " لو بلغني هذا قيل قتله لمننت عليه ". قال ابن إسحاق: وقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموضوع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر (٦) مملوء حيسا - وهو التمر والسويق بالسمن - هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله منه ووصى به الانصار. قال ابن إسحاق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم. قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبدالدار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالاسارى فرؤهم بين أصحابه، وقال " استوصوا بهم خيرا " قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابييه وأمه في الاسارى، قال أبو عزيز: مر بي

(١) في ديوان الحماسة وياقوت: بلغ به ميتا فإن تحية. (٢) في ديوان الحماسة: " مني إليه " ويروى: جادت لماتها تعنى أبها - كما في رواية ياقوت - لانه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها. (٣) في الاغانى: إن كان يسمع هالك لا ينطق ويروى: أو ينطق. (٤) في الاغانى: أمحمد ولانت نسل نجبية. (٥) البيت في الاغانى أو كنت قابل فدية فلناتين بأعز ما يعلو لديك وينفق وقال محققه: صححه الشنقيطي: لو كنت قابل فدية. (الاجاني ج ١ / ١٩. دار الكتب). (٦) في سيرة ابن هشام: ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضوع أبو هند، مولى فروة بن عمرو البياضي بحميت مملوء حيسا، قال ابن هشام: الحميت: الزق. (*)

أخي مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرني فقال: شد يدك به فإن أمه (١) ذات متاع لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبزة إلا نفحني بها فأستحي فأردها فيردها علي ما يمسهها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لابي اليسر (٢) - وهو الذي أسره - ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أعلى ما فدى به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. قلت: وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الاثير في غابة الصحابة، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة. وكان أخا مصعب بن عمير لابييه، وكان لهما أخ آخر لابويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافرا ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد (٣) بن زرارة. قال: قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مناختهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، قال: تقول سودة: والله إنني لعندهم إذا أتينا فقيل:

هؤلاء الاسارى، قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراما؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت " يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين " قالت (٤): قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت. ثم كان من قصة الاسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله. ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر - رضي الله عنه - قال الحافظ البيهقي (٥): أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد، حدثنا

(١) أمه: الخناس بنت مالك العامرية، وأخته هند بنت عمير، أم شيبه بن عثمان حاجب الكعبة، جد بني شيبه (الروض الأنف). (٢) في الواقدي: أسره أبو اليسر، ثم اقتنع عليه فصار لمحرز بن نضلة، - وما قاله مصعب في شأن أخيه أبي عزيز كان لمحرز وليس لأبي اليسر - (٣) من ابن هشام، وفي الأصل سعد وهو تحريف. (٤) من ابن هشام، وفي الأصل: قال وهو تحريف. (٥) أخرجه الحافظ البيهقي في الدلائل - باب قدوم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة على أهل المدينة.. وما فعل = (*)

[٣٧٥]

أحمد بن سليمان (١) النجاد، حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدثني حمزة بن العباس، ثنا عبدان بن عثمان، ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن (٢) جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - قال أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلفان ثياب جالس على التراب. قال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال: إني أبشركم بما يسركم. إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي، فأخبرني أن الله [عزوجل] قد نصر نبيه [صلى الله عليه وسلم] وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان [وفلان] وقتل فلان وفلان [وفلان] (٣). التقوا بواد يقال له بدر، كثير الراك كأنني أنظر إليه كنت أرعى لسيدي رجل من بني ضمرة إبله، فقال له جعفر: ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاط (٤)؟ قال إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقا علي عباد الله أن يحدثوا الله تواضعا عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لي نصر نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت له هذا التواضع. ووصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميمة بن خلف، وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية والله لن (٥) يعقل هذا، فسלוه عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال هو ذاك جالسا في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا. قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعفرت خيول كثيرة ورواحل. وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول: أزار الحنيفيون بدرا وبيعة * سينقض منها ركن كسرى وقيصرا أبادت رجلا من لؤي وأبرزت * خرائد يضرين التراث حسرا فيا ويح من أمسى عدو محمد * لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

= النجاشي حين بلغه الفتح ج ٢ / ١٣٣ ونقله الصالح في السيرة الشامية ٤ / ١٠٤. (١) من البيهقي وفي الاصل سلمان تحريف. وهو أحمد بن سليمان الفقيه. (٢) من البيهقي، وفي الاصل عن - تحريف. (٣) ما بين معكوفين من البيهقي. (٤) في البيهقي: الاخلاق. (٥) في ابن هشام: والله إن يعقل هذا. (*)

[٢٧٦]

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافتهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا - فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كتبه الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا، قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الاقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إنني لجالس فيها أنت أقداحي، وعندني أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر، حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم. قال فقال أبو لهب: هلم إلي فعندك لعمرى الخبر، قال فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق (١) شيئا ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجر بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال وثأورته (٢) فاحتلمني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني - وكان رجلا ضعيفا - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجر فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكورة، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده، فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة (٣) فقتلته. زاد يونس عن ابن إسحاق: فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن. وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فإنا أعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضوا عليه بالحجارة. [قال يونس عن ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوزه] (٤). قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا

(١) ما تليق: ما يتقي. (٢) ثأورته: ثبت له. (٣) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون. (٤) ما بين المعكوفين، سقط من الاصل وابن هشام واستدركت تمنة للخبر من دلالات البيهقي ج ٣ / ١٤٦. (*)

[٢٧٧]

تفعلوا يبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا (١) بهم لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قلت: وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلهم، فإن البكاء على الميت مما يبيل فؤاد الحزين. قال ابن إسحاق: وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة وعقيل والحارث، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له - وكان قد ذهب بصره - أنظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلها لعلي أبيك على أبي حكيمة - يعني ولده زمعة - فإن جوفي قد احترق، قال فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبيكي على يعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود: أتبيكي أن أضل لها يعير * ويمنعها من النوم السهود فلا تبكي على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود على بدر سراة بني هصيص * ومخزوم ورهط أبي الوليد وبكى إن بكيت أبا (٢) عقيل * وبكى حارثا أسد الاسود وبكيتهم ولا تسمي جميعا * وما لابي حكيمة من نديد ألا قد ساد بعدهم رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا بعث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أسراهم قال ابن إسحاق: وكان في الاسارى أبو وداعة بن ضبيبة السهمي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه " فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى: صدقتم لا تعجلوا، وانسل من الليل وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به. قلت: وكان هذا أول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقد مكرز بن حفص بن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال في ذلك:

(١) من ابن هشام وفي الاصل: تستأنسوا تحريف. حتى تستأنوا: أي تؤخروا فداءهم حتى لا يتشدد في طلب الفداء. (٢) في ابن هشام: على.

[٢٧٨]

أسرت سهيلا فلا ابتغي * أسيرا به من جميع الامم (١) وخندف تعلم أن الفتى * فتاها سهيل إذا يظلم ضربت بذى الشفر حتى انثنى * وأكرهت نفسي على ذي العلم (٢) قال ابن إسحاق: وكان سهيل رجلا أعلم (٣) من شفته السفلى. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا ". قلت: هذا حديث مرسل بل معضل. قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا: " إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه " قلت: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها. فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتي في موضعه. قال ابن إسحاق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائم قالوا هات الذي لنا (٤). قال: اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا عندهم. وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعرا أنكره ابن هشام. فإله أعلم. قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب. قال ابن إسحاق وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط. قال ابن هشام: بل كانت أمه أخت أبي معيط. قال ابن هشام: وكان الذي أسره علي بن أبي طالب. قال ابن إسحاق:

وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال فقيلا لابي سفيان أفد عمرا ابنك، قال أيجتمع على ذمي ومالي، قتلوا حنظلة وأفدي عمرا؟ دعوه في أيديهم بمسكوه ما بدا لهم. قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما في غنم له بالبيقع (٥) فخرج من هنالك معتمرا ولم يظن أنه يحبس بمكة إنما جاء

(١) في الواقدي: فلم ابتغ ١ / ١٤٣. (٢) في مغازي الواقدي: ضربت بذئ السيف حتى انحنى. وقال ابن أبي الحديد: ذي العلم بسكون اللام، ولكنه حركه - هنا - للضرورة، وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا (شرح نهج البلاغة ٣ / ٣٥٠). (٣) الاعلم مشقوق الشفة العليا، وأما مشقوق الشفة السفلى فهو: الأفلح. (٤) في الواقدي: هات مالنا. (٥) كذا في الأصل البيقع: وهو موضع داخل المدينة وفيها مقابرها. ولعل الأرحح النقيع وهو الأقرب، فالنقيع موضع قرب المدينة. (*)

[٣٧٩]

معتمرا، وقد كان عهد قريش أن قريشا لا يعرضون لاحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحيسه بآبانه عمرو وقال في ذلك: أرهط ابن أكال أجيوا دعاءه * تعاقدم لا تسلموا السيد الكهلا فإن بني عمرو لثام أذلة * لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكيلا قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول: لو كان سعد يوم مكة مطلقا * لاكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا بعصب حسام أو بصفراء نبعة * نحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا (١) قال ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم فأعطاهم النبي (٢) فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد. قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب. قال ابن هشام: وكان الذي أسره خراش بن الصمة أحد بني حرام. قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم (٣) من عتبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا محمدا بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقالوا فارق صاحبك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله إذا (٤) لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه في صهره [خيرا] (٥) فيما بلغني. قلت: الحديث بذلك في الثناء عليه في

(١) نبعة من النبع والنيع: شجر يصنع منه القسي. (٢) قال الواقدي: أن عمرو بن أبي سفيان صار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقرعة. (٣) قال السهيلي: كانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عتيبة. فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت تبت يدا أبي لهب. فطلقاهما قبل الدخول بهما. أسلمت رقية وأم كلثوم بعدما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياة أمهما خديجة، وتزوج عثمان رقية وهاجرا إلى الحبشة، وهاجرت أم كلثوم إلى المدينة مع عيال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفيت رقية خلف عثمان بن عفان على أم كلثوم وكانت بكرا، ولم تزل عنده حتى توفيت ولم تلد له شيئا. (الطبقات ج ٨ / ٣٦ - ٣٨ الروض الأنف). (٤) في نسخة لابن هشام: إنبي. (٥) من ابن هشام. (*)

صهره ثابت في الصحيح كما سيأتي. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم، مغلوبا علي أمره، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي العاص، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما. قلت: إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت: فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة، وقال: " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ". قالوا نعم ! يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها. قال ابن إسحاق: فكان ممن سمي لنا ممن من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاسارى بغير فداء: من بني أمية أبو العاص بن الربيع، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم (١) أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ههنا فأخبرناه لانه أنسب والله أعلم. وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعقيلًا ونوفلا ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب. وقال ابن هشام كان الذي أسر أبي العاص (٢) أبو أيوب خالد بن زيد. قال ابن إسحاق: وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ (٣) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليعتن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم: قال حسان بن ثابت في ذلك: ما كان صيفي ليوفى أمانة * ففا ثعلب أعيا ببعض الموارد (٤) قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع، كان محتاجا ذا بنات، قال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال، وإنني لذو حاجة وذو عيال، فامنن علي، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا. فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك:

(١) ذكره الواقدي في: بني أبي رفاعة، وقال: كان الذي أسره أبو أيوب الانصاري وهو ما ذكره ابن هشام، وما سيرد بعد أسطر تحريف. (٢) راجع الحاشية السابقة. (٣) عائذ كذا في الاصل: قال أبو ذر: قال الزبير بن بكار من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد، ومن كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ (شرح أبي ذر ص ١٦٧) فعلى ذلك، فالصواب عابد على قول أبي ذر. (٤) في ديوان حسان: ذمة بدل: أمانة (*).

من مبلغ عني الرسول محمدا * بأنك حق والمليك حميد وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى * عليك من الله العظيم شهيد وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود فإنك من جاريتك لمحارب * شقي ومن سالمته لسعيد ولكن إذا ذكرت بدرا وأهله * تأوب ما بي، حسرة وفعود قلت: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم فلما كان يوم أحد أسر أيضا، فسأل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليه أيضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدا مرتين " ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد. ويقال إن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يلدغ

المؤمن من جحر مرتين " وهذا من الامثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. قال ابن هشام: والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر عن عروة: فذكر أصحاب القليب ومصائبهم فقال صفوان: والله ما أن في العيش [بعدهم] (١) خير، قال له عمير صدقت، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة: ابني أسير في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا، لا يسعني شئ ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكنتم علي شأني وشأنك، قال: سأفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حريش بيننا وحزنا (٢) للقوم يوم بدر، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه. قال: فأدخله علي، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبيه بها، وقال لمن كان معه من الانصار: أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه

(١) من ابن هشام. (٢) حزرنا: أي الذي قدر عدد المسلمين تخميناً يوم بدر. (*)

[٢٨٢]

رسول الله وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: " أرسله يا عمر، أدن يا عمير " فدنا ثم قال: أنعم صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله " قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة " قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: " فما جاء بك يا عمير ؟ " قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: " فما بال السيف في عنقك " قال: قبضها الله من سيوف وهل أغنت شيئاً ؟ قال: " أصدقني ما الذي جئت له ؟ " قال ما جئت إلا لذلك، قال: " بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك " فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ففهموا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره " ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق

بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا. قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدا فأسلم على يديه ناس كثير. قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال: إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون، وكان إبليس يومئذ في صورة سراققة بن مالك بن جعشم أمير مدلج (١). فصل ثم إن الامام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الانفال إلى آخرها فأجاد وأفاد، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم والله الحمد والمنة.

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ج ٢ / ٣١٧ - ٣١٨ ونقله البيهقي عن موسى بن عقبة كتاب المغازي يزيد كلمة وينقص كلمة والمعنى واحد. في دلائل النبوة ج ٢ / ١٤٧ - ١٤٩ (*)

[٢٨٢]

فصل ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرا من المسلمين فسرده أسماء من شهدها من المهاجرين أولا، ثم أسماء من شهدها من الانصار أوسها وخزرجها إلى أن قال: فجميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا (١)، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الاوس أحد وستون رجلا. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا. وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بأبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الاحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم حرف الالف أبي بن كعب النجاري سيد القراء، الارقم بن أبي الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان. ثم أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم، كذا قال موسى بن عقبة. وقال الاموي: سواد بن زمام بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق، سواد بن زريق بن ثعلبة، وقال ابن عائد سواد بن زيد، أسير بن عمرو الانصاري أبو سليط، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي، ولم يذكره موسى بن عقبة، أنس بن قنادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الاوسي، كذا سماه موسى بن عقبة، و [سماه] الاموي في السيرة أنيس.

(١) قال الواقدي: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا. وفي رواية ابن بكير عن ابن إسحاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون من المهاجرين ومن الانصار مائتان وستة وثلاثون رجلا. وروى البخاري عن البراء قال: كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت. وروى عنه قال: كان المهاجرون يوم بدر نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا وأربعين ومائتين وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: ثلاثمائة وخمسة عشر من مقاتلة. (مغازي الواقدي ج ١ البخاري كتاب المغازي ٦ باب - وأبو داود في الجهاد باب في نفل السرية تخرج من العسكر). (*)

[قلت: وأنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم لما روى عمر بن شبة النميري: حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال: قيل لانس بن مالك: أشهدت بدرا؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟! وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري، ثنا أبي عن مولى لانس بن مالك أنه قال لانس: شهدت بدرا؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر؟ قال محمد بن عبد الله الانصاري: خرج أنس بن مالك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه قال: شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه: هكذا قال الانصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي [أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أنسة الحبشي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن ثابت بن المنذر النجاري، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي. وقال موسى بن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن الصامت، إياس بن الكبير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب. حرف الباء بجير بن أبي بجير حليف بني النجار، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الانصار، بسيس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدي بن أبي الزغباء كما تقدم، بشر بن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ووالد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الاوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. حرف التاء تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، تميم مولى خراش بن الصمة، تميم مولى بن غنم بن السلم. وقال ابن هشام: هو مولى سعد بن خيثمة. حرف التاء ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان، ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجدع بن

زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري، ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجاري، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد بن مالك بن غنم بن عدي بن النجار النجاري، ثابت بن هزال الخزرجي، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي، ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابئ السلمى، ثقف بن عمرو من بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد. حرف الجيم جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري، جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى أحد الذين شهدوا العقبة. [قلت: فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أيضا فذكره البخاري فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت أمتح لأصحابي الماء يوم بدر. وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر - يعني الواقدى - هذا الحديث فقال هذا وهم من

أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدرا وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن إسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزاة. ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح (١) [جبار بن صخر السلمى، جبر بن عتيك الانصاري، جبير بن إياس الخزرجي. حرف الحاء الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد بن معاذ الاوسي، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الاوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الاشهل، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لانه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الاوسي، الحارث بن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي، الحارث بن النعمان بن أمية (*)

[٢٨٦]

الانصاري. حارثة بن سراقه النجاري أصابه سهم غرب (١) وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس، حارثة بن النعمان بن رافع الانصاري حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي. حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الاشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق. وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائد في مغازيه. وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته من أبي وقال هو رجل مجهول، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ، حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدرى حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. حرف الخاء خالد بن الكبير أخو إياس المتقدم، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الانصاري، خارجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائد خارجة فالله أعلم. خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق، خباب بن الارت حليف لبني زهرة وهو من المهاجرين الاولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة (٢)، خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الاولين، خراش بن الصمة السلمى، خبيب بن اساف بن عنبة الخزرجي، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم، خليفة بن عدي الخزرجي، خلود بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الانصاري السلمى، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب، خوات بن جبير الانصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهد بها بنفسه، خولى بن أبي خولى العجلي حليف لبني عدي من المهاجرين الاولين، خلاد بن رافع، وخلاد بن سويد، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون. حرف الذال ذكوان بن عبد قيس الخزرجي، ذو الشمالين بن عبد (٣) بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ

(١) في تاريخ خليفة: قتله حيان بن العرفة بسهم وهو يشرب من الحوض. (٢) الصواب أنه تميمي، اشترته في الجاهلية امرأة من خزاعة وأعتقته، وكان من حلفاء بني

عوف... من زهرة فهو تميمي النسب، خزاعي بالولاء، زهري بالحلف (الاستيعاب).
(٢) في تاريخ خليفة: "عبد عمرو" قتله أسامة الجشمي (سيرة ابن هشام). (*)

[٢٨٧]

شهيدا. قال ابن هشام: واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسرا. حرف الراء رافع بن الحارث الاوسي، رافع بن عنجدة قال ابن هشام: هي أمه، رافع بن المعلّى بن لودان الخزرجي قتل يومئذ (١). ربعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربعي بن أبي رافع، ربعي بن إياس الخزرجي، ربعية بن أكثم بن سخيرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الاولين، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي، رفاعة بن رافع الزرقني أخو خلاد بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر بن زبير الاوسي أخو أبي لبابة، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي. حرف الزاي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الاخرس بن عمرو الجهني. وقال الواقدي زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن رفاعة بن كليب بن بردعة بن عدي بن عمرو بن الزبير بن ريشان بن قيس بن جهينة، زياد بن لبيد الزرقني، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة، زيد بن حارثة بن شرحبيل (٢) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، زيد بن سهل بن الاسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضي الله عنه. حرف السين سالم بن عمير الاوسي، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجي، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي شهد مع أبيه، سبيع بن قيس بن عائذ الخزرجي، سبرة بن فاتك ذكره البخاري، سراقفة بن عمرو النجاري، سراقفة بن كعب النجاري أيضا، سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي من المهاجرين الاولين، سعد بن خيثمة الاوسي قتل يومئذ شهيدا (٣)، سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أحد شهيدا، سعد بن زيد بن مالك الاوسي وقال الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل التجاري، سعد بن عبيد الأنصاري، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي أبو عبادة وقال ابن عائذ أبو عبيدة، سعد بن معاذ الاوسي وكان

(١) قتله عكرمة بن أبي جهل (قاله خليفة بن خياط). (٢) في ابن هشام: "شراهيل". (٣) قتله طعيمة بن عدي. ويقال عمرو بن عبدود (تاريخ خليفة). (*)

[٢٨٨]

لواء الاوس معه، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي ذكره غير واحد منهم عروة والبخاري وابن أبي حاتم والطبراني فيمن شهد بدرًا، ووقع في صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبي صلى الله عليه وسلم في ملتقى النضير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة فالله أعلم سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدي تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج، سعيد بن زيد بن عمرو بن

نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ف ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي، سلمة بن أسلم بن حريش الاوسي، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، سليم بن الحارث النجاري سليم بن عمرو السلمي، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري، سماك بن أوس بن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم، سهل بن حنيف الاوسي، سهل بن عتيك النجاري. سهل بن قيس السلمي، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولاخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم، سهيل بن وهب الفهري وهو ابن بيضاء وهي أمه، سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، سنان بن صيفي السلمي، سواد بن زريق بن زيد الانصاري. وقال الاموي سواد بن رزام، سواد بن غزية بن أهيب البلوي، سويط بن سعد بن حرملة العبدي، سويد بن مخشى أبو مخشى الطائي حليف بني عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير. حرف الشين شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس من المهاجرين الاولين شماس بن عثمان المخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمي شماسا لحسنه وشبهه شماسا كان في الجاهلية، شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي لم يسهم له وكان على الاسرى فأعطاه كل رجل ممن له في الاسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم. حرف الصاد صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الاولين، صفوان (١) بن وهب بن ربيعة الفهري أخو سهيل بن بيضاء قتل شهيدا يومئذ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي.

(١) في تاريخ خليفة: " صفوان بن بيضاء، قتله طعيمة بن عدي. (*)

[٣٨٩]

حرف الضاد ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي، ضحاك بن عبد عمرو النجاري، ضمرة بن عمرو الجهني وقال موسى بن عقبة: ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الانصار وهو أخو زياد بن عمرو. حرف الطاء طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ف ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهو أخو حصين وعبيدة، طفيل بن مالك بن خنساء السلمي. طفيل بن النعمان بن خنساء السلمي ابن عم الذي قبله. طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ذكره الواقدي. حرف الظاء ظهير بن رافع الاوسي ذكره البخاري. حرف العين عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الانصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع، عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء و ضرب له بسهمه وأجره، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي عاقل بن البكير (١) أخو إياس وخالد وعامر، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري، عامر بن الحارث الفهري كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق وابن عائد وقال موسى بن عقبة وزباد عن ابن إسحاق عمرو بن الحارث، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدي من المهاجرين، عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم. قال ابن هشام ويقال عمر بن سلمة، عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الاولين، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، عامر بن مخلد النجاري، عائد بن معاض بن

قيس الخزرجي، عباد بن بشر بن وقش الاوسي، عباد بن قيس بن عامر الخزرجي، عباد بن قيس بن عيشة الخزرجي أخو سبيع المتقدم، عباد بن الخشخاش القضاعي، عبادة بن الصامت الخزرجي، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس، عبد الله بن أمية بن عرفطة، عبد الله بن ثعلبة بن خزيمة أخو بحات المتقدم، عبد الله بن جحش بن رثاب الاسدي، عبد الله بن جبير بن النعمان الاوسي، عبد الله بن الجد بن قيس السلمى، عبد الله بن حق بن أوس الساعدي. وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب بن حق، وقال ابن هشام عبد ربه بن حق، عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع، عبد الله بن الربيع بن

(١) قتله مالك بن زهير (تاريخ خليفة). (*)

[٣٩٠]

قيس الخزرجي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي (١) الذي أرى النداء، عبد الله بن سراقبة العدوي لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن إسحاق وغيره، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الانصار، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركون ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم. عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الاوس (٢)، عبد الله بن عامر من بلى ذكره ابن إسحاق، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين، عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمى، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي، عبد الله بن عمر بن حرام السلمى أبو جابر، عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمى. عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبي صلى الله عليه وسلم مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر، عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى من المهاجرين الاولين، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من المهاجرين الاولين، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمى، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمى، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجي، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث القضاعي البلوي، عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة رضي الله عنهم، عبس بن عامر بن عدي السلمى، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر، عبيد بن أبي عبيد، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه، عتب بن مالك بن عمرو الخزرجي عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف بني أمية بن لؤدان، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمى، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الاولين، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الاربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره، عثمان بن

مظعون الجمحي أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين
الاولين، عدي بن أبي الزغباء الجهني وهو الذي أرسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبسبب بن عمرو بين يديه عينا، عصمة بن

(١) في الاصابة: عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله. (٢) في الاصابة: عبد الله بن
طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني ظفر. (*)

[٣٩١]

الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، عصيمة حليف لبني الحارث بن
سوار من أشجع وقيل من بني أسد بن خزيمة، عطية بن نويرة بن
عامر بن عطية الخزرجي، عقبة بن عامر بن نابي السلمي، عقبة بن
عثمان بن خلدة الخزرجي أخو سعد بن عثمان، عقبة بن عمرو أبو
مسعود البدري وقع في صحيح البخاري أنه شهد بدرًا وفيه نظر عند
كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكره، عقبة بن وهب بن ربيعة
الاسدي أسد خزيمة حليف لبني عبد شمس وهو أخو شجاع بن
وهب من المهاجرين الاولين، عقبة بن وهب بن كلدة حليف بني
غطفان، عكاشة بن محصن الغنمي من المهاجرين الاولين وممن لا
حساب عليه، علي بن أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد
الخلفاء الاربعة وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضي الله عنه، عمار
بن ياسر العنسي المذحجي من المهاجرين الاولين، عمارة بن حزم
بن زيد النجاري، عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الاربعة
وأحد الشيخين المقتدى بهم رضي الله عنهما، عمر بن عمرو بن
إياس من أهل اليمن حليف لبني لؤذان بن عمرو بن سالم وقيل هو
أخو ربيع وورقة، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي
بن عامر أبو حكيم، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة
بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهري، عمرو بن
سرافة العدوي من المهاجرين، عمرو بن أبي سرح الفهري من
المهاجرين. وقال الواقدي وابن عائذ معمر بدل عمرو، عمرو بن طلق
بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام، عمرو
بن الجموح بن حرام الانصاري، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن
مالك بن غنم ذكره الواقدي والاموي، عمرو بن قيس بن مالك بن
عدي بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر أبو خارجة ولم
يذكره موسى بن عقبة، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره
موسى بن عقبة، عمرو بن معبد بن الازعر الاوسي، عمرو بن معاذ
الاوسي أخو سعد بن معاذ، عمير بن الحارث بن ثعلبة ويقال عمرو
بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي، عمير بن حرام بن الجموح
السلمي ذكره ابن عائذ والواقدي، عمير بن الحمام بن الجموح بن
عم الذي قبله قتل يومئذ شهيدا (١)، عمير بن عامر بن مالك بن
الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني، عمير
بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الاموي وغيره عمرو بن عوف
وكذا وقع في الصحيحين في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين،
عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ
شهيدا (٢)، عنتره مولى بني سليم وقيل إنه منهم فالله أعلم، عوف
بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري وهو ابن عفراء بنت عبيد بن
ثعلبة النجارية قتل يومئذ شهيدا، عويم بن ساعدة الانصاري من بني
أمية بن زيد، عياض بن غنم الفهري من المهاجرين الاولين رضي الله
عنهم أجمعين.

(١) قتله خالد بن الاعلم (قاله خليفة بن خياط). (٢) قتله عمرو بن عبيدود (قال
خليفة) (*)

حرف الغين غنام بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه. حرف الفاء الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي، فروة بن عمرو بن ودفة الخزرجي. حرف القاف قتادة بن النعمان الاوسي. قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي. قيس بن السكن النجاري، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقية يوم بدر. قيس بن محصن بن خالد الخزرجي، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري. حرف الكاف كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جمار وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك بن ثعلبة بن جمار وقال الاموي كعب بن ثعلبة بن حيالة بن غنم الغساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة، كعب بن زيد بن قيس النجاري، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة، كنان بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الاولين. حرف الميم مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجي، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدي، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي، مالك بن قدامة الاوسي، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد، مالك بن قدامة الاوسي، مالك بن مسعود الخزرجي، مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر بن زبير الاوسي أخو أبي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيدا (١)، المجذر بن زياد البلوي مهاجري، محرز بن عامر النجاري، محرز بن نضلة الاسدي حليف بني عبد شمس مهاجري، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الاشهل، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري، مرثد بن أبي مرثد الغنوي، مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الاولين وقيل اسمه عوف، مسعود بن أوس الانصاري النجاري، مسعود بن خلدة الخزرجي، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن حشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي، مصعب بن عمير العبدي مهاجري كان معه اللواء يومئذ، معاذ بن جبل الخزرجي،

(١) قتله أبو ثور (تاريخ خليفة) (*)

معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ، معبد بن عباد بن قشير بن القدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو خميصة، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس، معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين، معتب بن قشير الاوسي معقل بن المنذر السلمي، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين، معن بن عدي الاوسي، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي لعله أخو معاذ بن عمرو، المقداد بن عمرو البهراني وهو المقداد بن الاسود من المهاجرين الاولين وهو ذوالمقال المحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ، مليل بن وبرة الخزرجي، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي، المنذر بن

محمد بن عقبة الانصاري من بني جحجبي، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ. حرف النون نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب، نعمان بن عبد عمرو النجاري وهو أخو الضحاك. نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الاوس، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له فوول، نعمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نعمان بن سنان. نوفل بن عبيدالله بن نضلة الخزرجي. حرف الهاء هانئ بن نيار أبو بردة البلوي خال البراء بن عازب، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي، هلال بن المعلى الخزرجي أخو رافع بن المعلى. حرف الواو واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي من المهاجرين، وديعة بن عمرو بن جراد الجهني ذكره الواقدي وابن عائد، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إياس، وهب بن سعد بن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائد والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن إسحاق

[٢٩٤]

حرف الياء يزيد بن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمى قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدرا ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن إسحاق والاكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن فسحم (١) وهي أمة قتل يومئذ شهيدا بدير، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمى، يزيد بن المنذر بن سرح السلمى وهو أخو معقل بن المنذر. باب الكنى أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم. أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري. أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري، أبو سيرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين، أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين، أبو الصباح (٢) بن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضر له بسهمه، أبو عرفة من حلفاء بني جحجبي، أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم، أبو مرثد الغنوي كنان بن حصين تقدم، أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو تقدم، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الاوسى. فصل فكان جملة من شهد بدرا من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال البخاري: حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول: حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاؤوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن (٣). ثم رواه البخاري من طريق اسرائيل وسفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء نحوه. قال ابن جرير:

(١) في تاريخ خليفة: " ابن فسحم " قتله نوفل بن معاوية. (٢) في ابن هشام: أبو صباح بن ثابت بن النعمان. (٣) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي ٦ باب عدة أصحاب بدر ح ٣٩٥٩ فتح الباري ٧ / ٢٩٠ و ٧ / ٣٩١. (*)

وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا. وقال أيضا حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء. قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين. هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، ثنا أبو مالك الجيني عن الحجاج - وهو ابن أرتاة - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر [سبعة و] (١) سبعين رجلا. وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا. وكان حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب. وحامل راية الانصار سعد بن عبادة. وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلثمائة وستة رجال. قال ابن جرير: وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال. قلت: وقد يكون هذا عد معهم النبي صلى الله عليه وسلم والاول عدهم بدونه فالله أعلم. وقد تقدم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا. وأن الاوس أحد وستون رجلا. والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم. وهذا مخالف لما ذكره البخاري ولما روى عن ابن عباس فالله أعلم. وفي الصحيح عن أنس: أنه قيل له شهدت بدرا. فقال وأين أعيب؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أميح لأصحابي الماء يوم بدر وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم. قلت: وفي الذين عدهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم: عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرضها حتى ماتت ف ضرب له بسهمه وأجره، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام ف ضرب له بسهمه وأجره، وطلحة بن عبيدالله كان بالشام أيضا ف ضرب له بسهمه وأجره (٢) وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروحاء حين بلغه خروج النفير من مكة فاستعمله على المدينة و ضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا من الطريق (٣) و ضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء فرجع ف ضرب له بسهمه زاد الواقدي: وأجره، وخوات بن جبير (٤) لم يحضر الواقعة و ضرب له بسهمه وأجره، وأبو الصباح بن ثابت (٥) خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب ساقه

(١) من تاريخ الطبري ج ٢ / ٢٧٢. (٢) قال الواقدي: سعيد بن زيد وطلحة بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسنان له العير. (٣) قال الواقدي: رده من الروحاء. (٤) في الواقدي: كسر بالروحاء. (٥) ذكره الواقدي فيمن حضر بدر وسماه: أبو صباح بن ثابت من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف. (*)

فصيل حجر فرجع و ضرب له بسهمه وأجره قال الواقدي وسعد أبو مالك (١) تجهز ليخرج فمات وقيل إنه مات بالروحاء ف ضرب له بسهمه وأجره (٢). وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين ستة وهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري قتله العاص بن سعيد (٣) وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع لصغره فيكى فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي (٤)، وصفوان بن بيضاء (٥)، وعافل بن البكير (٦) الليثي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن

الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ (٧)، ومن الأنصار ثمانية وهم: حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقعة بسهم فأصاب حنجرتهم فمات، ومعوذ وعوف ابنا عفراء (٨)، ويزيد بن الحارث (٩) - ويقال ابن قسح - وعمير بن الحمام (١٠)، ورافع بن المعلى بن لوذان (١١)، وسعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر (١٢) رضي الله عن جميعهم، وكان مع المسلمين سبعون بعيرا كما تقدم. قال ابن إسحاق: وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بخرجة - ويقال ستجة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها البعسوب وكان معهم لواء يحمل مصعب بن عمير، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين علي بن أبي طالب، والتي للأنصار يحملها سعد بن عباد، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ.

(١) في الواقدي: سعد بن مالك، وهو من بني البدي. (٢) وذكر الواقدي وابن إسحاق: أن صبيحا مولى أبي العاص بن أمية تجهز للخروج ثم مرض. وأن عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان خرج فرده رسول الله وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر - وقيل في سبب رده أنه بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار، وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده لينظر في ذلك - وذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب لعجفر بن أبي طالب بسهمه وأجره، وقال: ولم يذكره أصحابنا. (٣) في الواقدي: قتله عمرو بن عبد، وقتل عمرو أيضا سعد بن خيثمة. (٤) قال الواقدي: قتله أبو أسامة الجشمي. (٥) قتله طعيمة بن عدي، ويقال قتل طعيمة أيضا سعد بن خيثمة. (٦) في الواقدي وابن سعد: ابن أبي البكير، قتله مالك بن زهير الجشمي. (٧) قتله عامر بن الحضرمي. (٨) قتلها أبو جهل. (٩) قتله نوفل بن معاوية الديلي. (١٠) قتله خالد بن الأعلم. قال الواقدي: وهو أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام، ويقال: أول قتيل أنصاري قتل في الإسلام عاصم بن ثابت بن الأفلح. (١١) قتله عكرمة بن أبي جهل. (١٢) قتله أبو ثور. (*)

[٢٩٧]

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا. وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم. وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا قول الجمهور، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له: فأقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبه منهم والأسود (١) وقد حكى الواقدي الاجتماع على ذلك وفيما قاله نظر، فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك (٢) وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحا بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم. وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيدا وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي - أو العقيلي - حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القائل في شعره: ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا يقطر الدم فما صدق في ذلك، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلا صبرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الأسارى، وقد اختلف في أيهما قتل أولا على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجانا بلا فداء منهم أبو العاص بن الربيع الأموي، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدم، وأبو عزة الشاعر، وهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحاييه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك، وقال لا تتركوا منه درهما، وقد كان فداؤهم متفاوتا فأقل ما أخذ

أربعمائة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب. قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم قال: قال داود: ثنا عكرمة، عن ابن عباس قال: كان ناس من الاسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة، قال فجاء غلام يوما يبكي إلى أمه فقالت

(١) العطن: معناه مبرك الابل حول الماء، واستعاره هنا لقتلى المشركين يوم بدر وعتبة بن ربيعة، والاسود بن عبد الاسد المخزومي. (٢) قال ابن عقبة وعروة: قتل من المشركين تسعة وأربعون رجلا وأسر منهم تسعة وثلاثون رجلا. (الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٠٩). (*)

[٢٩٨]

ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمي فقالت: الخبيث يطلب بدخل بدر والله لا تأتيه أبدا. انفرد به أحمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة. فصل في فضل من شهد بدرا من المسلمين قال البخاري في هذا الباب: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنسا يقول: أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الآخرة فترى ما أصنع فقال: " ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنات كثيرة وإنه في جنة الفردوس " تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه: " أن ابنك أصاب الفردوس الأعلى " وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في بحيرة القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفا في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عددا وعددا ثم روى البخاري ومسلم جميعا: عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الله بن إدريس، عن حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمى عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح، وأن عمر استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع علي أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ولفظ البخاري " أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وحيبت لكم الجنة - أو قد غفرت لكم - " فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم. وروى مسلم عن قتيبة، عن الليث، عن أبي الزبير عن جابر أن عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كذبت لا يدخلها إنه شهد بدرا والحديبية " وقال الامام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثني الاعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن يدخل النار رجل شهد بدرا أو الحديبية " تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم. وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " قال: إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ". ورواه أبو داود عن أحمد

بن سنان وموسى بن إسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به. وروى
البيزار في

[٢٩٩]

مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن
أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " إنني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرا إن شاء
الله " ثم قال لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. قلت:
وقد تفرد البيزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح
والله أعلم. وقال البخاري في (١) باب شهود الملائكة بدرا: حدثنا
إسحاق بن إبراهيم، ثنا جرير، عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن
رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال جاء
جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر
فيكم؟ قال من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال وكذلك من
شهد بدرا من الملائكة انفرد به البخاري. قدوم زينب بنت الرسول
صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة قال ابن إسحاق: ولما
رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعني كما تقدم - بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار
مكانه فقال كونا ببطن ياجج (٢) حتى تمر بكما زينب فتصحبها
فتأتيني بها، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعه (٣) -
فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز: قال ابن
إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت
بينما أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغني
أنك تريدن للحوق بأبيك قالت: فقلت ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة
عم لا تفعلني، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو
بمال تبغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطني (٤) مني
فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، قالت والله ما أراها قالت ذلك
إلا لتفعل، قالت: ولكنني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قال ابن
إسحاق: فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة
بن الربيع بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها
وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في
طلبها حتى أدركوها بذي طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن
الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والفهري (٥) فروعها هبار
بالرمح

(١) أخرجه البخاري في ٦٤ كتاب المغازي فتح الباري ٧ / ٣١١. (٢) ياجج: اسم
لمكانين: أحدهما: على ثمانية أميال من مكة. والثاني: أبعد منه، وفيه بني مسجد
الشجرة وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان. (٣) شيعه: قريب منه. قال في النهاية:
نحو من شهر. (٤) في ابن هشام: لا تضطني، وفي رواية لا تضطني: أي لا تستحي،
وبالطاء: من طنت أي لا تتهميني ولا تستريبي بي. (٥) من السهيلي، وفي الأصل
وابن هشام لم يذكر اسم الفهري مع الواو بل هبار بن الاسود بن المطلب بن عبد
العزى الفهري. واسمه نافع بن عبد القيس كما ذكره ابن هشام وفي رواية البيهقي
عن ابن إسحاق. (*)

[٤٠٠]

وهي في الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت (١) وبرك
حموها كنانة ونثر كنانته، ثم قال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت
فيه سهما فتكركر الناس عنه. وأتى أبو سفیان في جلة من قريش
فقال: يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف فأقبل أبو
سفیان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على

رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا إن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري مالنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من نؤرة. ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا وألحقها بأبيها، قال ففعل. وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تدمهم على ذلك: أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفي الحرب أشباه النساء العوارك وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعدما قتل منهم الذين قتلوا. قال ابن إسحاق: فأقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدمها بها ليلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقي في الدلائل: من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجئ معه فتلطف زيد فأعطاه راعيا من مكة فأعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت من دفع إليك هذا؟ قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " هي أفضل بناتي أصيبت في " قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال: ما حديث بلغني أنك تحدثه؟ فقال عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقا هولها وأما بعد ذلك [فلك] (٢) أن لا أحدث به أبدا (٣). قال ابن إسحاق فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف. قال ابن هشام هي لابي خيثمة: أتانى الذي لا يقدر الناس قدره * لزينب فيهم من عقوق ومآثم وإخراجها لم يخز فيها محمد * على مآقط وبيننا عطر منشم (٤)

(١) قيل أن هبار نخس الراحلة فسقطت على صخرة فهلك جنبها، ولم تزل تنزف دما حتى ماتت بالمدينة (أنظر الاستيعاب). (٢) من دلائل البيهقي. (٣) دلائل البيهقي باب ما جاء في زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ج ٣ / ١٥٦. (٤) عطر منشم: مثل، يكنى به عن شدة الحرب، قيل في أصله أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشرى منها للموتى، حتى تشاءموا بها لذلك. (*)

[٤٠١]

وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم * ومن حربنا في رغم أنف ومندم قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه * بذى حلق جلد الصلاصل محكم فأقسمت لا تنفك منا كتائب * سراة خميس من لهام مسوم نزوع فريش الكفر حتى نعلها * بخاطمة فوق الأنوف بميسم نزلهم أكناف نجد ونخلة * وإن يتهموا بالخيل والرجل نتهم يدى الدهر حتى لا يعوج سرينا * ونلحقهم أثار عاد وجرهم ويندم قوم لم يطيعوا محمدا * على أمرهم وأي حين تندم فأبلغ أبا سفيان إما لقيته * لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم فأبشر بخزي في الحياة معجل * وسربال قار خالدا في جهنم قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي. وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي فأما عامر بن الحضرمي فإنه قتل يوم بدر. قال ابن إسحاق: وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدوسي، عن أبي هريرة. قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها فقال: " إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل (١) الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار " فلما كان الغد بعث إلينا فقال: " إنني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموها، ثم رأيت أنه لا ينبغي لاحد أن يحرق بالنار إلا الله عزوجل، فإن ظفرتم بهما

فاقتلوها " تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه وقال البخاري: حدثنا قتيبة، ثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال: " إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار " ثم قال حين أردنا الخروج: " إنني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وأن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموها فاقتلوها " وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا ما معه وأعجزهم هربا وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارتها، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إنني قد أحرقت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: " أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت " قالوا نعم ! قال: " أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشئ حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أديانهم " ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته زينب فقال: " أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له " قال:

(١) في ابن هشام: أو الرجل الآخر، ويعني نافع بن عبد القيس. (*)

[٤٠٢]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئا فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قريش هل بقي ل أحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما، قال: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: فحدثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الاول ولم يحدث شيئا [بعد ست سنين] (١)، وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق، وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولكن لا تعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين. وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ست سنين، وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الاول رواه ابن جرير وفي رواية لم يحدث نكاحا. وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضي الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرت بعد بدر بشهر وحرمت المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان فمن قال ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح ومن قال بعد سنتين أي من حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الاول ؟ فقال قائلون يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة يمين يتطرق إليها الاحتمال، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الاول الذي رواه أحمد

والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد. قال الامام أحمد هذا حديث ضعيف واه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العزمي. والعزمي لا يساوي حديثه شيئا والحديث الصحيح الذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الاول. وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بالنكاح الاول. وقال الترمذي هذا حديث في إسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والاوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدد لها نكاحا فضيف ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى

(١) من ابن إسحاق. (*)

[٤٠٣]

انقضت عدتها فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان وهي امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم. ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال (نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن) حدثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم. فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فإذا طهرت حل لها النكاح، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عيـد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه، فقله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرئ بحیضة لا تعتد بثلاثة قروء، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الاول ما لم تنكح زوجا غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء. والله أعلم. ما قيل من الاشعار في بدر العظمى فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام: ألم تر أمرا كان من عجب الدهر * وللحين أسباب مبينة الأمر وما ذاك إلا أن قوما أفادهم * فخافوا تواص بالعقوق وبالكفر عشية راحوا نحو بدر بجمعهم * وكانوا رهونا للركية من بدر (١) وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها * فساروا إلينا فالتقينا على قدر فلما التقينا لم تكن مثنوية * لنا غير طعن بالمتففة السمر وضرب ببيض يختلي الهام حدها * مشهورة الالوان بينة الاثر ونحن تركنا عتبة الغي ناويا * وشيية في قتلى تجرحم في الجفر (٢) وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم * فشققت جيوب الناتحات على عمرو جيوب نساء من لؤي بن غالب * كرام تفر عن الذوائب من فهر أولئك قوم قتلوا في ضلالهم * وخلصوا لواء غير محتضر النصر لواء ضلال قاد إبليس أهله * فخاس بهم، إن الخبيث إلى غدر

[٤٠٤]

وقال لهم، إذ عاين الامر واضحا * برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فاني أرى مالا ترون وإنني * أخاف عقاب الله والله ذو قسر فقدمهم
للحين حتى تورطوا * وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر فكانوا غداة البئر
ألفا وجمعنا * ثلاث مئين كالمسدمة الزهر وفينا جنود الله حين يمدنا
* بهم في مقام ثم مستوضح الذكر فشد بهم جبريل تحت لوائنا *
لدى مأزق فيه مناياهم تجري وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من
الحارث بن هشام تركناها عمدا. وقال علي بن أبي طالب وأنكرها
ابن هشام: ألم تر أن الله أبلى رسوله * بلاء عزيز ذي اقتدار وذي
فضل بما أنزل الكفار دار مذلة * فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره * وكان رسول الله أرسل بالعدل فجاء
بفرقان من الله منزل * مبينة آياته لذوي العقل فآمن أقوام بذاك
وأيقنوا * فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل وأنكر أقوام فراغت
قلوبهم * فزادهم ذو العرش خيلا على خيل (١) وامكن منهم يوم بدر
رسوله * وقوما غضايا فعلهم أحسن الفعل بأيديهم بيض خفاف عصوا
بها * وقد حادثوها بالجللاء وبالصقل فكم تركوا من ناشئ ذي حمية *
صريعا ومن ذي نجدة منهم كهل تبيت عيون النائحات عليهم * تجود
بإسبال الرشاش وبالويل نوائح تنعي عتبة الغي وابنه * وشيبة تنعاه
وتنعي أبا جهل وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم * مسلبة حرى
مبينة الثكل ثوى منهم في بئر بدر عصابة * ذوو نجدات في الحروب
وفي المحل دعا الغي منهم من دعا فأجابه * وللغي أسباب مرمقة
الوصل فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل * عن الشغب والعدوان في
أسفل السفلى (٢) وقد ذكر ابن إسحاق نقيضها من الحارث أيضا
تركناها قصدا وقال كعب بن مالك: عجبت لامر الله والله قادر * على
ما أراد ليس لله فاهر قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا * بغوا وسبيل
البغي بالناس جائر

(١) الخيل: الفساد. (٢) في ابن هشام: في أشغل الشغل. (*)

[٤٠٥]

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم * من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا * بأجمعها كعب جميعا وعامر وفينا رسول
الله والأوس حوله * له معقل منهم عزيز وناصر وجمع بني النجار
تحت لوائه * يمشون في الماذي والنقع ثائر (١) فلما لقيناهم وكل
مجاهد * لأصحابه مستبسل النفس صابر شهدنا بأن الله لا رب غيره
* وأن رسول الله بالحق ظاهر وقد عريت ريض خفاف كأنها * مقاييس
يزهيه لعينيك شاهر بهن أيدنا جمعهم فتبدوا * وإن يلاقي الحين
من هو فاجر فكب أبو جهل صريعا لوجهه * وعتبة قد غادرته وهو عائر
وشيبة والتميمي غادرت في الوغى * وما منهم إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها * وكل كفور في جهنم صائر تلتطى
عليهم وهي قد شب حميها * بزير الحديد والحجارة ساجر وكان
رسول الله قد قال أقبلوا * فولوا وقالوا: إنما أنت ساحر لامر أراد الله
أن يهلكوا به * وليس لامر حمه الله زاجر وقال كعب في يوم بدر: ألا
هل أتى غسان في نأي دارها * وأخبر شئ بالامور عليهما بأن قد
رمتنا عن قسي عداوة * معد معا جهالها وحليمها لانا عبدنا الله لم
نرج غيره * رجاء الجنان إذ أنانا زعيمها نبي له في قوميه إرث عزة *
وأعراق صدق هذبتها أرومها فساروا وسرنا فالتقينا كأننا * أسود لقاء

لا يرحى كليهما ضربناهم حتى هوى في مكرنا * لمنخر سوء من
لؤي عظيمها فولوا وِدسناهم ببيض صوارم * سواء علينا حلفها
وصميمها وقال كعب أيضا: لعمر أبيكما يا ابني لؤي * على زهو
لديكم وانتخاء لما حامت فوارسكم بيدر * ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه ونور الله يجلو * دجى الظلماء عنا والغطاء رسول الله يقدمنا
بأمر * من أمر الله أحكم بالقضاء

(١) الماضي: الدروع البيض اللينة السهلة، وقد تطلق على السلاح كله. (*)

[٤٠٦]

فما ظفرت فوارسكم بيدر * وما رجعوا إليكم بالسواء فلا تعجل أبا
سفيان وارقب * جياذ الخيل تطلع من كداء بنصر الله روح القدس فيها
* وميكال فيا طيب الملاء وقال حسان بن ثابت: قال ابن هشام:
ويقال هي لعبد الله بن الحارث السهمي (١): مستشعري حلق
الماذي يقدمهم * جلد النخيزة ماض غير رعيد (٢) أعني رسول إله
الخلي فضله * على البرية بالتقوى وبالجدود وقد زعمتم بأن تحموا
ذماركم * وماء بدر زعمتم غير مورود (٣) مستعصمين بحيل غير
منجذم * مستحکم من حبال الله ممدود فينا الرسول وفينا الحق
نتبعه * حتى الممات ونصر غير محدود واف وماض شهاب يستضاء به
* بدر أنار على كل الاماجيد وقال حسان بن ثابت أيضا: ألا ليت
شعري هل أتى أهل مكة * إبادتنا الكفار في ساعة العسر قتلنا
سراة القوم عند مجالنا * فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر (٤) قتلنا أبا
جهل وعتبة قبله * وشيبة (وشيبة) يكيو للبين وللنحر قتلنا سويدا
ثم عتبة بعده * وطعمة أيضا عند نائرة القتر فكم قد قتلنا من كريم
مسود * له حسب في قومه نابه الذكر (٥) تركناهموا للعاويات
يتيتهم (يتيتهم) * ويصلون نارا بعد حامية القعر (٦) لعمر ك ما حامت
فوارس مالك * وأشياعهم يوم التقينا على بدر (٧) وقال عبيدة بن
الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر، في قطع رجله في مبارزته هو
وحمة وعلي

(١) وردت القصيدة في ديوان حسان منسوبة إليه من غير اختلاف في ذلك. (٢)
مستشعري: من استشعر، يقال استشعر الثوب: إذا لبسه على جسمه من غير
حاجز، ومنه الشعار ما يلي الجسم من الثياب. (٣) في ابن هشام: غير مردود. وبعده
في سيرة ابن هشام: ثم وردنا ولم نسمع لقولكم * حتى شربنا رواء غير تصريد
التصريد: تقليل الشرب. والرواء: التملؤ من الشرب. (٤) قاصمة الظهر: الداهية التي
تقصم الظهر، أي تكسرهما فتبينها (فتبينها). (٥) في ابن هشام مرز بدل مسود. (٦)
يتيتهم أي يأتونهم مرة بعد مرة. (٧) حامت: من الحماية، أي الامتناع، وفي رواية
خامت: أي جينت. (*)

[٤٠٧]

مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام: ستبلغ عنا أهل
مكة وفعة * يهب لها من كان عن ذلك نائيا بعتبة إذ ولي وشيبة بعده
* وما كان فيها بكر عتية راضيا فإن تقطعوا رجلي فأني مسلم *
أرتجي بها عيشا من الله دنيا مع الحور أمثال التماثيل أخلصت * من
الجنة العليا لمن كان عاليا وبعث بها عيشا تعرفت صفوه * وعاجلته
حتى فقدت الا دنيا فأكرمني الرحمن من فضل منه * بثوب من
الاسلام غطى المساويا وما كان مكروها إلي قتالهم * غداة دعا
الاكفاء من كان داعيا ولم يبع إذ سألوا النبي سواءنا * ثلاثنا حتى
حضرنا المناديا لقبناهم كالاسد تخطر بالقنا * نقاتل في الرحمن من

كان عاصيا فما برحت أقدامنا من مقامنا * ثلاثتنا حتى أزيروا المنائب
(١) وقال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت أيضا يذم الحارث بن
هشام على فراره يوم بدر ؟ وتركه قومه لا يقاتل دونهم: تلبت فؤادك
في المنام خريفة * تشفي الضجيع ببارد بسام (٢) كالمسك تخلطه
بماء سحابة * أو عاتق كدم الذبيح مدام (٣) نفج الحقيبة بوصها
متنضد * بلهاء غير وشيكة الاقسام (٤) بنيت على قطن أجم كأنه *
فضلا إذا قعدت مداك رخام (٥) وتكاد تكسل أن تجي فراشها * في
جسم خرعية وحسن قوام (٦) أما النهار فلا أفر ذكرها * والليل
توزعني بها أحلامي أقسمت أنساها وأترك ذكرها * حتى تغيب في
الضريح عظامي بل من لعاذلة تلوم سفاهة * ولقد عصيت على
الهوى لوامي بكرت إلي بسحرة بعد الكرى * وتقارب من حادث الايام

(١) قال أبو ذر في غريب السيرة: المنائب: يريد المنايا، وقد تكون الهمة متقلبة عن
الباء الزائدة في منية. (٢) رواية الديوان وابن هشام: تسقي بدل: تشفي. (٣)
العاتق: الخمر القديمة، قال الخشني في غريب السيرة: وتروي عاتق: وهي الخمرة
القديمة التي احمرت (٤) نفج: مرتفعة وعالية. والحقيبة: هنا ردف المرأة. (٥) القطن:
ما بين الوركين إلى بعض الظهر. (٦) خرعية: الحسنة القوام. (*)

[٤٠٨]

زعمت بأن المرء يكرب عمره * عدم لمعتكر من الاصرام (١) إن كنت
كاذبة الذي حدثني * فنجوت منجى الحارث بن هشام ترك الاحبة
أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام (٢) يذر العناجيج الجياد
بقفرة * مر الذمول بمحصد ورجام (٣) ملات به الفرجين فارمدت به *
وثوى أحبته بشر مقام وبنو أبيه ورهطه في معرك * نصر الاله به
ذوي الاسلام طحنتهم والله ينفذ أمره * حرب يشب سعيها بضرام
لولا الاله وجربها لتركنه * جزر السباع ودسنه بحوامي (٤) من بين
ماسور يشد وثاقه * صقر إذا لاقى الاسنة حامي (٥) ومجدل لا
يستجيب لدعوة * حتى تزول شوامخ الاعلام بالعار والذل المبين إذا
رأى * بيض السيوف تسوق كل همام بيدي أعر إذا انتمى لم يخزه *
نسب القصار سميديع مقدام (٦) بيض إذا لاقى حديدا صممت *
كالبرق تحت ظلال كل غمام قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاث
أبيات أفزع فيها (٧). قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام أخو
أبي جهل عمرو بن هشام فقال: القوم أعلم ما تركت قتالهم * حتى
رموا فرسي بأشقر مزبد (٨) وعرفت أنني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا
ينكي عدوي مشهدي فصدت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم
بعقاب يوم مفسد

(١) الاصرام: جمع صرم وصرم جمع صرمة بالكسر وهي القطعة من الابل ما بين
العشرين إلى الأربعين. والمعتكر: الابل التي يرجع بعضها على بعض، فلا يمكن عدّها
لكثرتها. (٢) بعده في الديوان: جرداء تمزع في الغبار كأنها * سرحان غاب في ظلال
غمام (٣) في ابن هشام والديوان: الدموك بدل الذمول، الدموك: البكرة بالثاء،
والمحصد: الحبل الشديد القتل الرجام: حجر يربط في الدلو، ليكون أسرع لها عند
إرسالها في البئر. (٤) حوامي: جمع جامية، وهي ما عن يمين سنيك الفرس
وشماله. (٥) البيت في الديوان: من كل ماسور يشد صفاده * صقر إذا لاقى الكنيبة
حامي (٦) القصار: أراد بهم الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم. (٧) في ديوان
حسان خمسة أبيات بعد هذا البيت لا ثلاثة. (٨) في ابن هشام: الله أعلم مكان القوم
أعلم. وشطره الثاني في ابن هشام: حتى حيوا مهري... وفي السهيلي: حتى علوا
مهري (*)

[٤٠٩]

وقال حسان أيضا: يا حار قد عولت غير معول * عند الهياج وساعة
الاحساب إذ تمتطي سرح اليبدين نجية * مرطى الجراء طويلة
الاقراب (١) والقوم خلفك قد تركت قتالهم * ترجو النجاء وليس حين
ذهاب ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى * قصص الاسنة ضائع الاسلاب
(٢) عجل المليك له فأهلك جمعه * بشنار مخزية وسوء عذاب وقال
حسان أيضا: لقد علمت قريش يوم بدر * غداة الاسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالي * حماة الحرب يوم أبي الوليد قتلنا ابني
ربيعة يوم سارا * إلينا في مضاعفة الحديد وفر بها حكيم يوم جالت *
بنو النجار تخطر كالاسود وولت عند ذلك جموع فهر * وأسلمها
الحويرث من بعيد لقد لاقيتنمو ذلا وقتلا * جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا * ولم يلوا على الحسب التليد وقالت هند
بنت أثاة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب:
لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤدا * وحلما أصيلا وافر اللب والعقل (٣)
عبيدة فابقيه لاضياف غربة * وأرمله تهوي لاشعث كالجذل وبقيه
للاقوام في كل شتوة * إذا احمر آفاق السماء من المحل وبقيه
للإيتام والريح زرف * وتشبيب قدر طالما أزيدت تغلي فإن تصيح
النيران قد مات ضوءها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل لطارق ليل
أو لملتمس القرى * ومستنبح أضحى لديه على رسل (٤) وقال
الاموي في مغازبه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد
المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدرا:

(١) سرح اليبدين: يريد بها الفرس. (٢) القصص: القتل بسرعة. (٣) الصفراء: موضع بين
مكة والمدينة. (٤) مستنبح: الرجل الذي يضل بالليل، فيتكلف نباح الكلب فيهتدي
بصياحه. (*)

[٤١٠]

ألما تكن رؤياي حقا وبأتكم * بتأويلها فل من القوم هارب (١) رأى
فأتاكم باليقين الذي رأى * بعينيه ما تفري السيوف القواضب فقلتم
ولم أكذب عليكم وإنما * يكذبني بالصدق من هو كاذب (٢) وما جاء
إلا رهبة الموت هاربا * حكيم وقد أعيت عليه المذاهب أقامت سيوف
الهند دون رءوسكم * وخطية فيها الشبا والتغالب كأن حريق النار
لمع طباتها * إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب ألا بأبي يوم اللقاء
محمدا * إذا عض من عون الحروب الغوارب مرى بالسيوف المرهفات
نفوسكم * كفاحا كما تمرى السحاب الجنائب (٣) فكم بردت أسيافه
من مليكة * وزعزع ورد بعد ذلك صالب فما بال قتلى في القليب
ومثلهم * لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب فكانوا نساء أم أتى
لنفوسهم * من الله حين ساق والحين حالب فكيف رأى عند اللقاء
محمدا * بنو عمه والحرب فيها التجارب ألم يغشكم ضرا يحار لوقعه
* الجبان وتبدو بالنهار الكواكب حلفت لئن عادوا لنصطينهم * بخارا
تردى تجر فيها المقانب (٤) كأن ضياء الشمس لمع طباتها * لها من
شعاع النور قرن وحاجب وقالت عاتكة أيضا فيما نقله الاموي: هلا
صبرتم للنبي محمد * بيدر ومن يغشى الوعى حق صابر ولم ترجعوا
عن مرهفات كأنها * حريق بأيدي المؤمنين بواتر ولم تصبروا للبيض
حتى أخذتموا * قليلا بأيدي المؤمنين المشاعر ووليتنمو نفرا وما
البطل الذي * يقاتل من وقع السلاح بنافر أتاكم بما جاء النبيون قبله
* وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر سيكفي الذي ضيعتموا من
نبيكم * وبنصره الحيان: عمرو وعامر وقال طالب بن أبي طالب يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرثي أصحاب القليب من قريش
الذين قتلوا

(١) البيت في دلائل البيهقي: ألم تكن الرؤيا بحق وجاءكم * بتصديقها فل من القوم هارب (٢) البيت في دلائل البيهقي: فقلتم - ولم أكذب - كذبت وإنما * يكذبنا بالصدق من هو كاذب (٣) الجنائب: الرياح التي تهب جنوبا، وهي تمرى السحاب تستنزل مطره. (٤) في نسخ البداية المطبوعة تجربتها (تجربتها) والصواب: تجر فيها. (*)

[٤١١]

يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك: ألا إن عيني أنفذت
دمعها سكباً * تبكي على كعب وما إن ترى كعباً ألا إن كعباً في
الحروب تخاذلوا * وأرداهموا إذ الدهر واجترحوا ذنباً وعامر تبكي
للملمات غدوة * فيا ليت شعري هل أرى لهم قرباً (١) فيا أخويننا
عبد شمس ونوفل * فدا لكما لا تبعثوا بيننا حرباً (٢) ولا تصبحوا من
بعد ود وإلفة * أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا ألم تعلموا ما كان
في حرب داحس * وحرب أبي يكسوم إذ ملثوا الشعبا (٣) فلولاً دفاع
الله لا شئ غيره * لاصبجتموا لا تمنعون لكم سرى بما إن جنينا في
قريش عظيمة * سوى أن حمينا خير من وطئ التريا أبا ثقة في
النائبات مرزءا * كريماً ثناه لا بخيلاً ولا ذرباً يطيف به العافون يغشون
بابه * يؤمون نهراً لا نزوراً ولا صرباً فوالله لا تنفك نفسي حزينة *
تململ حتى تصدقوا الخزرج الضرباً فصل وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً
من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلهم يوم بدر فمن ذلك
قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخي بني مجارب بن فهر وقد أسلم
بعد ذلك، والسهيلى في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم
بعد ذلك: عجبت لفخر الأوس والحين دائر * عليهم غدا والدهر فيه
بصائر (٤) وفخر بني النجار إن كان معشر * أصيبوا ببدر كلهم ثم
صائر (٥) فان تك قتلنى غودرت من رجالنا * فإنا رجال بعدهم سنغادر
(٦) وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم * بني الأوس حتى يشفي
النفس نائراً (٧)

(١) في ابن هشام: لهما بدل لهم. وفي ابن هشام بعده: هما أخوأي لن يعدا لغية *
تعذ ولن يستام جارهما غصبا (٢) في الأصل: ونوفل تحريف والصواب: ونوفلا من ابن
هشام. (٣) في ابن هشام: وحيش أبي يكسوم. (٤) بصائر: جمع بصيرة، وهي
الحجة والدليل قال تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أي حجة. (٥) في ابن
هشام: صابر. (٦) في الأصل: رجالات تحريف. (٧) العناجيج: جمع عنجوج، وهو الطويل
السرير. والنائر: الطالب بثأره. (*)

[٤١٢]

ووسط بني النجار نكرها * لها بالقنا والدارعين زوافر (١) فنترك
صرعى تعصب الطير حولهم * وليس لهم إلا الأمانى ناصر وتبكيهم
من أرض يثرب نسوة * لهن بها ليل عن النوم ساهر وذلك أنا لا تزال
سيوفنا * بهن دم ممن يحاربن مائراً فان تظفروا في يوم بدر فانما *
بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر (٢) وبالنفر الأخيار هم أولياؤه *
يغامون في اللواء والموت حاضر يعد أبو بكر وحمزة فيهم * ويدعى
علي وسط من أنت ذاكر (٣) أولئك لا من نتجت من ديارها * بنو
الأوس والنجار حين تفاخر ولكن أبوهم من لؤي بن غالب * إذا عدت
الانساب كعب وعامر هم الطاعنون الخيل في كل معرك * غداة
الهياج الاطبيون الاكابر فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها
وهي قوله: عجبت لأمر الله والله قادر * على ما أراد ليس لله فاهر
قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب.
قلت: وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين
طلقها الصديق وذلك حرم الله المشركات على المسلمين واسمها
أم بكر: تحيي بالسلامة أم بكر * وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر * من القينات والشرب الكرام وماذا بالقليب

قليب بدر * من الشيزى تكلك بالسنام (٤) وكم لك بالطوي طوي بدر
* من الحومات والنعم المسام وكم لك بالطوي طوي بدر * من
الغايات والدسع العظام

(١) زوافر: جمع زافرة: وهي الحاملات للثقل. (٢) قصيدة ضرار بن الخطاب قسمان:
القسم الاول منها إلى هنا يسلك فيه ضرار سبيل التهديد والوعيد بما ستحققه
قريش من إدراك نأرها - وهو لا ينظر إلى الأمر من زاوية الحرب بين مسلمين
ومشركين - بل هي حرب بين قريش والانصار فهي في نظره حرب قلبية لا حرب دفاع
عن دين. والقسم الثاني في قصيدته من هنا يتخذ وجهة أخرى، تتجه فيها معانيه
إلى عصبية قرشية واضحة، وهي الفخر بالمهاجرين من قريش على اخوانهم من
الانصار. (٣) بعده في ابن هشام: ويدعى أبو حفص وعثمان منهم * وسعد إذا ما كان
في الحرب حاضر (٤) الشيزى: جفان من خشب. والسنام: لحم ظهر البعير وإنما أراد
أصحابها الذين يطعمون فيها. (*)

[٤١٣]

وأصحاب الكريم أبي علي * أخي الكأس الكريمة والندام وانك لو
رأيت أبا عقيل * وأصحاب الثنية من نعام إذا لظلت من وجد عليهم *
كأم السقب جائلة المرام يخبرنا الرسول لسوف نحيا * وكيف حياة
أصداء وهام قلت وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف به حال
قائلها. قال ابن إسحاق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من
قريش يوم بدر: ألا بكيت على الكرا * م بني الكرام أولي الممادح
كبكاء الحمام على فرو * ع الايك في الغصن الجوانح (١) يبكين حرا
مستكي * نات يرحن مع الروائح أمثالهن الباكيا * ت المعولات من
النوائح من يبكيهم يبكي على * حزن ويصدق كل مادح ماذا بيدر
والعقد * قل من مرازبة ججاج (٢) فمدافع البرقين فال * حنان من
طرف الاواشح (٣) شمت وشبان بها * ليل مغاوير وحاج (٤) ألا ترون
لما أرى * ولقد أبان لكل لامح أن قد تغير بطن مك * ة فهي موحشة
الاباطح من كل بطريق لبط * ريق نقى الود واضح (٥) دعموص أبواب
الملو * ك وجائب للخرق فاتح (٦) ومن السراطمة الخلا * جمعة
الملاوثة المناجح (٧) القائلين الفاعل * بين الأمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالانافح (٨)

(١) الجوانح: الموايل. (٢) العقنقل: الكتيب من الرمل المنعقد. والمرازبة واحدها
مرزيان: الرئيس الججاج: جمع ججاج. السيد. (٣) البرقين والحنان والواشح:
مواضع. (٤) وحاج: جمع وحاج وهو القوي النفس (٥) في ابن هشام: نقى اللون.
(٦) دعموص: دويبة تغوص في الماء. (٧) السراطمة: جمع سرطم وهو الواسع
الحلق. والخلجمة: جمع خلجم: وهو الضخم الطويل. (٨) الانافح: جمع إنفحة وهي
شئ يخرج من بطن ذي الكرش داخله أصفر فيعصر في صوفه فيغلظ كالجين. (*)

[٤١٤]

نقل الجفان مع الجفا * ن إلى جفان كالمناضح (١) ليست بأصفار
لمن * يعفو ولا رح رحارج (٢) للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط
السلاطح (٣) وهب المئين من المئ * بن إلى المئين من اللواقح
سوق المؤيل للمؤيل صادرات عن بلادج لكرامهم فوق الكرا * م مزية
وزن الرواجح كمتاقل الارطال بال * قسطاس بالايدي الموايح (٤)
خذلتهموا فئة وهم * يحمون عورات الفضائح الضاربين التقديمية *
بالمهنة الصفائح ولقد عناني صوتهم * من بين مستسق وصائح لله
در بني ع * لي أيم منهم وناكح إن لم يغيروا غارة * شعواء تحجر كل
نايح (٥) بالمقربات المبعدا * ت الطامحات مع الطوامح مردا على
جرد إلى * أسد مكالبة كوالج وبلادق قرن قرنه * مشي المصافح

للمصافح بزهاء ألف ثم أ* ف بين ذي بدن ورامح قال ابن هشام:
تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم. قلت: هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله
كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين ودم المؤمنين
واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرايه من الكفرة اللثام
والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحببيه
وخليله فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذي العلم الاكمل والعقل
الاشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى
الخيرات وفعل المكرمات وبذل الالوف والمئات في طاعة رب الارض
والسموات، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار
الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضي الله عن جميعهم ما
اختلط الضياء والظلام. وما تعاقبت الليالي والايام. وقد تركنا أشعارا
كثيرة أوردتها ابن إسحاق رحمه الله خوف الاطالة وخشية الملالة
وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة. وقد قال الاموي في

(١) الممناضح: الحياض. (٢) رراح: أي واسعة من غير عمق. (٣) السلاطح: الطوال
العراض. (٤) الموائج: التي تتمايل لثقل ما ترفعه. (٥) تجحر، وتروى تجحر: أي تلجئه
إلى جحره. (*)

[٤١٥]

مغازيه سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن شعر الجاهلية
(١). قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال: عفا عنه إلا قصيدتين،
كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر، وكلمة الاعشى التي يذكر فيها
الاخوص. وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم.
[غزوة بني سليم في سنة ثنتين من الهجرة] (٢) قال ابن
إسحاق: وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في
عقب شهر رمضان - أو في شوال (٣) - ولما قدم المدينة لم يقم بها
إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم، قال ابن هشام:
واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري - أو ابن أم مكتوم
الاعمى - قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام
عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية
شوال وذا القعدة وأدى في إقامته تلك جل الاسارى من قريش. قال
السهيلى: والقرقرة الارض الملساء، والكدر طير في ألوانها كدره.
فصل [في غزوة السويق] (٤) قال ابن إسحاق: وكان أبو سفیان
كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن

(١) لم يظهر للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم موقف من الشعر إلا من أمرين:
الاول نهي عن رواية الشعر الذي يذكر الاعراض وينير كوامن الاحقاد ويشيد بالعصية
والانساب. والثاني: محاربه غلبة الشعر على قلب المرء حتى يشغله عن دينه
واقامة فروضه ويمتنعه من ذكر الله وأثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنما الشعر
كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه. وقد
كانت مواقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعراء - أيا كانوا - وفق هذا المنهج
فقد أباح لهم قول الشعر واستمع إليهم وأشاد بشعرهم وأثاب عليه. (٢) سقط من
نسخ البداية المطبوعة. واستدرك من كتب المغازي والسير. وتسمى بغزوة قرارة
الكدر أو قرقرة الكدر. وقرارة الكدر وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الارحضية
وراء سد معونة، وبين المعدن والمدينة ثمانية برد (طبقات ابن سعد ٢ / ٣١). (٣) في
الواقدي وابن سعد للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجرة
وغاب عن المدينة خمس عشرة ليلة. وحمل لؤؤه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وفي كامل ابن الأثير: لعشر ليال مضين من شوال سنة ثنتين. (٤) في نسخ البداية
المطبوعة: في غزوة بني سليم وهو تحريف، وما أثبتناه من كتب المغازي والسير.
وكانت كما في (*)

لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الانصار - حين رجع إلى مكة، ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جناية (١) حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتي نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: نيب (٢) من المدينة علي بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه باه، فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ووطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً (٣) من الانصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم. قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لباية بشير بن عبد المنذر، قال ابن إسحاق: فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاتته أبو سفيان وأصحابه، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفون منها وعامتها سويق (٤)، فسميت غزوة السويق. قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال نعم. قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي: وإنني تخيرت المدينة واحداً * لحلف فلم أندم ولم أتلوم (٥) سقاني فرواني كميماً مدامة * على عجل مني سلام بن مشكم ولما تولى الجيش قلت ولم أكن * لافرحه: أبشر بعز ومغنم تأمل فإن القوم سر وإنهم * صريح لؤى لاشماطيط جرهم وما كان إلا بعض ليلة راكب * أتى ساعياً من غير خلة معدم

الواقدي وابن سعد وابن الأثير: يوم الاحد لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجرة. (١) قال السهيلي: الغسل من الجناية كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل كما بقي معهم الحج والنكاح. (٢) في الطبري: تبت، قال في معجم البلدان وهو جبل قرب اليمامة، وفي كتاب نصر: تبت جبل قرب المدينة (معجم البلدان - ج ٢: مادة تبت). (٣) قال ابن الأثير في الكامل: واسمه معبد بن عمرو. (٤) السويق: قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزوج به ملتوتاً بماء أو سمن أو غسل (شرح المواهب اللدنية ١ / ٥٥٣). (٥) في الواقدي بيتان فقط، هذا البيت والآخر: وذلك أبو عمرو يوجد وداره * بيثرب مأوى كل أبيض خضرم (*)

فصل في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت ابنتي فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بأذخر فأردت أن أبيع من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسني فبينما أنا أجمع لشارفي من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الانصار حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارف في قد أحببت أسنمتها ويقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الانصار وعنده قينته وأصحابه، فقالت في غنائها: ألا يا حمز للشرف النواء فوثب حمزة إلى السيف فأجبت أسنمتها ويقر خواصرهما وأخذ من

أكبادهما، قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الذي لقيت فقال مالك ؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كالذي عدت حمزة علي ناقتي فأجب أسنمتها وبقر خواصرهما وها هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم سعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم سعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيدا لابي فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقري فخرج وخرجنا معه. هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي وقد رواه في أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبيننا غلظه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم. وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم. وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوية لا تأثير لها لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الاحكام. وقال الامام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع

[٤١٨]

عليا يقول: أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت ما لي من شئ ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها إليه فقال: " هل لك من شئ ؟ " قلت لا قال: " فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ " قال هي عندي قال: فأعطنيها قال فأعطيها إياه. هكذا رواه أحمد في مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو داود: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطها شيئا قال: ما عندي شئ. قال أين درعك الخطمية (١) ؟ ورواه النسائي عن هارون بن إسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السخيتاني به. وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ثنا أبو حيوه عن شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لي شئ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أعطها درعك " فأعطاها درعه ثم دخل بها. وقال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصبم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا، قالت فقد خطبت فما يمنحك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوجك، فقلت وعندي شئ أتزوج به ؟ فقالت أنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجك، قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أن فعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلاله وهيبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما جاء بك ألك حاجة ؟ " فسكت فقال: لعلك جئت تخطب

فاطمة، فقلت نعم ! فقال: " وهل عندك من شئ تستحلها به " فقلت: لا والله يا رسول الله ! فقال: " ما فعلت درع سلحتكها " فوالذي نفس علي بيده أنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندي. فقال قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها، فإن كانت لصدوق فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: فولدت فاطمة لعلي حسنا وحسينا ومحسنا - مات صغيرا - وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي: من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في الرجل يدخل بامرأته قبل أن ينقدها شيئا. وأخرج ابن سعد في طبقاته ٨ / ٢٠: عن عكرمة: أن عليا خطب فاطمة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تصدقها قال ما عندي ما أصدقها. قال: فأين درعك الخطمية التي كنت منحتك ؟ قال: عندي. قال: أصدقها إياها. قال: فأصدقها وتزوجها. قال عكرمة: كان ثمنها أربعة دراهم، وعنه قال: أمهر علي فاطمة بدنا قيمته أربعة دراهم وعن ابن دينار عن عكرمة قال: تزوجت فاطمة على بدن من حديد. وعن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة قال. أن النبي قال له: أين درعك الخطمية. (*)

[٤١٩]

جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقرية ووسادة آدم حشوها إذخر (١). ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لابي عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك لسنة أخرى (٢). قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر (أوآخر) السنة الثانية والله أعلم. فصل جمل من الحوادث سنة ثنتين من الهجرة تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين، فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجري وأنصار تقدم تسميتهم، والرؤساء من مشركي قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور، وتوفي بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفيت وساووا عليها التراب. وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك. ولهذا ضرب له بسهمه في مغنم بدر وأجره عند الله يوم القيامة، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يخلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضي الله عنه وأرضاه. وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعوا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فيقي مذذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه.

(١) الخبير في مسند أحمد ١ / ١٤ ودلائل البيهقي ٣ / ١٦١، وفي تجهيزها قال ابن سعد: كان فيما جهزت به سرير مشروط ووسادة من آدم حشوها ليف وتور من آدم

وقربة وجاءوا ببطحاء فطرحوها في البيت. (٨ / ٢٢). (٢) الخبر في تزويج فاطمة من علي رواه البيهقي في الدلائل ج ٣ / ١٦٠ - ١٦١ وأخرج الجزء الاخير منه أحمد في مسنده ١ / ١٤ وإسناده صحيح. (*)

[٤٢٠]

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعامل وكانت معلقة بسيفه. قال ابن جرير: وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها. قال فإن ويقال إنه لم يغلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الاخرى غيره رضي الله عنه وأرضاه. وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعوا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فيقي مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه.

(١) الخبر في مسند أحمد ١ / ١٤ ودلائل البيهقي ٣ / ١٦١، وفي تجهيزها قال ابن سعد: كان فيما جهزت به سرير مشروط ووسادة من آدم حشوها ليف وتور من آدم وقربة وجاءوا ببطحاء فطرحوها في البيت. (٨ / ٢٢). (٢) الخبر في تزويج فاطمة من علي رواه البيهقي في الدلائل ج ٣ / ١٦٠ - ١٦١ وأخرج الجزء الاخير منه أحمد في مسنده ١ / ١٤ وإسناده صحيح. (*)

[٤٢٠]

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعامل وكانت معلقة بسيفه. قال ابن جرير: وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها، قال وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها. قال فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الاول باطل (١). تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية ويليها الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٠ وفيه قال: ومات في هذه السنة في ذي الحجة عثمان بن مظعون فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع. وقال: وفيها صلى يوم العاشر من ذي الحجة وخرج بالناس إلى المصلى فصلى بهم فذلك أول صلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلى في عيد وذبح فيه بالمصلى بيده شاتين. (*)